الموسوعة الحضارية
الإسلامية
(المجلد الأول)

المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين



د/ دكتور
عبدالله كامل موسى عبده
أستاذ الآثار الإسلامية المساعد
ورئيس قسم الآثار الإسلامية

المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية
عصر الخلفاء الراشدين

موسوعة العمارة الإسلامية
[المجلد الأول]

المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين

دكتور
عبد الله كامل موسى عبده
أستاذ الآثار الإسلامية المساعد
ورئيس قسم الآثار الإسلامية
ووكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب
كلية الآداب- جامعة جنوب الوادى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾

[سورة النجم]

إهـــداء

إلى روح والدى الطاهرة طيب الله ثراه

إلى أمى الحبيبة أطال الله عمرها

د. عبد الله كامل موسى عبده

المحتويـات

الفصل الثالث

الآثار المعمارية فى عهد الخليفة

الفصل الرابع

الآثار المعمارية فى عهد الخليفة

الفصل الخامس

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

على الرغم من توفر عدد كبير من العلماء والباحثين على دراسة العمارة الإسلامية عبر عصورها المختلفة ونشرهم العديد من الأعمال ذات القيمة والأصالة العلمية والتى تنوعت ما بين مؤلفات وبحوث إلا أنه لا تزال هناك حاجة إلى المزيد من المؤلفات العربية فى مجال فن العمارة الإسلامية فى شرق وغرب العالم الإسلامى مما دفعنى إلى تخصيص هذا الكتاب للعمارة الإسلامية منذ السنة الأولى للهجرة حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين فى الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر والمغرب الأدنى، وهذا التناول كان ومايزال مثار اهتمامى فى إطار موسوعة تتناول العمارة الإسلامية عبر عصورها التاريخية المختلفة.

ويهدف موضوع هذا الكتاب إلى دراسة الآثار الإسلامية الدينية والمدنية والحربية (الدفاعية) فى الحجاز واليمن خلال عهد الرسول ﷺ، كما يهدف هذا الموضوع أيضًا إلى دراسة الآثار الإسلامية فى المدينة المنورة والأقطار والأمصار التى خضعت للحكم الإسلامى فى عهدى الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما.

هذا وقد اتبعت إلى حد كبير تقسيمًا تاريخيًا فى عرض الفن المعمارى الإسلامى خلال تلك الفترة الزمنية من الحضارة الإسلامية، وقد رأيت أن أبدأ

موضوع هذا الكتاب بفصل يتناول المسجد فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، ثم المسجد لغة وشرعًا كدراسة تمهيدية قبل الدخول فى نشأة المسجد من الناحية المعمارية، وفى الفصل الثانى تناولت المسجد الحرام فى القرآن الكريم من منطلق أنه أول مسجد وضع على الأرض ثم عمارته فى العصر الإسلامى حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، ثم تناولت الدراسة فى هذا الفصل تشييد المسجد قبل هجرة الرسول ﷺ وفى أثناءها، حيث تناولت مسجدًا شيده أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ثم مسجد قباء ومسجد الضرار ثم مسجد وادى رانوناء لأهمية ذلك بالنسبة للرد على المستشرقين، كما تناولت المسجد النبوى من حيث الموقع لبيان فكر الرسول ﷺ ولإيضاح أثر ذلك على عمارة المسجد فى الأقطار والأمصار الإسلامية بعد ذلك، ثم إرساء الرسول ﷺ قاعدة إسناد الحرف إلى أصحابها، كذلك تناولت تأسيس المسجد وتخطيطه والرد على المستشرقين ثم أثر العوامل البيئية فى تطور التخطيط من ناحية والعقيدة الإسلامية السمحة من جهة أخرى، وتناولت تحويل القبلة وأثره فى تطور المسجد النبوى، والأذان والمئذنة والمؤذن والرد على المستشرقين فيما يتعلق بعمارة المئذنة وعمل المنبر وتخطيط المسجد النبوى.

هذا وقد تناولت الدراسة فى هذا الفصل أيضًا دور (بيوت) الرسول ﷺ، ثم المدينة المنورة وعمائرها فى عهد الرسول ﷺ لبيان أثر ذلك فى تخطيط الأمصار الإسلامية الأولى بعد ذلك فى البصرة والكوفة والفسطاط فى عهد الخليفة عمر رضى الله عنه، كما تناولت مساجد الرسول ﷺ التى شيدها فيما بين المدينة المنورة وتبوك، ثم مساجد اليمن التى شيدت خلال تلك الفترة مثل جامع صنعاء الكبير، والجامع الكبير بذمار، وجامع الجند، ومسجد ضهر.

وفى الفصل الثالث الذى جاء بعنوان «الآثار المعمارية فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تناولت الدراسة سن الزيادة فى المسجد النبوى ثم عمارته وإنارته، كما تناولت مدينة البصرة وعمائرها ١٤هـ / ٦٣٥م، والقدس وعمارة

المسجد الأقصى فى عام ١٥ هـ / ٦٣٦م، ثم مدينة الكوفة وعمائرها ١٧هـ/ ٦٣٨م، ومدينة الفسطاط وعمائرها ٢١هـ/ ٦٤٢م، ثم مقبرة المقطم (القرافة) بمصر، والاستحامات الحربية بمصر.

أما الفصل الرابع الذى جاء بعنوان «الآثار المعمارية فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه» فقد تناولت الدراسة فيه عمارة المسجد النبوى بالمدينة المنورة التى تمثل البداية الحقيقية لتطور وازدهار الفن المعمارى الإسلامى، ثم مناقشة حول مقاصير الصلاة، كما تناولت نقش المسجد والآراء التى ذكرت فى ذلك، كذلك تناولت تخطيط المسجد النبوى بعد عمارة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه من خلال استعراض كافة مساجد العالم الإسلامى خلال تلك الفترة الزمنية من الحضارة الإسلامية.

أما الفصل الخامس والأخير فقد جاء بعنوان «عمائر الشام وبرقة وطرابلس الغرب فى عهدى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما» وقد آثرت أن يكون هذا الفصل بهذا العنوان لصعوبة الفصل بين عهدى عمر وعثمان رضى الله عنهما فى تأمين الخط الساحلى الممتد على طول البحر المتوسط من خلال ترميم وتدعيم الحصون الرومانية أو البيزنطية من جهة، واستحداث حصون جديدة من جهة أخرى، فهذه الاستحكامات الحربية كما يقول محمد عبد الهادى شعيرة ترجع إلى عهدى عمر وعثمان رضى الله عنهما، أما فيما يتعلق بفتح برقة وطرابلس الغرب فقد بدأ فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، واستمر فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ومن ثم آثرت أن يكون هذا الموضوع مع الاستحكامات الحربية، وتشمل هذه النقطة فتح برقة ثم فتح طرابلس الغرب مع إيضاح أهمية برقة بالنسبة للفتوحات الإسلامية، ومن ثم تناولت تطور الاسم (انطابلس ـ برقة ـ المرج)، ثم طبيعة أهل برقة، ثم أهم العماثر التى شيدت واندثرت فى ضوء النصوص التاريخية.

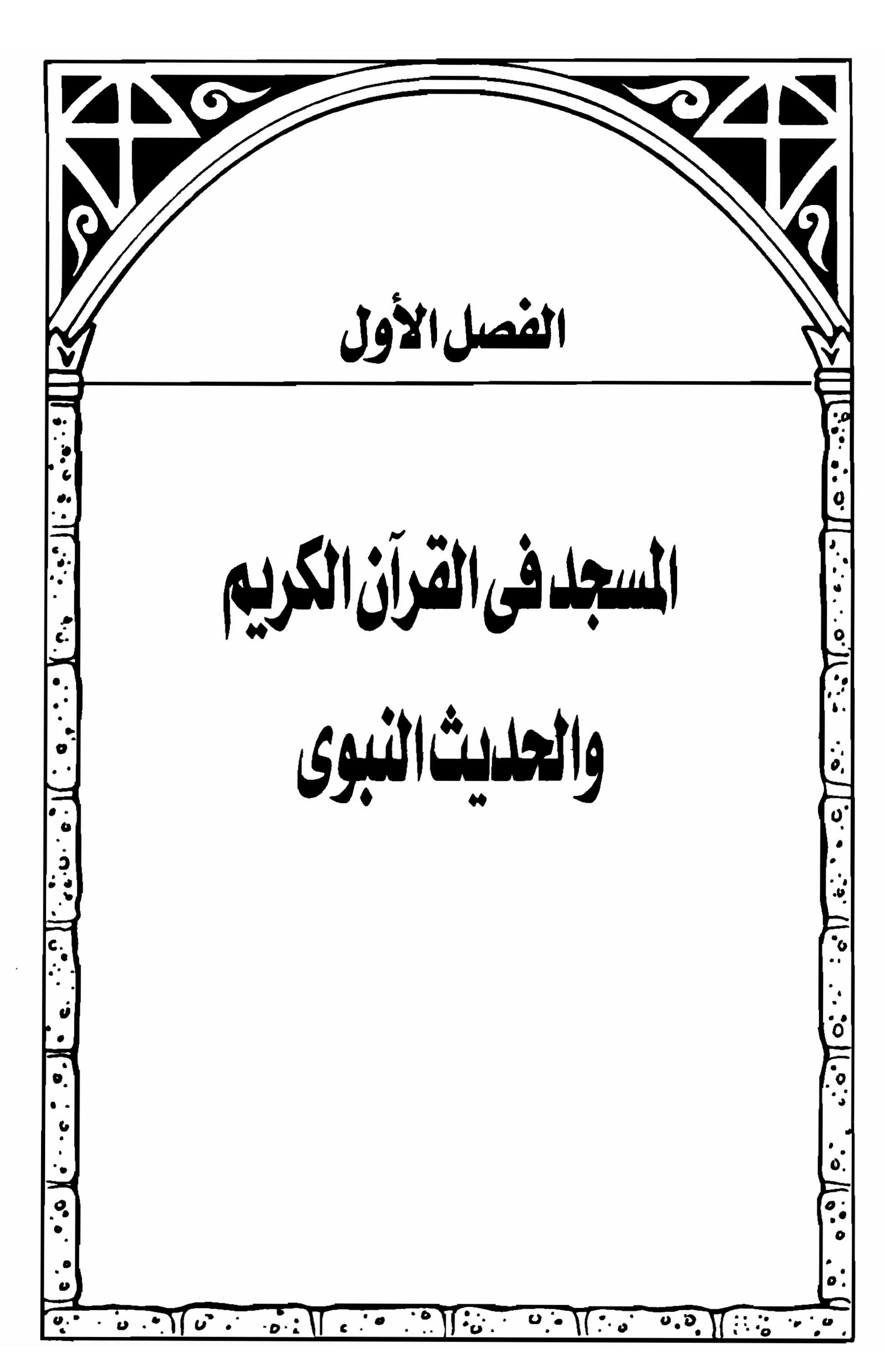
وقد لخصت فى الخاتمة نتائج الدراسة ثم ثبت الأشكال، ثم ثبت المصادر

والمراجع العربية وغير العربية، وتضمن الكتاب كتالوج الأشكال ثم ثبت الكتب والبحوث للمؤلف.

أسأل الله عز وجل أن يوفقنى لمتابعة البحث فى مجال الآثار والفنون الإسلامية، وأرجو أن يكون كتابى هذا حافزًا للدارسين للاهتمام فى دراساتهم ومؤلفاتهم وبحوثهم بالدراسات المقارنة فى مجال العمارة والفنون الإسلامية، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

د. عبد الله كامل

القاهرة ٣١/ ١/ ٢٠٠٣م



الفصل الأول

المسجد فى القرآن الكريم والحديث النبوى

المسجد فى القرآن الكريم:

أشار حسين مؤنس إلى أن ذكر المسجد والمساجد والمسجد الحرام ورد فى القرآن الكريم - بلفظها - ثمانيًا وعشرين مرة، وأن الإشارة إلى المسجد الحرام بلفظ بيت وردت ١٧ مرة، ووردت الإشارة إليه باسم مقام إبراهيم ومصلى مرة واحدة، ووردت الإشارة إلى المسجد بلفظ البيوت مرة واحدة، ولكل مرة مناسبتها[١].

ويمكن حصر الآيات القرآنية التى تناولت كل ما تقدم من خلال فهرس السور القرآنية على النحو التالى:

ورد ذكر المساجد فى قول الله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى سورة البقرة فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[٣].

وفى قوله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٤].

وورد ذكر المسجد الحرام فى قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[٥].

وقوله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٦].

وقوله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٧].

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى قوله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[٨].

وورد فيما يتعلق ببعض أحكام المساجد قول الله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[٩].

وقوله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾[١٠].

وقوله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ

بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(١١).

وقوله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١٢).

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى سورة آل عمران فى قوله تعالى ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾(١٣).

وقوله عز وجل فى سورة المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(١٤).

وقد اشتملت هذه الآية على ذكر للمسجد الحرام بلفظ البيت من جهة، ثم بلفظة «المسجد الحرام» من جهة أخرى.

وقوله عز وجل فى سورة المائدة ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١٥).

وجاء فى بعض أحكام المساجد فى سورة الأعراف قوله تعالى ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾(١٦).

وجاء أيضًا فى سورة الأعراف قوله عز وجل ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(١٧).

وورد ذكر المسجد الحرام فى قوله تعالى فى سورة الأنفال ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾(١٨).

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى قوله تعالى فى سورة الأنفال ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾(١٩).

وورد ذكر المسجد الحرام فى قوله تعالى فى سورة التوبة ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢٠).

وقد ورد فيما يتعلق بالمشركين وعمارة المساجد قول الله عز وجل فى سورة التوبة ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾(٢١).

أما فيما يتعلق بالمؤمنين وعمارة المساجد فقد ورد قول الله عز وجل فى سورة التوبة ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾(٢٢).

وورد المسجد الحرام فى سورة التوبة فى قوله تعالى﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ

﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٢٣).

وفى قوله عز وجل فى سورة التوبة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢٤).

وقد ورد فيما يتعلق بمسجد الضرار ومسجد التقوى قول الله تعالى فى سورة التوبة ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٢٥).

كما ورد قول الله عز وجل فى سورة التوبة ﴿ لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢٦).

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى قوله تعالى فى سورة إبراهيم ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٢٧).

وورد ذكر المسجد الحرام والمسجد الأقصى فى قوله تعالى فى سورة الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٢٨).

وورد ذكر المسجد فى قوله تعالى فى سورة الإسراء ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ

لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾(٢٩).

وورد ذكر المسجد فيما قبل الإسلام فى قول الله عز وجل فى سورة الكهف ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ﴾(٣٠).

وورد ذكر المسجد الحرام فى قوله تعالى فى سورة الحج ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾(٣١).

وقد ورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى قوله تعالى فى سورة الحج ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾(٣٢).

وفى قوله تعالى فى سورة الحج ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾(٣٣).

وفى قوله عز وجل فى سورة الحج ﴿ لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ﴾(٣٤).

وفى قوله عز وجل فى سورة الحج ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾(٣٥).

ووردت المساجد باسم البيوت فى قوله تعالى فى سورة النور ﴿ في بيوت أذن

اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٣٦].

وورد ذكر المسجد الحرام فى قوله عز وجل فى سورة الفتح ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٣٧].

وقوله عز وجل فى سورة الفتح ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٣٨].

وقد ورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى قوله عز وجل فى سورة الطور ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾[٣٩].

وورد فيما يتعلق ببعض أحكام المساجد قول الله عز وجل فى سورة الجن ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[٤٠].

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى قوله عز وجل فى سورة قريش ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[٤١].

المسجد فى الحديث النبوى

روى أهل الأثر كما ذكر حسين مؤنس[٤٢] أحاديث كثيرة جدًا عن رسول الله ﷺ فى المساجد وفضلها وأحكامها، وأذكر هنا من هذه الأحاديث النبوية الشريفة على سبيل المثال ما أورده البخارى فى صحيحه فى باب التعاون فى بناء المسجد «ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر. . . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر. . . حدثنا مسدد قال حدثنا عبد العزيز بن مختار قال حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال لى ابن عباس ولابنه على انطلقا إلى أبى سعيد فاسمعا من حديثه. . . فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبى ﷺ فينفض التراب عنه ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية[٤٣].

وجاء فى صحيح البخارى فى باب من بنى مسجداً «حدثنا يحيى بن سليمان حدثنى ابن وهب أخبرنى عمرو أن بكيرًا حدثه أن عاصم بن عمر بن قتادة حدثه أنه سمع عبيد الله الخولانى أنه سمع عثمان بن عفان يقول عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ إنكم أكثرتم وإنى سمعت النبى ﷺ يقول من بنى مسجدًا قال بكير حسبت أنه قال يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة»[٤٤].

وورد فى باب فضل الصلاة فى مسجدى مكة والمدينة «حدثنا حفص بن عمر . . . عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك. . . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[٤٥].

وجاء فى صحيح البخارى فى باب قول النبى ﷺ جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً «حدثنا محمد بن سنان. . . قال حدثنا جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ أعطيت خمسًا له يعطهن أحد من الأنبياء قبلى، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»(٤٦).

وفى باب وقف الأرض للمسجد جاء فى صحيح البخارى «حدثنا اسحق. . . قال حدثنى أنس بن مالك رضى الله عنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر بالمسجد وقال يا بنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا قالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله»(٤٧).

وقد أورد الزركشى عند ذكره فضل بناء المساجد «. . . وقيل: المساجد بيوت الله تضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الأرض»(٤٨).

كما أورد الزركشى «وعن عائشة رضى الله عنها قالت: أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد فى الدور وأن تنظف وتطيب وفى رواية لابن وضاح فى مصنفه عنها مرفوعا: من بنى مسجداً لله ولو مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة. قلت: يارسول الله، وهذه المساجد التى بطريق مكة. قال: وتلك. ورواه ابن ماجة فى سننه بإسناد صحيح من حديث جابر. أن رسول الله ﷺ قال: من بنى لله مسجدا كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا فى الجنة»(٤٩).

وجاء فى إعلام الساجد أيضًا «. . . أن النبى ﷺ أمر ببناء المساجد. وفى مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ، أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها. وفيه أيضًا فى حديث: سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله. فقال: ورجل قلبه معلق بالمساجد»(٥٠).

وقد أورد الزركشى فيما يتعلق بسائر المساجد «يكره دخول المسجد على غير وضوء قاله الغزالى فى الإحياء. . . إذا دخل أحدكم المسجدفلا يجلس حتى يصلى ركعتين من حيث إن المأمور بالصلاة مأمور بشرطها، وهو الوضوء. قال

الغزالى: فلو دخل وجلس استحب أن يقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنها تعدل ركعتين فى الفضل. .»(٥١).

كما أورد «يكره اللغط ورفع الصوت فى المسجد ففى مصنف ابن أبى شيبة: أن عمر سمع رجلا رافعا صوته فى المسجد فقال: أتدرى اين أنت؟ وفى البخارى نحوه. وحكى ابن عبد البر فى كتاب بيان العلم عن مالك أنه سئل عن رفع الصوت فى المسجد بالعلم فقال: لاخير فى ذلك العلم ولا فى غيره»(٥٢).

أما فيما يتعلق بتعليم الصبيان فى المسجد فقد أورد «الأغلب من الصبيان الضرر بالمسجد فيجوز منعهم»(٥٣).

وورد أيضًا «يستحب عقد حلق العلم فى المساجد. وذكر المواعظ والرقائق ونحوها. والأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة مشهورة. . . وقد ورد فى فضل حلق الذكر ما لا يخفى وقد روى ابن ماجة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: من دخل مسجدنا هذا ليعلم خيرا أو ليتعلم كان كالمجاهد فى سبيل الله، ولا فرق فى هذا بين المعتكف وغيره»(٥٤).

وورد «يجوز الاستلقاء فى المسجد ومد الرجل، والاتكاء للأحاديث الصحيحة المشهورة»(٥٥).

وورد «يستحب تجمير المسجد بالبخور، وكان عبد الله بن المجمر يجمر المسجد إذا قعد عمر على المنبر، وأنكر مالك تجمير المسجد، واستحب بعض السلف تخليق المساجد بالزعفران والطيب، وروى عنه ﷺ فعله»(٥٦).

وورد «فى تحلية المساجد بالذهب والفضة وتعليق قناديلها وجهان، أصحهما التحريم فإنه لم ينقل عن السلف، والثانى الجواز كما يجوز ستر الكعبة بالديباج»(٥٧).

وورد «انه يحل الحرير لإلباس الكعبة وحكم البيوت أيضًا، وأما باقى المساجد فقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا بأس ستر المسجد بالثياب من غير الحرير، وأما الحرير فيحتمل أن يلحق بالتزيين بقناديل الذهب والفضة»(٥٨).

وورد «يستحب فرش المساجد وتعليق القناديل والمصابيح ويقال: أول من فعل

ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما جمع الناس على أبى بن كعب فى صلاة التراويح، ولما رأى على رضى الله عنه اجتماع الناس فى المسجد على الصلاة والقناديل تزهر وكتاب الله يتلى: قال: نورت مساجدنا، نور الله قبرك يا ابن الخطاب»(٥٩).

وورد «يكره غرس الشجر والنخل، وحفر الآبار فى المساجد لما فيه من التضييق على المصلين، ولأنه ليس من فعل السلف... وقال القاضى حسين فى تعليقه فى الصلاة لا يجوز الغرس فى المسجد ولا الحفر فيه، ولا أن يبنى فيه منارة، ولا أن يضرب فيه اللبنات ويضعها فى زاوية منه، أو يجمع الحشيش فى موضع منه، لأن هذه الأشياء مما يشغل موضع الصلاة. وقيل. أن اتخاذ المنارة أحق لأنه يمكن الصلاة على رأسها بخلاف حفر البئر ونحوه. قال: ولو اتخذ سردابًا تحت المسجد يتقى به من حر الشمس جاز لأنه يمكن الصلاة فيه»(٦٠).

وورد «يستحب لداخل المسجد أن يقدم رجله اليمنى فى الدخول، واليسرى فى الخروج لحديث أنس رضى الله عنه أنه قال: من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى. رواه الحاكم فى المستدرك»(٦١).

وورد «تجوز الصلاة على الميت فى المسجد»(٦٢).

وورد «يكره اتخاذ المسجد طريقًا. وفى المعجم الأوسط للطبرانى عن سالم عن أبيه: أن النبى ﷺ قال: لا تتخذوا المساجد طرقًا إلا لذكر الله أو صلاة»(٦٣).

وورد «يكره بناء المساجد بين المقابر، لأنه نهى عن الصلاة فى المقبرة، وقد صح: لا تتخذوا قبرى مسجدا. قال صاحب المغنى: وقد روى قتادة أن أنسا مر على مقبرة، وهم يبنون فيها مسجدا، فقال أنس: كان يكره أن يبنى مسجد فى وسط القبور»(٦٤).

وورد «يستحب عقد النكاح فى المسجد قاله أبو عمرو بن الصلاح واحتج بحديث اعلنوا النكاح فى المسجد. رواه الترمذى»(٦٥).

وورد «كره بعض السلف اتخاذ المحاريب فى المسجد. قال الضحاك بن مزاحم أول شرك كان فى أهل الصلاة هذه المحاريب. وفى مصنف عبد الرزاق عن الحسن أنه صلى واعتزل الطاق أن يصلى فيه، وقال: كره الصلاة فى طاق المسجد سعيد بن جبير ومعمر والمراد بطاق المسجد المحراب الذى يقف فيه الإمام فى المسجد، وفى شرح الجامع الصغير للحنفية: لا بأس أن يكون مقام الإمام فى المسجد، وسجوده فى الطاق، ويكره أن يقوم فى الطاق لانه يشبه اختلاف المكانين، ألا ترى أنه يكره الانفراد... والمشهور الجواز بلا كراهة. ولم يزل عمل الناس عليه من غير نكير»(٦٦).

وورد «يستحب جعل المنبر فى الجامع لأجل الخطبة»(٦٧).

كما ورد فيما يتعلق بالمنبر «يكره اتخاذ المنبر الكبير الذى يضيق على المصلين إذا لم يكن المسجد متسع الخطة، قاله الرافعى وقال القاضى الحسين: إن كان لا يضيق لسعة المسجد لم يكره، وإن كان يضيق المكان عليهم لا يجوز... وهذا كله فى المنبر الذى لا يزال من مكانه، أما لو كان له خزانة وراءه يرد إليها بعد الخطبة كا هو بالإسكندرية وغيرها فلا، لأن حال الخطبة لا صلاة»(٦٨).

وورد «إتخاذ المقاصير فى المسجد لم يعهد فى الصدر الأول وقال، أبو العباس القرطبى فى شرح مسلم: لا يجوز اتخاذها ولا يصلى فيها لتفريقها الصفوف، وحيلولتها مع التمكن من المشاهدة، وهذا منه مبنى على أن المقصورة تقطع الصف الأول وفيه ما سبق فى المنبر»(٦٩).

وورد «الصلاة فى الجامع أفضل من المسجد الصغير لكثرة الجماعة. وفى الأوسط للطبراني عن زهير بن عباد... حدثنى نافع عن ابن عمر: أن النبى ﷺ قال: الصلاة فى المسجد الجامع، تعدل الفريضة حجة مبرورة، والنافلة كحجة متقبلة. وفضلت الصلاة فى المسجد الجامع على ماسواه من المساجد بخمسمائة صلاة»(٧٠).

وورد «اختلف العلماء فى الصلاة فى المسجد بين السوارى، فكرهه أنس،

وقال: كنا نتقيه على عهد رسول الله ﷺ، وفى لفظ كنا ننهى عن الصلاة بين السوارى ونطرد عنها. صححهما الحاكم فى المستدرك، وقال ابن مسعود: لا تصفوا بين الأساطين وكرهه حذيفة وإبراهيم، وقال القرطبى: إنما كرهت الصلاة بين الأساطين... وأجازه الجمهور منهم الحسن ومحمد بن سيرين، وكان ابن جبير وإبراهيم التهمى وسويد بن غفلة يؤمون قومهم بين الأساطين، وهو قول أبى حنيفة وقال مالك: لا بأس بذلك لضيق المسجد»[٧١].

وورد «يجوز نبش قبور المشركين، وبناء المسجد موضعها ففى الصحيحين من حديث أنس أن النبى ﷺ أمر بقبور المشركين فنبشت عند بناء المسجد فقيل: لأنها لا حرمة لها، لأنهم ليسوا أهل كتاب، وقيل: لأنها دثرت، ولم يظهر لها أثر، والحاجة داعية إلى الانتفاع بمحالها وكرهه مالك»[٧٢].

وورد «يجوز فتح الخوخة والممر فى المسجد»[٧٣].

وورد «يجب اتخاذ الأبواب للمساجد لتصان عن التراب وتنزه عما لا يصلح فيها من غير الطاعات بالغلق»[٧٤].

وورد «يجوز بناء المطاهر بالقرب من المساجد والتوضئة منها»[٧٥].

وورد «قال القاضى أبو منصور بن الصباغ فى كتاب، الإشعار باختلاف العلماء اختلفوا فى الصلاة فى الكنائس والبيع والنواويس. فحكى ابن المنذر عن ابن عباس ومالك: أنهما كانا يكرهان ذلك لأجل الصور، وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لنصرانى: إنا لا ندخل عليكم بيعكم من أجل الصور التى فيها وعن أبى موسى الأشعرى أنه صلى فى كنيسة، وعن الحسن والشعبى وغيره الترخيص فى الصلاة فى البيع والكنائس. قال وذاكرت شيخنا يعنى أبا نصر بذلك فكان جوابه أنه ينبغى أن يكره لأجل الصور التى فيها، ولدخولها من غير إذن والله أعلم»[٧٦].

وورد «كره النخعى وغيره من السلف أن يقال: مسجد بنى فلان، لأن المساجد بيوت الله والمشهور الجواز»[٧٧].

وورد «أفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله بأن متولى تدريس المدرسة هو الذى يقرر مقدار الجامكية للفقهاء وينزلهم، وليس للناظر فى الوقف إلا تحصيل الريع وقسمته على المنزلين»(٧٨).

وورد «كره مالك أن يبنى مسجدًا ويتخذ فوقه مسكنا يسكن فيه بأهله»(٧٩).

وورد فى باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان «حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن ثابت بن أبى رافع عن أبى هريرة أن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كان يقم المسجد فمات فسأل النبى ﷺ عنه فقالوا مات قال أفلا كنتم آذ نتمونى به دلونى على قبره أو قال قبرها فأتى قبره فصلى عليها»(٨٠).

المسجد لغة

قال الزركشى «أما لغة فهو: مفعل بالكسر اسم لمكان السجود، وبالفتح اسم للمصدر، قال أبو زكرياء الفراء: كل ما كان على فعل يفعل كدخل فالمفعل منه بالفتح اسما كان أو مصدرا، ولا يقع فيه الفرق، مثل دخل مدخلا. ومن الأسماء ما ألزموها كسر العين، منها: المسجد، والمطلع، والمغرب، والمشرق وغيرها، فجعلوا الكسر علامة للاسم، وربما فتحه بعض العرب. قد روى المسجد والمسجد، والمطلع والمطلع. قال: والفتح فى كله جائز، وإن لم نسمعه. قال فى الصحاح: والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود. وقال أبو حفص الصقلى فى كتاب تثقيف اللسان: ويقال مسيد بفتح الميم حكاه غير واحد فتحصلنا فيه على ثلاث لغات. والمسجد بكسر الميم: الخَمرة وهى الحصير الصغير. قاله العسكرى فى التصحيف[٨١].

المسجد شرعا

قال الزركشى فى إعلام الساجد «وأما شرعا فكل موضع من الأرض لقوله ﷺ: «جعلت لى الأرض مسجدا» وهذا من خصائص هذه الأمة. قال القاضى عياض، لأن من كان قبلنا، كانوا لايصلون إلا فى موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة فى جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبى: هذا ما خص الله به نبيه، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلوات فى مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس.

وقال المهلب فى شرح البخارى: «المخصوص به ﷺ، جعل الأرض طهورا، أما كونها مسجدا فلم يأت فى أثر أنها منعت من غيره»(٨٢).

كما أورد «وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يسيح فى الأرض ويصلى حيث أدركته الصلاة فكأنه قال: «جعلت لى الأرض مسجدا وطهورًا، وجعلت لغيرى مسجدا ولم تجعل له طهورًا»... وهذا هو الظاهر من حديث جابر وأبى هريرة فى عد الطهور والمسجد فى حكم الواحد. ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل: مسجد، ولم يقولوا: مركع ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه، وكذلك الربط والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك»(٨٣).

ويعد المسجد الحرام أول مسجد وضع على الأرض وهو مسجد مكة لقول الله

عز وجل فى سورة آل عمران ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[٨٤].

وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض فقال: «المسجد الحرام، قلت ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاما، ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل»[٨٥].

وجاء فى صحيح البخارى كما تقدم فى باب قول الرسول ﷺ جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا أن الرسول ﷺ قال «أعطيت خمسا له يعطهن أحد من الأنبياء قبلى... وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل»[٨٦].

هوامش وتعليقات الفصل الأول

(١) حسين مؤنس: المساجد، ١٩٩٤م، ص ١١ .

(٢) سورة البقرة، آية ١١٤، ١١٥ .

(٣) سورة البقرة، آية ١٢٥ .

(٤) سورة البقرة، آية ١٢٧ .

(٥) سورة البقرة، آية ١٤٤ .

(٦) سورة البقرة، آية ١٤٩ .

(٧) سورة البقرة، آية ١٥٠ .

(٨) سورة البقرة، آية ١٥٨ .

(٩) سورة البقرة، آية ١٨٧ .

(١٠) سورة البقرة، آية ١٩١ .

(١١) سورة البقرة، آية ١٩٦ .

(١٢) سورة البقرة، آية ٢١٧ .

(١٣) سورة آل عمران، آية ٩٦ ، ٩٧ .

(١٤) سورة المائدة، آية ٢ .

(١٥) سورة المائدة، آية ٩٧ .

(١٦) سورة الأعراف، آية ٢٩ .

(١٧) سورة الأعراف، آية ٣١ .

(١٨) سورة الأنفال، آية ٣٤ .

(١٩) سورة الأنفال، آية ٣٥ .

(٢٠) سورة التوبة، آية ٧ .

(٢١) سورة التوبة، آية ١٧ .

(٢٢) سورة التوبة، آية ١٨ .

(٢٣) سورة التوبة، آية ١٩ .

(٢٤) سورة التوبة، آية ٢٨ .

(٢٥) سورة التوبة، الآيات ١٠٧ - ١٠٩ .

(٢٦) سورة التوبة، آية ١١٠ .

(٢٧) سورة إبراهيم، آية ٣٧ .

(٢٨) سورة الإسراء، آية ١ .

(٢٩) سورة الإسراء، آية ٧ .

(٣٠) سورة الكهف، آية ٢١ .

(٣١) سورة الحج، آية ٢٥ .

(٣٢) سورة الحج، آية ٢٦ .

(٣٣) سورة الحج، آية ٢٩ .

(٣٤) سورة الحج، آية ٣٣ .

(٣٥) سورة الحج، آية ٤٠ .

(٣٦) سورة النور، الآيات ٣٦ - ٣٨ .

(٣٧) سورة الفتح، آية ٢٥ .

(٣٨) سورة الفتح، آية ٢٧ .

(٣٩) سورة الطور، الآيات ١-٨ .

(٤٠) سورة الجن، آية ١٨ .

(٤١) سورة قريش، الآيات ١-٤ .

(٤٢) حسين مؤنس: المساجد، ص ٢٥ .

نقل حسين مؤنس كافة الأحاديث التى أوردها عن الزركشى فى كتابه إعلام الساجد، وذلك عند مراجعته الفهرس الأبجدى للأحاديث النبوية.

(٤٣) البخارى: صحيح البخارى (كتاب الشعب)، دار مطابع الشعب، مج١، جـ١، ص ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٤٤) البخارى: صحيح البخارى، مج ١، جـ١، ص ١٢٢ .

أورد السيد سابق فى فقه السنة فى فضل بناء المساجد «عن عثمان، أن النبى ﷺ قال: «من بنى لله مسجداً، يبتغى به وجه الله، بنى الله له بيتا فى الجنة». متفق عليه».

السيد سابق: فقه السنة، دار الفتح للاعلام العربى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، جـ١، ص ٢٩٣ .

(٤٥) البخارى: صحيح البخارى، مج ١، جـ٢، ص ٧٦ .

أورد السيد سابق فى أفضل المساجد «روى البيهقى، عن جابر، أن النبى ﷺ قال: صلاة فى المسجد الحرام مائة الف صلاة، وصلاة فى مسجدى الف صلاة، وفى بيت المقدس خمسمائة صلاة». السيد سابق: فقه، جـ١، ص ٩٦.

(٤٦) البخارى: صحيح البخارى، مج ١، جـ١، ص ١١٩ .

أورد السيد سابق عند ذكره المساجد «مما اختص الله به هذه الأمة، أن جعل لها الأرض طهوراً ومسجداً فأيما رجل من المسلمين أدركته الصلاة، فليصل حيث أدركته، قال أبو ذر: قلت: يارسول الله، أى مسجد وضع فى الأرض أولاً؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أى؟ قال: «ثم المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». ثم قال: «آينما أدركتك الصلاة، فصل، فهو مسجد» وفى رواية: «فكلها مسجد» رواه الجماعة. السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ٢٩٣ .

(٤٧) البخارى: صحيح البخارى، مج ٢، جـ ٤، ص ١٤ .

(٤٨) الزركشى (محمد بن عبد الله): إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٣٦ .

(٤٩) الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٣٧ - ٣٨ . السمهودى (نور الدين على): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جـ٢، ص ٦٦٢ .

المفحص: الموضع الذى تبيض فيه القطاة والقطاة: طائر. السيد سابق: فقه، جـ١، ص ٢٩٣ .

(٥٠) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٩ .

(٥١) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٠٤، أنظر عن تحية المسجد. السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ٢٩٦ .

(٥٢) الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

قال النووى: المباح فى المسجد، وبأمور الدنيا، وغيرها من المباحات، وإن حصل فيه ضحك ونحوه، مادام مباحا. مزيد من التفاصيل أنظر: السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ٣٠١ .

(٥٣) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٢٧ .

(٥٤) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٢٨ .

(٥٥) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٣٠ .

أورد السيد سابق عند ذكره إباحة الأكل، والشرب، والنوم فيها «فعن ابن عمر، قال: كنا فى زمن رسول الله ﷺ ننام فى المسجد، نقيل فيه، ونحن شباب... وقال عبد الله بن الحارث: كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ فى المسجد الخبز، واللحم. رواه ابن ماجه بسند حسن.

السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ٣٠١ .

(٥٦) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٣٨ . روى السمهودى عند ذكره تجمير المساجد «وروى يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن على بن حسن... أن رسول الله ﷺ أمر باجمار المسجد، قال: ولا أعلمه إلا قال: يوم الجمعة. وروى ابن ماجة عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم واقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على أبوابها المطاهر، وجمروها فى الجمع» السمهودى: وفاء، جـ٢، ص ٦٦٢ .

(٥٧) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٣٨ .

(٥٨) الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٥٩) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٣٩، السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ص ٦٦٣ - ٦٦٤ .

(٦٠) الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٦١) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٤٧ .

أورد السيد سابق «يسن لمن أراد دخول المسجد أن يدخل برجله اليمنى، ويقول: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، باسم الله،

اللهم صلى على محمد، اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك. وإذا أراد الخروج، خرج برجله اليسرى، ويقول: باسم الله، اللهم صلى على محمد، اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب فضلك، اللهم اعصمنى من الشيطان الرجيم. انظر: السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ٢٩٥ .

(٦٢) الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٣٥١ - ٣٥٢، السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥٣٢ .

(٦٣) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٥٦ .

(٦٤) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٥٦، السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ٣٠٣ .

(٦٥) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٦٠ .

(٦٦) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٦٤ .

(٦٧) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٧٣ .

(٦٨) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٧٤ .

أورد الزركشى «زعم الغزالى فى الإحياء: أن المنبر يقطع الصف الأول. قال: وانما الصف الأول المتصل الذى فى بناء المنبر، وما يلى طرفيه مقطوع به. وهذه المقالة غلطها النووى فى شرح مسلم وقال: الصف الأول الممدوح: هو الذى يلى الإمام سواء جاء صاحبه متقدما أو متأخرا، وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا؟ هذا هو الصحيح الذى تقتضيه ظواهر الأحاديث وصرح به الجمهور. قال: وقالت طائفة من العلماء: الصف الأول هو المتصل من طرف المسجد إلى طرفه، ولا يتخلله مقصورة ونحوها، فإن تخلل الذى يلى الإمام شىء فليس بأول. وقيل: الصف الأول عبارة عن مجىء الإنسان المسجد أولاً، وان صلى فى صف متأخر. قال: وهذان القولان غلط نبهت عليهما.

الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٦٩) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٧٥ .

(٧٠) لا يروى هذا الحديث عن نافع إلا عطاء، ولا عن عطاء إلا نوح. تفرد به زهير.

الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٧٦ .

(٧١) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٨١ .

انظر عن الصلاة بين السوارى: السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ٣٠٢ .

(٧٢) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٨١ .

(٧٣) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٨٢ .

ذكر السمهودى الأمر بسد الأبواب الشارعة فى المسجد الشريف «. . . لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر. ورواه مسلم من طريق مالك بن أنس بنحوه، وقال: لا يبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر. والخوخة: طاقة فى الجدار تفتح لأجل الضوء، ولا يشترط علوها، وحيث تكون سفلى يمكن الاستطرق منها لاستقراب الوصول إلى مكان مطلوب، وهو المقصود هنا، لهذا اطلق عليها باب، وقيل: لا يطلق عليها باب إلا إذا كانت تغلق» السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٤٧١ .

(٧٤) الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .

(٧٥) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٨٣ .

(٧٦) الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٣٨٣ - ٣٨٤ .

(٧٧) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٨٤ .

(٧٨) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٩٧ .

(٧٩) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٤٠٧ .

(٨٠) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١٢٤ .

أورد السيد سابق «المساجد بيوت العبادة، فيجب صيانتها من الأقذار، والروائح الكريهة. . .». السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٨١) أورد ابن سعد فى الطبقات الكبرى، أن النبى ﷺ كان يصلى على الخمرة، وهى حصيرة صغيرة قدرما يسجد عليه، تنسج من السعف، ففى حديث لأم سلمة أن الرسول ﷺ قال لها: ناولينى الخمرة. وجاء فى تاج العروس: «يقال صلى فلان على الخمرة، لأن خيوطها مستورة بسعفها. ويقول الشهرستانى فى وصف الخمرة هى مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه فى سجوده من حصير، أو نسيجه خوص ونحوه من النبات، ثم يضيف، ولا تكون الخمرة إلا فى هذا المقدار، وسميت خمرة لأن خيوطها مستورة بسعفها.

مزيد من التفاصيل عن المسجد لغة وعن الخمرة انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار

احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، جـ١، ص ٢٢٩ . الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٢٦ - ٢٧ .

سعاد ماهر محمد: مساجد فى السيرة النبوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص ١٣ .

(٨٢) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٧ .

انظر أيضًا عن المساجد. السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ٢٩٣ .

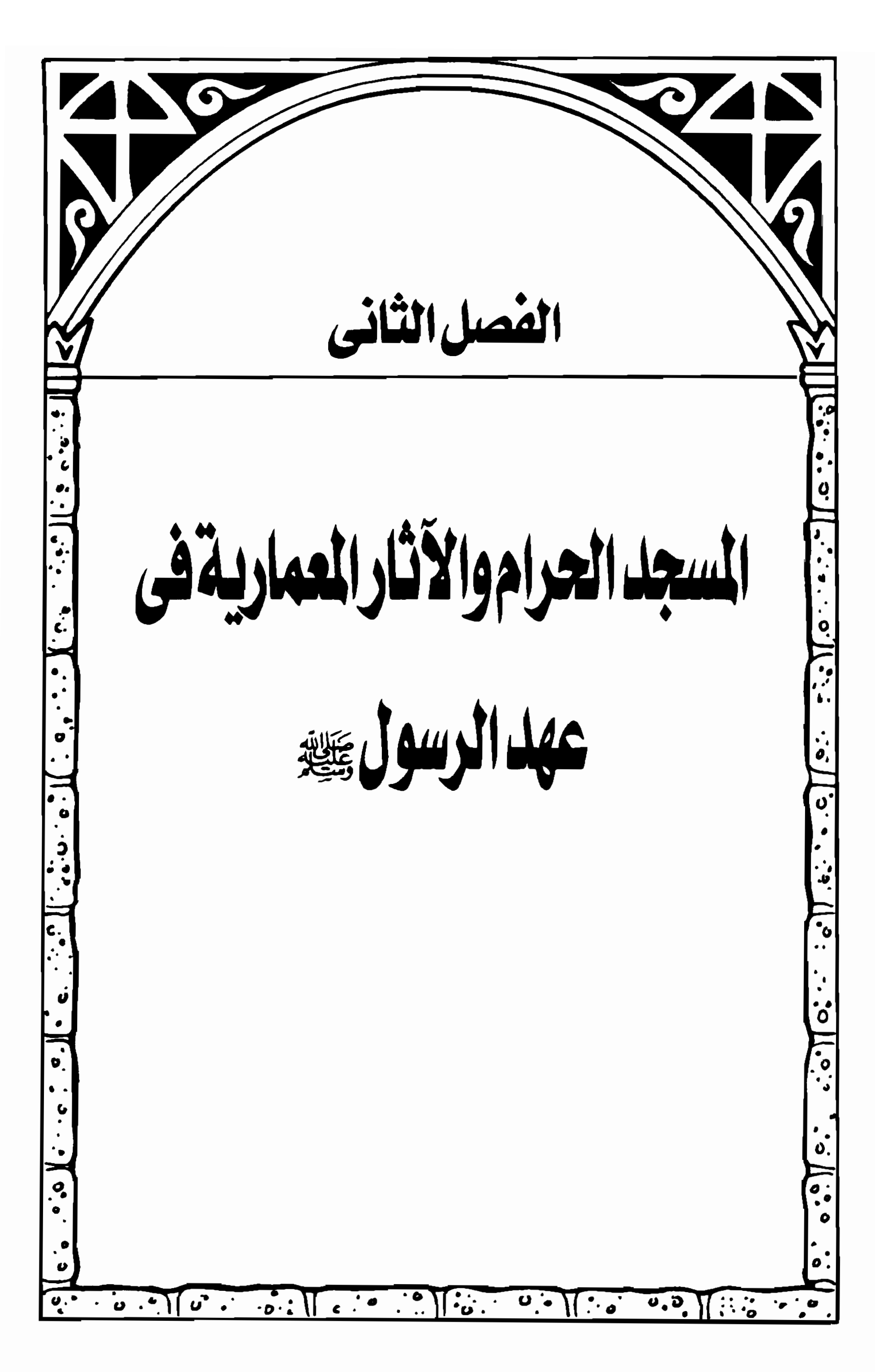
(٨٣) الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٢٧ - ٢٨ .

(٨٤) سورة آل عمران، آية ٩٦ .

(٨٥) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٩، السيد سابق، فقه السنة، جـ١، ص ٢٩٣ .

(٨٦) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١١٩ .

جاء فى باب قول النبى ﷺ جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً «حدثنا محمد بن سنان.. قال حدثنا جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، واعطيت الشفاعة»، وقد تقدم ذكر هذا الحديث عند ذكر المسجد فى الحديث النبوى.



الفصل الثانى

المسجد الحرام والآثار المعمارية فى عهد الرسول ﷺ

المسجد الحرام[1]:

ذكر الله عز وجل المسجد الحرام فى القرآن الكريم فى خمسة عشر موضعًا تقدم ذكرها عند ذكر المسجد فى القرآن الكريم، وأذكر منها هنا على سبيل المثال ما جاء فى سورة البقرة فى قوله تعالى ﴿ **قَدْ نرىٰ تقلُّبَ وجْهك فِي السَّماء فَلنوَلّينَّك قِبْلَةً تَرْضاها فولِّ وجْهك شَطْرَ المَسْجد الْحَرَامِ وَحَيْثُ ما كُنتُمْ فوَلُّوا وُجُوهكُمْ شَطْرَهُ وإِنَّ الَّذين أُوتُوا الْكِتَاب لَيعْلمُون أَنَّهُ الْحقُّ من رَّبِّهِمْ ومَا اللَّهُ بِغافلٍ عمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾[2].

وماورد فى سورة المائدة فى قوله عز وجل ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا لا تُحلُّوا شَعَائرَ اللَّه وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ولا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائدَ ولا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحرام يبْتغُون فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وإِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يجْرِمنَّكُمْ شَنَآنُ قوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِد الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ولا تعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب** ﴾[3].

وما ورد فى سورة الأنفال فى قول الله عز وجل ﴿ **وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[4].

وما ورد فى قوله تعالى فى سورة التوبة ﴿ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُوله إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾[5].

وورد فى سورة الإسراء فى قوله تعالى ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ**

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٦].

وفى قوله تعالى فى سورة الحج ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٧].

وفى قوله تعالى فى سورة الفتح ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٨].

وقد ذكر الزركشى نقلاً عن الماوردى «أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به: الحرم. إلا فى قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ فإنه أراد به الكعبة، وقد روى النسائى فى سننه من حديث ميمونة رضى الله عنها قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاة فى مسجدى هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه إلا المسجد الكعبة. وروى أيضًا من حديث أبى هريرة إلا الكعبة. وفى رواية ابن ماجة: «وصلاته بمكة بمائة ألف» مع ذكر المساجد يظهر أنه أراد مسجد مكة والمصلى فيه مصلى بمكة والله أعلم»[٩].

ويعد المسجد الحرام أول مسجد وضع على الأرض لقول الله عز وجل فى سورة آل عمران ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[١٠].

وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض فقال: المسجد الحرام، قلت ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاما، ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة، فصل[١١].

والمسجد الحرام هو البيت، والبيت الحرام، والبيت المحرم، والبيت العتيق، وسمى أيضًا بالكعبة لتكعيبه أى تربيعه، وقد أطلق العرب على كل بيت مربع مرتفع كعبة، واشترك النبى ﷺ فى بناء الكعبة قبل بعثته (شكل ١، ٢)، فكان يعمل فى نقل الحجارة مع غيره من أشراف قريش ورجالها، جاء فى صحيح البخارى فى باب بنيان الكعبة مانصه «حدثنى محمود حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنى ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما بنيت الكعبة ذهب النبى ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبى ﷺ اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال: إزارى إزارى فشد عليه إزاره. . .»(١٢) (شكل ٣).

وعقب فتح مكة (شكل ٤) مباشرة أمر الرسول ﷺ بتطهير الكعبة مما فيها من تماثيل وصور وأصنام، وجرى الرسول ﷺ على عادة قريش فى كسوة الكعبة، كما أمر الرسول ﷺ بتطييبها، قال ابن الأثير «ولما دخل رسول الله ﷺ، مكة كانت عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل دم أو مأثرة أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين، إلا سدانة البيت، وسقاية الحج» ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم»؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فعفا عنهم. . . فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء. وطاف بالكعبة سبعًا، ودخلها وصلى فيها، ورأى فيها صور الأنبياء، فأمر بها فمحيت، وكان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا، وكان بيده قضيب، فكان يشير به إلى الأصنام وهو يقرأ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(١٣)، فلا يشير إلى صنم منها إلا سقط لوجهه. وقيل بل أمر بها وخدمت وكسرت. ثم جلس رسول الله ﷺ، للبيعة على الصفا»(١٤).

عمارة المسجد الحرام:

من الناحية المعمارية لم يكن للمسجد الحرام على عهد الرسول ﷺ جدران تحده، بل كانت البيوت تحدق به والأزقة بينها تفتح عليه، وكانت البيوت تصل حتى حدود المطاف، واستمر الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه[١٥].

المسجد الحرام فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

شهدت مكة المكرمة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمارة المسجد الحرام، فقد أحاط الخليفة عمر رضى الله عنه المسجد بجدار، وذلك فى سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م، جاء فى صحيح البخارى فى باب بنيان الكعبة «حدثنى محمود حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنى ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما. . . حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار وعبيد الله بن أبى يزيد قالا لم يكن على عهد النبى ﷺ حول البيت حائط كانوا يصلون حول البيت حتى كان عمر فبنى حوله حائطا قال عبيد الله جدره قصير فبناه ابن الزبير»[١٦].

وقد أورد الزركشى فى إعلام الساجد عند ذكره من بنى المسجد الحرام «قال أبو الوليد الأزرقى وأبو الحسن الماوردى: أما المسجد الحرام فكان فناء الكعبة وقضاء للطائفين، ولم يكن له على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر جدار يحيط به وكانت الدور تحدق به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية فلما استخلف عمر، وكثر الناس، وضيقوا على الكعبة وألصقوا دورهم بها، قال عمر رضى الله عنه: إن الكعبة بيت الله ولابد للبيت من فناء، وإنكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها واتخذ له جدارا»[١٧].

ويحدثنا ابن الأثير فى أحداث سنة ١٧هـ عن بناء المسجد الحرام والتوسعة فيه بقوله «وفيها، أعنى سنة سبع عشرة، اعتمر عمر بن الخطاب، وبنى المسجد

الحرام ووسع فيه وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم على قوم أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم فى بيت المال حتى أخذوها، وكانت عمرته فى رجب، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت، وأمر بتجديد أنصاب الحرم، فأمر بذلك مخرمة بن نوفل والأزهر بن عبد عوف وحويطب بن عبد العربى وسعيد بن يربوع، واستأذنه أهل المياه فى أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة»[١٨].

كسوة الكعبة بالقباطى:

ذكر الزركشى نقلاً عن الأزرقى «أن عمر رضى الله عنه كان يكسوها القباطى»[١٩].

وقد ازدهرت صناعة النسج منذ عصر الفراعنة فى مصر، ثم سارت فى سبيل التقدم حتى العصر البيزنطى، وتأثرت فى العصر البيزنطى بالأسلوبين البيزنطى والساسانى، وكانت معظم المراكز الرئيسية للنسيج فى مصر فى عصر الانتقال كما يذكر زكى محمد حسن هى التى لم يكثر فيها الأقباط، وكان القطن والكتان ينسجان فى البلاد المصرية المختلفة، ولاسيما فى الدلتا بمدن تنيس والإسكندرية وشطا ودمياط ودبيق والفرما، كما اشتهرت أيضًا بنسجهما مدينة البهنسا فى مصر الوسطى، أما الأقمشة الحريرية فكانت تنسج فى الإسكندرية ودبيق، وكانت هناك أيضًا مصانع للنسج فى مدينتى أخميم وأسيوط، ومما يدل على الدور المهم للأقباط المصريين فى هذه الصناعة أن أحد أنواع النسيج عرف بالقباطى، وقد عرف هذا النسيج من قبل العرب قبل الإسلام، ويعد الكتان الخامة الرئيسية المستخدمة فى صناعة النسيج المصرى[٢٠].

عمارة المسجد الحرام فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه:

شهدت مكة المكرمة فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه عمارة المسجد الحرام، فقد قام الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى سنة ٢٤هـ/ ٦٤٤م، وقيل فى عام ٢٦هـ/ ٦٤٦م بعمارته واتخذ له الأروقة، قال الزركشى فى إعلام الساجد «ثم لما استخلف عثمان رضى الله عنه اشترى دوراً أخر، ووسعه أيضًا وبنى المسجد والأروقة وكان عثمان أول من اتخذ الأروقة»[٢١].

ويحدثنا ابن الأثير فى أحداث سنة ٢٦هـ عن الزيادة فى الحرم بقوله «فى هذه السنة أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم. وفيها زاد عثمان فى المسجد الحرام ووسعه، وابتاع من قوم، فأبى آخرون، فهدم عليهم ووضع الأثمان فى بيت المال، فصاحوا بعثمان، فأمر بهم فحبسوا، وقال لهم قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به. فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأطلقهم»[٢٢].

الصلاة فى شعاب مكة المكرمة[٢٣]:

أرسل الله تعالى محمدًا ﷺ بالحنيفية السمحة، والشريعة الجامعة، التى تكفل للناس الحياة الكريمة المهذبة، والتى تصل بهم إلى أعلى درجات الرقى والكمال، وفى مدى ثلاثة وعشرين عامًا تقريبًا، قضاها رسول الله ﷺ فى دعوة الناس إلى الإسلام، تم له ما أراد من تبليغ الدين، واجمع الناس عليه، جاء فى صحيح البخارى فيما يتعلق بالفترة التى قضاها النبى ﷺ فى مكة قبل الهجرة ثم فى المدينة المنورة بعد الهجرة «حدثنا مطر بن الفضل حدثنا روح حدثنا هشام حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين»[٢٤].

وقد صلى جبريل عليه السلام بالرسول ﷺ حين فرضت عليه الصلاة بأعلى مكة، وذلك بعد أن علمه الوضوء، ومنذ ذلك الوقت اتخذ الرسول ﷺ والصحابة من شعاب مكة مكانا للصلاة، قال ابن هشام «أن رسول الله ﷺ - كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه على بن أبى طالب»[٢٥] (شكل ٤).

مسجد أبى بكر الصديق رضى الله عنه بمكة قبل الهجرة:

يحدثنا البخارى فى صحيحه فى موضعين عن بناء مسجد من قبل أبى بكر الصديق رضى الله عنه بفناء داره بمكة قبل الهجرة، حيث أورد «ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلى فيه، ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا إنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجدًا بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه. . »(٢٦).

وفى موضع آخر أورد البخارى فى صحيحه فى باب أفنية الدور والجلوس على الصعدات «وقالت عائشة فابتنى أبو بكر مسجدًا بفناء داره يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه والنبى ﷺ يومئذ بمكة»(٢٧).

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد رغب فى الهجرة إلى أرض الحبشة، قال البخارى فى صحيحه «حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل. . . أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت لم أعقل أبوى قط، إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشية، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فقال اين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر أخرجنى قومى، فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى، قال ابن الدغنة فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، انك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك. . »(٢٨).

عمارة المساجد بالمدينة المنورة قبل الهجرة[٢٩]:

حثت العقيدة الإسلامية المسلمين على إعمار الأرض، إذ حفلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالعديد من الآيات والنصوص التى تدفع المسلم إلى البناء، وتعد عمارة المسجد واحدة من أهم العمائر الدينية التى حددت العقيدة من جهة، والبيئة العربية من جهة أخرى معالمها الفنية، وبينت خطوطها وأشكالها وأوضحت خصائصها، ومن ثم فإن التخطيط المعمارى للمساجد الجامعة قد أوجب على المعمار المسلم أن يخططها من الناحية المعمارية ويشكلها من الناحية الزخرفية وفقًا لقواعد وظيفية تطلبتها العقيدة الإسلامية[٣٠].

قال تعالى فى سورة التوبة ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾[٣١].

وجاء فى إعلام الساجد كما تقدم «المساجد بيوت الله تضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الأرض»[٣٢].

وجاء أيضًا «قال رسول الله ﷺ: من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة»[٣٣].

ويعد المسجد كما تقدم من أحب البقاع إلى الله تعالى، جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ، أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»[٣٤].

ويحدثنا السمهودى عند ذكره دخوله ﷺ أرض المدينة، وتأسيس مسجد قباء

عن عمارة المساجد بالمدينة المنورة قبل هجرة الرسول ﷺ وتأسيس مسجد قباء بقوله «. . فبنى مسجد قباء، فهو أول مسجد بنى، يعنى لعامة المسلمين أو للنبى ﷺ بالمدينة، وهو فى التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهرًا، وإن كان قد تقدم بناء غيره من المساجد، فقد روى ابن أبى شبة عن جابر قال: لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله ﷺ سنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة، ولذا قيل: كان المتقدمون فى الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ والأنصار بقباء قد بنوا مسجدًا يصلون فيه، يعنى هذا المسجد، فلما هاجر رسول الله ﷺ وورد قباء صلى بهم فيه إلى بيت المقدس، ولم يحدث فيه شيئًا: أى فى مبدأ الأمر، لأن ابن شبة روى ذلك. . »(٣٥).

كما يحدثنا السمهودى عن مسجد بناه أسعد بن زرارة فى مربد(٣٦) سهل وسهيل فى موضع المسجد النبوى قبل هجرة الرسول ﷺ، وذلك بقوله «وفى كتاب يحيى ما يقتضى أن أسعد بن زرارة كان قد بنى بهذا المربد مسجدًا قبل مسجد الرسول ﷺ، فإنه قال: حدثنا بكر حدثنا محمد بن عمر حدثنا معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: سمعت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول: أخبرتنى النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ يصلى بالناس الصلوات الخمس، ويجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، قالت: فانظر إلى رسول الله ﷺ لما قدم صلى بهم فى ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم»(٣٧).

وكان كلثوم بن الهدم يقيم الصلاة بأهل قباء فى مربده، وقد ذكر السمهودى هذا المربد بقوله «وكان لكلثوم بن الهدم بقباء مربد. . . فأخذه منه رسول الله ﷺ فأسسه وبناه مسجدًا كما رواه ابن زبالة وغيره»(٣٨).

وكان الرسول ﷺ قد أرسل إلى المدينة المنورة مصعب بن عمير ليفقههم فى الدين ويعلمهم الإسلام، فكان يصلى بهم، قال الطبرى «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فلما انصرف عنه القوم بعث معهم

رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى، وأمرهم أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم فى الدين، فكان يسمى مصعب بالمدينة: المقرئ، وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس ابى أمامة»(٣٩).

تأسيس مسجد قباء من قبل الرسول ﷺ:

أسس الرسول ﷺ مسجد قباء فى أثناء هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وهو المسجد الذى أسس على التقوى، وصلى فيه ﷺ إلى بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى، قال ابن هشام فى السيرة النبوية «فأقام رسول الله ﷺ - بقباء، فى بنى عمرو بن عوف، يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجده»(٤٠). (شكل ٥).

وقد أورد السمهودى «وروى يونس بن بكير.. عن المسعودى عن الحكم بن عتيبة قال: لما قدم النبى ﷺ فنزل قباء قال عمار بن ياسر: مالرسول الله ﷺ بد من أن يجعل له مكانًا يستظل به إذا استيقظ ويصلى فيه، فجمع حجارة فبنى مسجد قباء، فهو أول مسجد بنى، يعنى لعامة المسلمين أو للنبى ﷺ بالمدينة، وهو فى التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهرًا... قيل: كان المتقدمون فى الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ والأنصار بقباء قد بنوا مسجدًا يصلون فيه، يعنى هذا المسجد، فلما هاجر رسول الله ﷺ وورد قباء صلى بهم فيه إلى بيت المقدس، ولم يحدث فيه شيئًا، أى فى مبدأ الأمر، لأن ابن شبة روى ذلك..»(٤١).

قال السمهودى عند ذكره سرد خصائص المدينة المنورة «الثانية والعشرون: اختصاصها بالمسجد الذى أنزل الله فيه «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه»(٤٢)، قال تعالى فى سورة التوبة ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ

وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٤٣).

ووردت عدة روايات تتعلق بمسجد قباء، قال السمهودى «وروى الطبرانى. . . عن جابر أيضًا قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال لأصحابه «انطلقوا بنا إلى أهل قباء نسلم عليهم، فأتاهم فسلم عليهم، فرحبوا به، ثم قال: يا أهل قباء ائتونى بأحجار من هذه الحرة، فجمعت عنده أحجار كثيرة، ومعه عنزة له، فخط قبلتهم، فأخذ حجرًا فوضعه رسول الله ﷺ، ثم قال: يا أبا بكر، خذ حجرًا فضعه إلى حجرى، ثم قال: ياعمر خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجر أبى بكر، ثم قال: يا عثمان خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجر عمر، ثم التفت إلى الناس فقال: ليضع كل رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط»(٤٤).

ويضيف السمهودى «قلت: وهو يقتضى أن هذا البنيان لم يكن عند قدوم النبى ﷺ إلى قباء، بل بعد قدوم عثمان رضى الله عنه من الحبشة. . . فيمكن أن النبى ﷺ أسسه عند قدومه، ثم بناه بعد ذلك، وإلا فلم يكن عثمان رضى الله عنه حاضرًا. . ولهذا قال السهيلى. أول من وضع حجرًا رسول الله ﷺ، ثم أبو بكر، ثم عمر، ولم يذكر عثمان، ثم قال: وصلى فيه نحو بيت المقدس قبل أن يأتى المدينة»(٤٥).

ونقل السمهودى «ثم روى أنه ﷺ بنى مسجد قباء وقدم القبلة إلى موضعها اليوم، وقال: جبريل يؤم بى البيت»(٤٦).

ويعلق الشهرى بقوله أن ما تتضمنه هذه الروايات المتعددة إلى تحويل القبلة إلى مكة المكرمة فى هذه المرحلة فى بناء مسجد قباء دليل على أنها غير مرحلة التأسيس الأولى، التى كان اتجاه القبله فيها إلى بيت المقدس(٤٧).

مسجد قباء فى الحديث النبوى:

ورد فى باب مسجد قباء فى صحيح البخارى «حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا أيوب عن نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان لا يصلى من الضحى إلا فى يومين يوم يقدم بمكة فإنه كان يقدمها ضحى فيطوف بالبيت ثم يصلى ركعتين خلف المقام ويوم يأتى مسجد قباء فإنه كان يأته كل سبت فإذا دخل المسجد كره أن يخرج منه حتى يصلى فيه قال وكان يحدث أن رسول الله ﷺ كان يزوره راكبًا وماشيًا قال وكان يقول إنما أصنع كما رأيت أصحابى يصنعون ولا أمنع أحدًا أن يصلى فى أى ساعة شاء من ليل أو نهار غير أن لا تتحروا طلوع الشمس ولا فى غروبها»(٤٨).

كما أورد البخارى فى باب من أتى مسجد قباء كل سبت «حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبى ﷺ يأتى مسجد قباء كل سبت ماشيًا وراكبًا وكان عبد الله رضى الله عنه يفعله»(٤٩).

وورد فى باب إتيان مسجد قباء ماشيًا وراكبًا « حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله قال حدثنى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبى ﷺ يأتى قباء راكبًا وماشيًا * زاد ابن نمير حدثنا عبيد الله عن نافع فيصلى فيه ركعتين»(٥٠).

مسجد الضرار:

أما فيما يتعلق بمسجد الضرار الذى تقدم ذكره عند ذكر مسجد قباء فقد ذكره ابن هشام فى السيرة النبوية، فقال «قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ

حتى نزل بذى أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يارسول الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا، فتصلى لنا فيه، فقال: «إنى على جناح سفر، وحال شغل»، أو كما قال ﷺ: «ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه». فلما نزل بذى أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم، أخا بنى سالم بن عوف، ومعن بن عدى، أو أخاه عاصم بن عدى، أخا بنى العجلان فقال: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه»... وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلاً: خذام بن خالد، من بنى عبيد بن زيد، أحد بنى عمرو بن عوف، ومن داره أخرج مسجد الشقاق...»(٥١).

مسجد وادى رانوناء «مسجد الجمعة»:

أورد لنا ابن هشام فى السيرة النبوية مسجدا فى بطن وادى رانوناء عند ذكره خروج الرسول ﷺ من قباء يريد المدينة المنورة، حيث قال «ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك، فالله أعلم أى ذلك كان. فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة فى بنى سالم بن عوف، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى، وادى رانوناء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة»(٥٢).

وقد عرف هذا المسجد فيما بعد بمسجد الجمعة، ويقع وادى رانوناء فى الضاحية الجنوبية الغربية للمدينة المنورة، ذكره الطبرى فى تاريخه فقال «فى اليوم الذى ارتحل فيه من قباء، وذلك ان ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامدًا المدينة، فأدركته الصلاة، صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف، ببطن واد لهم ـ قد اتخذ اليوم فى ذلك الموضع مسجدًا ـ فيما بلغنى ـ وكانت هذه الجمعة، أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ فى الاسلام، فخطب فى هذه الجمعة، وهى أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل»(٥٣). (شكل ٥).

وقال السمهودى «فخرج ﷺ من قباء، فعرض له قبائل الأنصاركلهم يدعوه ويعدوه النصرة والمنعة، فيقول: خلوها فإنها مأمورة، حتى أدركته الجمعة فى بنى سالم فصلى فى بطن الوادى الجمعة وادى ذى صلب. قلت: قيل كانت هذه أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمدينة، وقيل: إنه كان يصلى الجمعة فى مسجد قباء فى إقامته هناك، والله أعلم»(٥٤).

المسجد النبوى:

يشير الشهرى[٥٥] إلى أن بشائر هذا الحدث المعمارى العظيم المتمثل فى المسجد النبوى بدأت عندما اختار الله تعالى لرسوله ﷺ يثرب دارًا لمهاجره، قال البخارى فى صحيحه فى باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة «وحدثنى الأوزاعى عن عطاء بن أبى رباح قال زرت عائشة مع عبيد بن عمير الليثى فسألناها عن الهجرة فقالت لاهجرة اليوم كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسول الله ﷺ مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهادونية»[٥٦].

ويحدثنا ابن هشام فى السيرة عن خروجه ﷺ من وادى بنى سالم إلى المدينة المنورة (شكل ٥) بقوله «فأتاه عتبان بن مالك، وعباس بن عبادة بن نضلة فى رجال من بنى سالم بن عوف، فقالوا: يارسول الله. أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة، قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، لناقته: فخلوا سبيلها، فانطلقت. . حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار، بركت على باب مسجده ﷺ، وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار، ثم من بنى مالك بن النجار، وهما فى حجر معاذ بن عفراء، سهل وسهيل ابنى عمرو. . . فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله، فوضعه فى بيته، ونزل عليه رسول الله ﷺ، وسأل عن المربد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو وهما يتيمان لى، وسأرضيهما منه، فاتخذه مسجدا. . . فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى مسجدا، ونزل رسول الله ﷺ على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه»[٥٧].

عن الزهرى أنها بركت عند مسجد الرسول ﷺ، وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين، وكان مربدًا لغلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت راحلته: هذا إن شاء الله المنزل، وقال: اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ، قاله أربع مرات»(٥٨).

ويضيف السمهودى «وتقدم أن أبا أيوب قال: هو ليتيمين لى، وأنا أرضيهما، فأرضاهما. . ويحتمل أن كلا من أسعد وأبى أيوب وابن عفراء أرضى اليتيمين بشىء، فنسب ذلك لكل منهم»(٥٩).

ويحدثنا السمهودى عن مكان المسجد النبوى فيقول «وفى كتاب يحيى ما يقتضى أن أسعد بن زرارة كان قد بنى بهذا المربد مسجدًا قبل مسجد الرسول ﷺ فإنه قال: حدثنا بكر حدثنا محمد بن عمر حدثنا معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: سمعت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول: أخبرتنى النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ يصلى بالناس الصلوات الخمس، ويجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، قالت: فأنظر إلى رسول الله ﷺ لما قدم صلى بهم فى ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم»(٦٠).

ويضيف السمهودى «وقال المجد: ذكر البيهقى المسجد فقال: كان جدارا مجدرا ليس عليه سقف، وقبلته إلى القدس، وكان أسعد بن زرارة بناه، وكان يصلى بأصحابه فيه، ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل التى فى الحديقة وبالغر قد أن يقطع، وكان فيه قبور جاهلية، فأمر بها فنبشت، وأمر بالعظام أن تغيب. . .»(٦١).

وقد ورد فى صحيح البخارى فى باب هل تنبش قبور مشركى الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد «حدثنا مسدد قال حدثنا عبد الوارث عن أبى التياح عن أنس قال قدم النبى ﷺ المدينة فنزل أعلى المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف. . .

ثم أرسل إلى بنى النجار فجاؤا متقلدى السيوف كأنى أنظر إلى النبى ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبى أيوب وكان يحب أن يصلى حيث أدركته الصلاة ويصلى فى مرابض الغنم وأنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملأ من بنى النجار فقال يابنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا قالوا لا والله لانطلب ثمنه إلا إلى الله فقال أنس فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين وفيه خرب وفيه نخل فأمر النبى ﷺ بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبى ﷺ معهم وهو يقول.

اللهـم لا خـير إلا خـير الآخـره   فاغفـر للأنصـار والمهاجـره(٦٢)

ويرجح الشهرى(٦٣) أن الرسول ﷺ صلى العصر بالمسلمين فى المدينة المنورة، وبالتحديد فى موضع المسجد الذى اتخذه أسعد بن زرارة فى مربد سهل وسهيل قبل مقدم رسول الله ﷺ، وذلك استنادًا إلى النص الذى أورده السمهودى وتقدم ذكره «. . . فأنظر إلى رسول الله ﷺ لما قدم صلى بهم فى ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم».

بدأت عمارة المسجد النبوى عقب عملية تمهيد الأرض بتقريب الأحجار من حرار المدينة، وإعداد اللبن فى «بقيع الخبخبة ناحية بئر أبى أيوب بالمناصع والخبخبة: شجرة كانت تنبت هناك»، وكان ابتداء بنيان المسجد فى شهر ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة، وقد باشر ﷺ العمل فيه بنفسه، فقد أورد السمهودى عند ذكره سرد خصائص المدينة «الحادية والعشرون: تأسيس مسجدها الشريف على يده ﷺ، وعمله فيه بنفسه، ومعه خير الأمة المهاجرون الأولون والأنصار المقدمون»(٦٤).

فلسفة اختيار الموقع:

رأى الرسول ﷺ أن يتوسط المسجد المدينة المنورة لكى يكون نواة العاصمة والحاضرة الجديدة للدولة الإسلامية من جهة، ولكى تحقق الغرض الأساسى من

إقامته وانشائه وهو إقامة الصلاة لجماعة المسلمين، فضلاً عن كونه مكانًا للعبادة وتلاوة القرآن، وطلب العلم، ومدارسة العلماء، واستعراض ما يستجد على المجتمع الإسلامى من جهة أخرى، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فى نص ابن النجار «إختار رسول الله ﷺ المنازل فنزل فى منزله ومسجده فأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأبصار»[٦٥]. (شكل ٥).

وفى ذلك أورد السمهودى «وفى رواية لابن زبالة: اختار رسول الله ﷺ على عينه، فنزل منزله وتخيره، وأراد أن يتوسط الأنصار كلها. قال المطرى: وهو غير مناف لما تقدم من قوله «دعوها فإنها مأمورة»، لأن الله اختار له ما كان يختار لنفسه. وفرح أهل المدينة بمقدمه ﷺ إليهم فرحا شديدا»[٦٦].

إرساء قاعدة إسناد الصنائع إلى أصحابها:

قام الرسول ﷺ بارساء قاعدة تعد من أهم القواعد التى ترتكز عليها الحضارات الإنسانية على الإطلاق سواء فى نشأتها ونموها وازدهارها أو فى تدهورها عبر العصور، وهى قاعدة إسناد الصنائع إلى أصحابها، وذلك عند عمارة المسجد النبوى، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فيما أورده السمهودى ونصه «ونقل المجد عن رواية محمد بن سعد نحوه، قال: وجاء رجل يحسن عجن الطين، وكان من حضرموت، فقال رسول الله ﷺ: رحم الله امرأ أحسن صنعته، وقال له: الزم أنت هذا الشغل فإنى أراك تحسنه»[٦٧].

كما نقل «وفى كتاب يحيى من طريق ابن زبالة عن الزهرى: كان رجل من أهل اليمامة يقال له طلق من بنى حنيفة يقول: قدمت على النبى ﷺ وهو يبنى مسجده، والمسلمون يعملون فيه معه، وكنت صاحب علاج وخلط طين، فأخذت المسحاة أخلط الطين والنبى ﷺ ينظر إلى ويقول: إن هذا الحنفى لصاحب طين. وروى أحمد عن طلق بن على قال: بنيت المسجد مع النبى ﷺ، فكان يقول: قربوا اليمامى من الطين فإنه أحسنكم له مسكا وأشدكم منكبا»[٦٨].

وقد حث القرآن الكريم فى العديد من الآيات القرآنية المسلمين على أن تتسم

أعمالهم بالخير والدقة والاتقان، وأذكر منها هنا على سبيل المثال قوله عز وجل فى سورة الأنعام ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾(٦٩).

وقوله عز وجل فى سورة التوبة ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٧٠).

وقوله عز وجل فى سورة يونس ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(٧١).

وقوله عز وجل فى سورة الإسراء ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴾(٧٢).

وقوله عز وجل فى سورة النمل ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾(٧٣).

وجاء فى صحيح البخارى فى باب من سئل علما وهو مشتغل فى حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل «حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح وحدثنى إبراهيم بن المنذر. . . عن أبى هريرة قال بينما النبى ﷺ فى مجلس يحدث القوم جاءه اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله ﷺ يحدث. . . حتى إذا قضى حديثه قال أين أراه السائل عن الساعة قال ها أنا يارسول الله قال فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(٧٤).

تخطيط المسجد النبوى وعمارته فى المرحلة الأولى:

أهتم الرسول ﷺ بأمر بناء المسجد وتعيين اتجاه القبلة بمساعدة جبريل عليه السلام، جاء فى اعلام الساجد فيما يتعلق بمصلاه أو محرابه ﷺ «لا يجتهد فى محراب رسول الله ﷺ لأنه صواب قطعا إذ لا يقر على خطأ فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة، بخلاف محاريب المسلمين، والمراد بمحرابه ﷺ مكان مصلاه فإنه لم يكن فى زمنه عليه السلام محراب»(٧٥).

وقد صلى الرسول ﷺ فى هذه المرحلة إلى بيت المقدس، وكان المسجد لا يشتمل على محراب، بل على موضع مصلاه ﷺ الذى كان مقابلاً لوسط الصف، فقد ورد استحباب وقوف الإمام مقابلاً لوسط الصف «لحديث أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «وسطوا الإمام، وسدوا الخلل». رواه أبو داود، وسكت عنه هو والمنذرى، وقد ورد لفظ المحراب فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع، ويمكن حصر هذه المواضع على النحو التالى:

قال الله تعالى فى سورة آل عمران ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٧٦).

وقوله عز وجل فى سورة آل عمران ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾(٧٧).

وقوله عز وجل فى سورة مريم ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾(٧٨).

وقوله عز وجل فى سورة ص ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾(٧٩).

وقد جاء تخطيط المسجد بسيطًا يتفق وروح العقيدة الإسلامية السمحة، حيث كان عبارة عن مساحة مستطيلة مكشوفة تمتد من الشرق إلى الغرب كما يذكر الشهرى بمقدار ٦٣ ذراعا، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٥٤ ذراعا، وثلثا ذراع، تحددها أربعة جدران بارتفاع قامة أوبسطة، وتتمثل فى جدار القبلة الذى يعد أهم جدران المسجد، وكان يمتد من الشرق إلى الغرب عند تأسيس المسجد فى اتجاه بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى، أى فى الجهة الشمالية، ثم يقابله ويوازيه جدار آخر يماثله فى الجهة الجنوبية، أما الجداران الشرقى والغربى فيمتدان من الجنوب إلى الشمال بهيئة متعامدة على طرفى جدار القبلة(٨٠).

أما فيما يتعلق بمواد البناء فقد شيدت هذه الجدران فى أساسها بالحجر المحفور له فى باطن الأرض إلى إرتفاع ثلاثة أذرع (١,٥٠ م تقريبًا)، وبنيت الجدران أعلى الأساسات باللبن، لبنة فوق لبنة، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فى نص ابن النجار «وجعلوا أساس المسجد من الحجارة، وبنوا باقيه من اللبن»(٨١)، وتمثل عمارة المسجد النبوى على هذا النحو المرحلة الأولى، وهى المرحلة التى اتسمت بالتأثيرين العقائدى والبيئى سواء من حيث الاسلوب أو مواد البناء، وقد جاء فى وفاء الوفا «... عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان بناء مسجد رسول الله ﷺ بالسميط لبنة على لبنة... وكانوا رفعوا أساسه قريبًا من ثلاثة أذرع بالحجارة... وفى رواية جعفر: ولم يسطح... وكان جداره قبل أن يظلل قامة وشيئًا»(٨٢)

الزيادات فى المسجد النبوى خلال عهد الرسول ﷺ:

وفى مرحلة أخرى تلت المرحلة السابقة ذكر الشهرى أن طول المسجد كان من سبعين ذراعًا، وعرضه أكثر من ستين، وارتفاعه قامة وشىء، ونوع البناء لبنة

ونصف، وأرضه مكشوفة، قال ابن النجار «ثم إن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصفا»[٨٣].

قال السمهودى «عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان بناء مسجد رسول الله ﷺ بالسميط لبنة على لبنة، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى»[٨٤]. ويرى الشهرى أنه رغم هذه الزيادة إلا أن المسجد ظل عبارة عن مساحة مستطيلة مكشوفة تحددها أربعة جدران تحدد محيط المسجد وتحفظ حرمته[٨٥].

تخطيط المسجد النبوى وعمارته فى المرحلة الثالثة:

«تظليل مكان الصلاة» «ظلة القبلة»

فى مرحلة ثالثة مر بها المسجد النبوى قال ابن النجار «. . . ثم قالوا: يارسول الله لو أمرت فزيد فيه. قال: نعم. فأمر به فزيد فيه وبنى جدار لبنتين مختلفتين، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا: يارسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل، قال: نعم فأمر به فأقيم له سوارى من جذوع النخل شقة ثم شقة ثم طرحت عليها العوارض والخصف والأذخر، وجعل وسطه رحبة فأصابتهم الأمطار فجعل يكف عليهم فقالوا يارسول الله لو أمرت بالمسجد يعمر فطين. فقال ﷺ لهم: «عريش كعريش موسى ثمام وخشيبات والأمر أعجل من ذلك»(٨٦).

وقد نقل السمهودى «. . عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان بناء مسجد رسول الله بالسميط لبنة على لبنة، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى، ثم كثروا فقالوا: يارسول الله لوزيدفيه، ففعل، فبنى بالذكر والأنثى، وهى لبنتان مختلفتان. . . فشكوا الحر فجعلوا خشبه وسواريه جذوعا، وظللوا بالجريد ثم بالخصف، فلما وكف عليهم طينوه بالطين. . . »(٨٧).

كما نقل السمهودى فيما يتعلق بمداخل المسجد «وذكر الاقشهرى فى خبر عن ابن عمر. . . كان مسجد رسول الله ﷺ فى زمانه من اللبن، وسقفه من غصن النخل، وله ثلاثة أبواب: باب فى مؤخره، وباب عاتكة وهو باب الرحمة، والباب الذى كان يدخل منه وهو باب عثمان، وهو الذى يسمى اليوم باب جبريل»(٨٨).

وفى رواية أخرى نقل «. . . ويقال: إنه كان أقل من مائة ذراع، وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باب فى مؤخره، أى وهو فى جهة

القبلة اليوم، وباب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة، والباب الذى كان يدخل منه رسول الله ﷺ، وهو باب آل عثمان اليوم، وهذان البابان لم يغيرا بعد ان صرفت القبلة»[٨٩].

ويذكر الشهرى أن هذه المرحلة تمثل المرحلة الثالثة فى عمارة المسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ، وهى المرحلة التى بقى فيها المسجد كما هو فى المرحلة الثانية أو السابقة أى أقل من مائة ذراع كما تقدم فى رواية السمهودى إلا أنه سقف بالعوارض التى ترتكز على الأعمدة من جذوع النخل وفوقها الخصف والأذخر، ثم استخدم الطين فى تغشيتها فيما بعد، وقد أوجب استخدام السقف فى هذه المرحلة رفع البناء، ومن المرجح كما يذكر الشهرى أن استخدام اللبنتين المعترضتين كان فى هذه المرحلة نظراً لما يتطلبه تسقيف المسجد من متانة فى البناء، وهذا البناء هو ما بقى عليه المسجد حتى تم تحويل القبلة وتجديد بناء المسجد وتوسعته فى السنه السابعة من الهجرة[٩٠].

أصبحت عمارة المسجد النبوى تتكون من مساحة مستطيلة تنقسم إلى صحن مكشوف يقع فى الجهة الجنوبية، وظلة للقبلة تقع فى الجهة الشمالية تتكون أغلب الظن كما يذكر أحمد فكرى من ثلاث بلاطات تفصلها ثلاثة صفوف من جذوع النخل، وتنقسم هذه البلاطات الموازية لجدار القبلة إلى بلاطات عمودية بالنسبة لجدار القبلة يغطيها سقف من سعف النخيل والطين[٩١]. (شكل ٦).

وقد ورد لفظ ظلة فى القرآن الكريم فى قول الله عز وجل فى سورة الأعراف ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٩٢].

أثر العقيدة الإسلامية والعوامل البيئية فى تشكيل عمارة المسجد النبوى:

مما تقدم يتضح أن بساطة العقيدة الإسلامية السمحة قد أثرت تأثيراً عميقًا فى نشأة وتطور عمارة المسجد النبوى فجاء بسيطًا من حيث التخطيط والعمارة، حيث لم يتطلب الأمر أكثر من تمهيد المكان المخصص لبناء المسجد، ثم حفر الأساسات وإقامة الجدران التى تحفظ حرمته، وقد تم ذلك بالمواد البنائية المتاحة فى البيئة سواء من حيث استخدام الحجر فى الأساسات، أو اللبن فى الجدران، كما أثرت العوامل البيئية المتمثلة فى العامل المناخى فى تطور تشكيل عمارة المسجد، حيث أدت شدة الحر فى هذه المرحلة إلى عمل ظلة لمكان الصلاة والذى عرف نتيجة لذلك بظلة القبلة، كما عرف أيضا ببيت الصلاة أورواق القبلة، وهو الأمر الذى أدى بطبيعة الحال إلى استخدام سوار من جذوع النخل على مسافات منتظمة من الناحيتين الأفقية والرأسية حتى يمكن وضع العوارض والخصف والأذخر عليها، كما أثرت الأمطار على تشكيل سقف المسجد أو ظلة القبلة، حيث استخدم المسلمون فى هذه المرحلة من عمارة المسجد النبوى الطين حتى لا يقطر السقف، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن تصميم وعمارة المسجد من صحن وظلة للقبلة على هذا النحو يعد تصميمًا جديداً يتفق وطبيعة المرحلة التى كانت تمر بها الدعوة والدولة الإسلامية فى ذلك الوقت من جهة والعوامل البيئية من جهة أخرى، فقد آثر الرسول ﷺ، أن لا يقتبس أفكارا من المعابد القديمة أو الكنائس لتخطيط وعمارة مسجده كما فعل الرومان والمسيحيون من قبل، وهو الأمر الذى يعكس بوضوح فكرًا جديدًا استمده الرسول ﷺ والمسلمون من روح العقيدة الإسلامية والبيئة العربية.

تخطيط المسجد النبوى وعمارته فى المرحلة الرابعة:

«تحويل القبلة»

أورد البخارى فى صحيحه «كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله «قد نرى تقلب وجهك فى السماء، فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم»(٩٣).

قال الطبرى «واختلف السلف من العلماء فى الوقت الذى صرفت فيه من هذه السنة، فقال بعضهم. وهم الجمهور الأعظم: صرفت فى النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله ﷺ المدينة»(٩٤).

وقال الزركشى نقلاً عن الحافظ الذهبى «فلما حولت القبلة بقى حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة»(٩٥).

وقد ورد ذكر أهل الصفة فى صحيح البخارى فى باب نوم الرجال فى المسجد «وقال أبو قلابة عن أنس قدم رهط من عكل على النبى ﷺ فكانوا فى الصفة، وقال عبد الرحمن بن أبى بكر كان أصحاب الصفة الفقراء حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن عبيد الله قال حدثنى نافع قال أخبرنى عبد الله أنه كان ينام وهو شاب أعزب لا أهل له فى مسجد النبى ﷺ... حدثنا يوسف بن عيسى قال حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال رأيت سبعين من أصحاب الصفة مامنهم رجل عليه رداء إما إزار وإماكساء قد ربطوا فى أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته»(٩٦).

والواقع أن تحويل القبلة من جهة بيت المقدس فى الشمال إلى مكة المكرمة فى الجنوب كان بمثابة مرحلة هامة بالنسبة لتطور تخطيط المسجد النبوى، حيث قام الرسول ﷺ بعمل ظلة جديدة للقبلة فى الجهة الجنوبية، وترك الظلة الأولى

لأهل الصفة فى الجهة الشمالية لإيواء الفقراء والمساكين كما تقدم، وكان ما بين الظلتين رحبة واسعة، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن المسجد نتيجة تحويل القبلة أصبح يتكون من صحن أوسط مكشوف وظلتين احداهما فى الجهة الجنوبية وهى ظلة القبلة المستحدثة والأخرى فى الجهة الشمالية وهى ظلة المسجد الأولى أو القديمة، وقد خصصت لأهل الصفة. (شكل ٧).

كما ترتب على استحداث الظلة الجنوبية[٩٧] وجود مدخل فى الظلة الشمالية، حيث قام الرسول ﷺ بسد المدخل الذى كان فى مؤخره قبل استحداث الظلة الثانية، وترك البابين الآخرين وهما باب الرحمة، وباب جبريل، فقد نقل السمهودى «. . . وجعل له ثلاثة أبواب: باب فى مؤخره، أى وهو فى جهة القبلة اليوم، وباب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة، والباب الذى كان يدخل منه رسول الله ﷺ، وهو باب آل عثمان اليوم، وهذان البابان لم يغيرا بعد أن صرفت القبلة، ولما صرفت القبلة سد النبى ﷺ الباب الذى كان خلفه وفتح هذا الباب، وحذاء هذا الباب ـ أى ومحاذيه ـ هذا الباب الذى سد. وعبر ابن النجار عن ذلك بقوله: ولما صرفت القبلة سد الباب الذى كان خلفه وفتح باب حذاءه. قال المجد: أى تجاهه»[٩٨]. (شكل ٧).

هذا وقد أورد السمهودى فيما يتعلق بأول صلاة إلى الكعبة «قال الحافظ ابن حجر: التحقيق أن أول صلاة صلاها فى بنى سلمة الظهر، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر»[٩٩]، ويذكر الشهرى ومن ثم انتشر نبأ تحويل القبلة فى المدينة وما يحيط بها من قرى، فكان وقت وصول الخبر يختلف من مكان لآخر[١٠٠].

اهتم الرسول ﷺ بأمر بناء الظلة الجديدة وتعيين اتجاه القبلة كما اهتم ﷺ من قبل بأمر بناء الظلة القديمة وتعيين اتجاه القبلة إلى بيت المقدس، وذلك بمساعدة جبريل عليه السلام، جاء فى اعلام الساجد «لا يجتهد فى محراب رسول الله ﷺ لأنه صواب قطعا إذ لا يقر على خطأ فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة، بخلاف محاريب المسلمين، والمراد بمحرابه ﷺ مكان مصلاه

فإنه لم يكن في زمنه عليه السلام محراب»[١٠١]، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن المسجد النبوى لم يشتمل على محراب سواء فى المرحلة الأولى التى تقدم ذكرها، وهى مرحلة تأسيس المسجد أو فى المرحلة الرابعة التى نحن بصددها، وهى مرحلة تحويل القبلة، بل اشتمل على مكان مصلاه ﷺ.

جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة فيما يتعلق بتعريف القبلة «القبلة هى جهة الكعبة، أو عين الكعبة، فمن كان مقيمًا بمكة أو قريبًا منها فإن صلاته لا تصح إلا إذا استقبل عين الكعبة يقينًا مادام ذلك ممكنًا، فإذا لم يمكنه ذلك، فإن عليه أن يجتهد فى الاتجاه إلى عين الكعبة، إذا لا يكفيه الاتجاه إلى جهتها ما دام بمكة، على أنه يصح أن يستقبل هواءها المحاذى لها من أعلاها، أو من أسفلها. . . فاستقبال هواء الكعبة المتصل بها من أعلى أو أسفل، كاستقبال بنائها عند الأئمة وخالف المالكية»[١٠٢].

وجاء أيضًا «ومن كان بمدينة النبى ﷺ، فإنه يجب عليه أن يتجه إلى نفس محراب المسجد النبوى. وذلك لأن استقبال عين محراب مسجد النبى ﷺ هو استقبال لعين الكعبة، لأنه وضع بالوحى، فكان مسامتًا لعين الكعبة بدون انحراف، أما من كان بعيدًا عن مكة، فالشرط فى حقه أن يستقبل الجهة التى فيها الكعبة، ولا يلزمه أن يستقبل عين الكعبة، بل يصح أن ينتقل عن عين الكعبة إلى يمينها أو شمالها، ولا يضر الانحراف اليسير عن نفس الجهة أيضًا، لأن الشرط هو أن يبقى جزء من سطح الوجه مقابلاً لجهة الكعبة. . . وهذا رأى ثلاثة من الأئمة، وخالفهم الشافعية»[١٠٣].

والواقع أنه فيما يتعلق بمسألة تحويل القبلة فإن الرسول ﷺ رغب فى أن تكون قبلة المسلمين إسلامية خالصة من خلال فكر إسلامى جديد لكون القبلة الأولى كانت لليهود من جهة، ولأن مكة المكرمة كانت أحب البلاد إليه ﷺ من جهة أخرى فأحب أن يتوجه فى صلاته إليها، وأن يتوجه المسلمون معه وبعده فى كافة أقطار الأرض إليها، ومن ثم نلحظ ذاتية إسلامية جديدة نابعة من فكر الرسول ﷺ ومباركة من قبل الله عز وجل.

وقد اشتد استياء اليهود عندما حولت القبلة فأنزل فيهم الله عز وجل قوله فى سورة البقرة ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[104].

وقال تعالى فى سورة البقرة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[105].

وقال الله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[106].

وقال تعالى فى سورة البقرة ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[107].

مما تقدم نؤكد على أن تصميم المسجد النبوى يعد تصميمًا جديدًا من قبل الرسول ﷺ سواء فى مرحلته الأولى أو فى مرحلتيه الثانية والثالثة قبل تحويل القبلة أو فى مرحلته الرابعة بعد تحويل القبلة، ويتفق هذا التصميم ومتطلبات العقيدة الإسلامية الجديدة، فقد آثر الرسول ﷺ ألا يقتبس أفكاره لتخطيط وتطوير مسجده من المعابد القديمة أو الكنائس كما فعل الرومان والمسيحيون من قبل، وهو الأمر الذى اتضح جليًا فى مسألة تحويل القبلة وما ترتب على ذلك

من تغير فى التخطيط، وهو الأمر الذى سوف يتضح جليًا أيضًا فى مسألة الأذان ونشأة المئذنة فى المسجد النبوى.

هذا فيما يتعلق بمسألة تحويل القبلة وأثرها فى تطور التخطيط[١٠٨]، أما فيما يتعلق بالنقطة الثانية التى تقدم ذكرها وتتعلق باستخدام المدخل فى جدار القبلة فى الظلة الأولى أو القديمة بعد تحويل القبلة من جهة، وسد المدخل الذى كان فى مؤخر المسجد، أى فى جدار القبلة المستحدث فإنه يمكن القول أن مداخل المساجد[١٠٩] تعد من أهم العناصر المعمارية التى خضع توزيعها بشكل رئيسى للتأثيرات العقائدية فى الفن المعمارى الإسلامى، حيث خططت من خلال منظور عقائدى تمثل فى كراهية المرور بين يدى المصلى أو بين صفوف المصلين أو أمامهم، ومن ثم قام المعمار المخطط لتلك المداخل بتخطيطها وفقًا لقواعد معينة تتفق مع المطلب العقائدى لها، فقد راعى الرسول ﷺ والمسلمون عدم وجود مداخل فى جهة جدار القبلة فى أثناء وجود الظلة التى كانت تتجه إلى بيت المقدس، وهى الظلة الأولى أو القديمة فى الجهة الشمالية، ثم قاموا بسد باب مؤخر المسجد عند تشييد الظلة الثانية أو الجديدة فى الجهة الجنوبية، حيث أصبح هذا المؤخر جدار القبلة فى العمارة المستحدثة، ومن ثم كان لابد من أن يخلو من وجود مداخل، كما رأوا استحداث المدخل فى جدار القبلة القديم لأنه لم يعد جدارًا للقبلة، وإنما أصبح جدارًا لظلة أهل الصفة، ويتوصل من هذا المدخل الرئيسى الذى يقع على محور مصلاه ﷺ إلى ظلة أهل الصفة ثم إلى الصحن وظلة القبلة المستحدثة.

ومن منظور عقائدى اكتفى الرسول ﷺ والمسلمون بتوزيع مداخل المسجد على ثلاثة جوانب لتيسير عملية الدخول من قبل المصلين إلى المسجد، وهى الجوانب الشمالية والشرقية والغربية وذلك بعد تحويل القبلة، وكانت قبل تحويل القبلة فى الجوانب الجنوبية والشرقية والغربية، وقد راعى المسلمون أن توزيع المداخل يجب أن يكون وفقًا لتخطيط هندسى متناسق بحيث يقع كل بابين متقابلين على محور واحد فى الجدارين الشرقى والغربى، ويكون مدخل الجدار الذى يمثل مؤخر

المسجد على محور المحراب فى جدار القبلة، وهو الاسلوب الذى شاع فى العمارة الإسلامية فى المشرق والمغرب بعد ذلك وأصبح من أهم سماتها.

ويلاحظ أن الرسول ﷺ حافظ على وجود المدخلين الشرقى والغربى فى عمارة المسجد النبوى سواء قبل أو بعد تحويل القبلة، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فى نص السمهودى الذى تقدم ذكره «. . . وباب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة، والباب الذى كان يدخل منه رسول الله ﷺ، وهو باب آل عثمان اليوم، وهذان البابان لم يغيرا بعد أن صرفت القبلة. .»، ويعزى هذا الأمر إلى عدم ارتباطهما بجدار القبلة سواء القديم أو الحديث.

زيادة مساحة المسجد عقب غزوة خيبر:

أمر الرسول ﷺ بعد نحو سبع سنوات بزيادة مساحة المسجد النبوى، وذلك عقب عودته ﷺ من غزوة خيبر، وذلك نتيجة تزايد أعداد المصلين عقب صلح الحديبية، فزاد فى شرقيه بمقدار عشرة أذرع أو اسطوانة، وزاد فى غربيه بمقدار عشرين ذراعًا أو اسطوانتين، وزاد فى شماليه بمقدار أربعين ذراعًا، ولم يزد ﷺ فى الجهة الجنوبية حيث يوجد جدار القبلة، وأصبح المسجد بعد هذه الزيادة التى تعد الأخيرة فى حياة النبى ﷺ يشغل مساحة مربعة. يبلغ طول ضلعها مائة ذراع(١١٠).

جاء فى صحيح البخارى «أن المسجد كان على عهد رسول الله مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل»(١١١).

ويرى أحمد فكرى بعد استعراض عدة محاولات لرسم تخطيط المسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ من قبل كريزويل (Creswell)، وبوتى (Pauty)، ومحمود عكوش ونقدها أن ظلة القبلة فى المسجد كانت تنقسم إلى ثلاث بلاطات تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وعشر بلاطات تمتد من الشمال إلى الجنوب عمودية بالنسبة لجدار القبلة، وكان كل صف منها يشتمل على تسع سوار من جذوع النخل، وقد اعتمد أحمد فكرى فى ذلك على ما أورده السمهودى

من أنه كان بالمسجد على عهد الرسول ﷺ خمسة أساطين عن يسار المنبر وأربعة عن يمينه»[١١٢].

تحصيب المسجد النبوى:

أما فيما يتعلق بتحصيب المسجد الشريف، فقد نقل السمهودى «روى أبو داود فى سننه عن أبى الوليد قال: سألت ابن عمر عن الحصباء الذى فى المسجد، فقال مطرنا ذات ليلة، فأصبحت الأرض مبتلة، فجعل الرجل يأتى بالحصباء فى ثوبه ويبسطه تحته، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: ما أحسن هذا؟ وهو صريح فى جعل الحصباء فى المسجد فى زمنه ﷺ»[١١٣].

وقد نقل السمهودى أيضًا «والذى يقتضيه كلام المؤرخين أن تحصيب المسجد إنما حدث فى زمان عمر بن الخطاب، فقد روى يحيى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الأزهرى قال: قال عمر بن الخطاب حين بنى مسجد رسول الله: ماتدرى ما نفرش فى مسجدنا، فقيل له: إفرش الخصف والحصر، قال: هذا الوادى المبارك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول «العقيق واد مبارك» قال: فحصبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه»[١١٤].

الآذان والمؤذن والمئذنة وفكر الرسول ﷺ:

«الآذان»

كان المسلمون فى عهد الرسول ﷺ يجتمعون فى المسجد النبوى لأداء فريضة الصلاة عندما تحين مواقيتها بغير دعوة لقلة عددهم من جهة، ولاستمرار تواجدهم مع الرسول ﷺ ومصاحبتهم له من جهة أخرى، ولما انتشر الإسلام بين أهل المدينة والقبائل الضاربة حولها تشاوروا فى أن ينصبوا علامة يعرفون بها وقت صلاة الرسول ﷺ كيلا تفوتهم الجماعة، قال ابن سعد «أخبرنا محمد بن عمر الأسلمى، أخبرنا سليمان بن سليم القارى عن سليمان بن سحيم عن نافع بن جبير قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: وحدثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم قال: وحدثنا معمر بن راشد عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قالوا: كان الناس فى عهد النبى، ﷺ، قبل أن يؤمر بالأذان ينادى منادى النبى، ﷺ، الصلاة جامعة، فيجتمع الناس، فلما صرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان. . .»، فأشار بعضهم بالناقوس فقال «هو للنصارى» وأشار بعضهم بالبوق فقال «هو لليهود»، وأشار بعضهم بالدف فقال «هو للروم» وأشار بعضهم بإيقاد النار فقال «ذلك للمجوس» وأشار بعضهم بنصب راية فلم يعجبه ذلك، فبات عبد الله بن زيد فرأى فى نومه ملكا علمه الآذان والإقامة، فأخبر الرسول ﷺ بذلك وقد وافقت الرؤيا الوحى(١١٥).

مما تقدم يتضح أن الرسول ﷺ كانت له فلسفة خاصة فى العديد من المسائل التى تتعلق بالعقيدة الإسلامية مثل التخطيط والعمارة بالنسبة للمسجد النبوى، والقبلة والآذان وغير ذلك من المسائل التى رغب الرسول ﷺ فى أن تكون مستمدة من روح العقيدة الإسلامية من جهة، وغير مستلهمة من الملل السابقة

كما يتضح فى النص الذى تقدم ذكره من جهة أخرى، أى أن تكون هذه الأفكار ذات صبغة إسلامية خالصة.

الأذان لغة واصطلاحًا:

الآذان اسم مصدر من التأذين وهو لغة: الاعلام.

وشرعا: الاعلام بوقت الصلاة بوجه مخصوص معروف، ويطلق أيضًا على الألفاظ المخصوصة المعروفة(١١٦).

جاء فى فقه السنة فى تعريف الأذان ما نصه «هو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة ويحصل به الدعاء إلى الجماعة، وإظهار شعائر الإسلام، وهو واجب، أومندوب.

قال القرطبى وغيره: الأذان ـ على قلة ألفاظه ـ مشتمل على مسائل العقيدة، لأنه بدأ بالأكبرية، وهى تتضمن وجود الله وكماله، ثم ثنى بالتوحيد، ونفى الشريك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة، عقب الشهادة بالرسالة، لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول ﷺ، ثم دعا إلى الفلاح، وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيدا»(١١٧).

ويقال فيه: الآذان، والأذين، والإيذان، قال الهروى قال: وقال شيخى الأذين هو المؤذن المعلم بأوقات الصلاة، فعيل بمعنى مفعل.

وقال الأزهرى فى شرح ألفاظ المختصر الأذان: اسم من قولك: آذنت فلانا بكذا أوذنه إيذانا، أى أعلمته إعلاما إعلام الصلاة(١١٨).

قال ابن الاثير: وقد ورد فى الحديث ذكر الأذان وهو الاعلام بالشىء، يقال فيه اذن يؤذن ايذانا، واذن يؤذن تأذينا، والمشدد مخصوص فى الاستعمال باعلام وقت الصلاة، والاذان: الاقامة، ويقال: أذنت فلانا تأذينا، أى رددته، قال ابن برى شاهد الأذان قول الفرزدق:

حتى علا فى سور كل مدينة مناد ينادى فوقها بأذان

والأذان، والأذين، والتأذين: النداء إلى الصلاة، وهو الاعلام بها وبوقتها[١١٩] وفى قول: اذن المؤذن تأذينا وأذانا، أى: اعلم الناس بوقت الصلاة، وضع الاسم موضع المصدر.

قال واصل: هذا من الأذن، كأنه يلقى فى آذان الناس بصوته، ما اذا سمعوه علموا أنهم قد ندبوا إلى الصلاة[١٢٠].

واذن للتكثير أى: نادى مرارا[١٢١].

ويوم الاذان: يوم القيامة[١٢٢].

وفى القرآن الكريم فى سورة التوبة:

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[١٢٣].

وفى سورة الأعراف **﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾**[١٢٤].

وفى سورة يوسف **﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾**[١٢٥].

وفى سورة الحج **﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾**[١٢٦].

وفى سورة المائدة **﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾**[١٢٧].

وقوله عز وجل فى سورة الجمعة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١٢٨].

ويذكر جرير فى هجاء الاخطل:

هل تشهدون من المشاعر مشعرا　　　او تسمعون من الآذان اذينا[١٢٩]

والحارث بن حلزة يقول:

آذنتنا ببينها اسماء　　　رب ثاو يمل منه الثواء

اذن المؤذن بالصلاة أعلم بها[١٣٠].

ثبوت الأذان بالقرآن والسنة:

أصل الأذان بمعناه الاصطلاحى ثابت بالقرآن الكريم فى سورة المائدة ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾[١٣١].

وفى سورة الجمعة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[١٣٢].

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الأذان مأمور به، قال النبى ﷺ لمالك بن الحويرث وصاحبه: «إذا حضرت الصلاة فليؤذن احدكما، وليؤمكما اكبركما»[١٣٣].

وفى الحديث أيضا: «ما من ثلاثة لا يؤذنون ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان»[١٣٤].

ويذكر الشوكانى أنه يستدل بهذا الحديث على وجوب الأذان والاقامة لأن الترك الذى هو نوع من استحواذ الشيطان يجب تجنبه[١٣٥].

كيفيات ورود الأذان:

ورد الأذان بكيفيات ثلاث:

أولاً: تربيع التكبير الأول، وتثنية باقى الأذان، بلا ترجيع ماعدا كلمة التوحيد، فيكون عدد كلماته خمس عشرة كلمة لحديث عبد الله بن زيد المتقدم.

ثانيًا: تربيع التكبير، وترجيع كل من الشهادتين، بمعنى أن يقول المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، يخفض بها صوته، ثم يعيدها مع الصوت، فعن أبى محذورة، أن النبى ﷺ علمه الأذان تسع عشرة كلمة.

ثالثًا: تثنية التكبير، مع ترجيع الشهادتين فيكون عدد كلماته سبع عشرة كلمة، لما رواه مسلم، عن أبى محذورة: أن رسول الله ﷺ علمه هذا الأذان:

«الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، ثم يعود، فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله ـ مرتين ـ، أشهد أن محمدا رسول الله ـ مرتين ـ حى على الصلاة ـ مرتين ـ، حى على الفلاح ـ مرتين ـ الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله[١٣٦].

المــؤذن:

ورد ذكر المؤذن فى القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة الأعراف ﴿ **وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾(١٣٧).

وفى قوله عز وجل فى سورة يوسف ﴿ **فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ** ﴾(١٣٨).

ولقد ورد فى معاجم اللغة الأذين بمعنى المؤذن فى البيت:

طهور الحصى كانت اذينا ولم تكن ... بهــا ريبـة مما يخــاف تريــب

وبيت امرئ القيس:

وانـى أذيـن أن رجعـت مملكـــا ... بسـير تـرى فيـه الغرانــق ازورا

قال جرير يهجو الاخطل:

هل تشهدون من المشاعر مشعــرا ... أو تسمعـون مـن الاذان أذينــا؟

ويروى هذا البيت ابن برى، والأذين ههنا بمعنى المؤذن، والأذين بمعنى الأذان أيضا، قال والاذين أيضا المؤذن للصلاة، والداعى: المؤذن.

ولقد عرف بمكة قبل الإسلام مؤذنون كانوا يقومون بدعوة الناس إلى الاجتماع فى الملأ غير أن هذا المصطلح قد اقتصر بعد ظهور الإسلام وسن الأذان على المؤذن للصلاة(١٣٩).

وظيفة المؤذن:

تعد وظيفة المؤذن من بين الوظائف الدينية الهامة الخاصة بأداء شعائر الصلاة فى المساجد والجوامع والمدارس والخوانق والأربطة وغيرها من المنشآت الدينية الهامة التى تقام فيها الصلاة والصلاة الجامعة، ويؤذن فيها للصلاة، ونظرا لصلة المؤذن بالصلاة كانت هذه الوظيفة موضع عناية المسلمين، وقد ذكر ابن قدامة: قال عمر رضى الله عنه «لولا الخلافة لأذنت»[١٤٠].

المؤذن خلال عهد الرسول ﷺ:

يعد بلال بن رباح رضى الله عنه أول من أذن لرسول الله ﷺ، وكان يؤذن له فى حياته سفرا وحضرا فقد أورد ابن سعد مانصه «أول من أذن بلال[١٤١]، وكما أذن بلال لرسول الله ﷺ بالمدينة أذن له يوم الفتح بمكة، وفى ذلك أورد ابن سعد «أن رسول الله ﷺ أمر بلال يؤذن يوم الفتح على ظهر الكعبة فأذن على ظهرها»[١٤٢].

وكان ابن أم مكتوم ثانى اثنين أذنا لرسول الله ﷺ وهو عمرو بن قيس كما يذكره أهل العراق، وهشام بن محمد بن السائب، وقيل عبد الله بن قيس كما يذكره أهل المدينة، وكان ضرير البصر، ورد فى صحيح البخارى «كان ابن أم مكتوم يؤذن لرسول الله ﷺ وهو أعمى»[١٤٣].

وقد أذن لرسول الله ﷺ بمكة بعد الفتح أبو محذورة القرشى الجمحى واسمه أوس وقيل سمرة بن معير بن لوذان أقام بمكة ومات بها، ذكره ابن الأثير فقال «أن رسول الله ﷺ» أقعده، وألقى عليه الأذان حرفا حرفا»[١٤٤].

ولقد أذن لرسول الله ﷺ سعد القرظ بقباء[١٤٥].

ولقد أذن بلال بعد رسول الله ﷺ لأبى بكر الصديق رضى الله عنه، وقد أراد عمر بن الخطاب أن يؤذن له فأبى عليه فقال له إلى من ترى أن أجعل النداء فقال إلى سعد القرظ فإنه قد أذن لرسول الله ﷺ فدعاه عمر فجعل النداء إليه وإلى عقبه من بعده[١٤٦].

جاء أن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يؤذن بين يدى رسول الله ﷺ عند المنبر[١٤٧].

ويحيل عبد الحى الكتانى إلى «كنز العمال» خبر مؤذن غير أولئك هو ثوبان مولى النبى ﷺ[١٤٨].

وأذن لرسول الله ﷺ زياد بن الحارث الصدائى لكنه لم يكن راتبا[١٤٩].

قال ابن حجر وروى الدارمى أن النبى ﷺ أمر نحواً من عشرين رجلاً فأذنوا، ومن الواضح أن هؤلاء لم يشتهروا لأنهم لم يؤذنوا للنبى ﷺ إلا نادرًا، وقد أورد لبيب السعيد نقلاً عن صاحب السيرة الحلبية مؤذنًا لعله من هؤلاء «لايرد عبد العزيز بن الأصم بين مؤذنيه ﷺ، فإنه اذن بين يديه ﷺ مرة واحدة»[١٥٠].

توارث الآذان:

كان توارث الآذان منذ بداية العصر الإسلامى، فقد بقى الآذن بمكة فى نسل أبى محذورة مؤذن رسول الله ﷺ وأولاده من بعده[١٥١].

كما أورد بن سعد فى طبقاته كما تقدم أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه جعل الآذان بعد بلال إلى سعد القرظ الذى أذن لرسول الله ﷺ وإلى عقبه من بعده[١٥٢].

المئذنـة:

هذا فيما يتعلق بالأذان والمؤذن أما فيما يتعلق بالمئذنة فقد كان المسجد النبوى يشتمل على كتلة بنائية مربعة مرتفعة فوق ركن المسجد، حيث يتيسر إقامتها يرقى إليها بلال رضى الله عنه لإعلان الأذان من خلال أقتاب (درجات) وذلك منذ السنة الأولى للهجرة، قال ابن سعد «أخبرنا محمد بن عمر، حدثنى معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال أخبرنى من سمع النوار أم زيد بن ثابت تقول كان بيتى أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى أن بنى رسول الله مسجده، فكان يؤذن بعد على ظهر المسجد وقد رفع له شىء فوق ظهره»(١٥٣). (شكل ٨، ٩).

ويذكر السمهودى مرحلة أكثر تطورًا واستقلالية عن مكان الأذان، حيث قال: كان فى دار عبد الله بن عمر اسطوانة فى قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب، والاسطوانة مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار، وهى فى منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر(١٥٤). (شكل ١٠).

مما تقدم يتضح أن المئذنة انتقلت من مجرد كتلة معمارية بسيطة فى المسجد النبوى إلى كيان معمارى مستقل يعرف بالمطمار وهو عبارة عن تكوين معمارى مربع من قاعدته إلى أعلاه يرقى إليه المؤذن من خلال أقتاب تلتصق به من إحدى جهاته الأربع ووجود الأقتاب يعنى أن المطمار كان عاليًا، وهو أمر تتحقق به الفائدة الانتفاعية التى تتمثل فى إعلام أكبر عدد من سكان المدينة المنورة، وعند تأصيل التكوين المربع للمئذنة نجد أن هذا التصميم كان معروفا فى الجزيرة العربية قبل الإسلام، فقد كان للعرب قبل الإسلام فن معمارى ازدهر وانتشر خارج الجزيرة العربية تمثل فى عمارة الحصون والآطام وكانت فى كثير من الأحيان ذات تخطيط مربع، وتتألف من عدة طبقات، ويحف بها أسوار ولها رحاب ومداخل

حصينة، وكانت هذه الآطام تتخذ مساكن للقبائل والبطون وأسواقا ومستودعات وأبراجا للمراقبة، ولقد كان بالمدينة المنورة على عصر الرسول ﷺ حصون وآطام، وإضافة إلى الآطام فإن الكعبة عبارة عن تكوين معمارى مربع، قال ابن عبد الحكم عند ذكره دار عبد الله بن عمرو بن العاص «وبنى فيها قصرا على تربيع الكعبة الأولى»(١٥٥).

المستشرقون وعمارة المئذنة:

الواقع أن المستشرقين فيما عدا Sauvaget وتبعهم فى ذلك العرب المحدثون فى منهج البحث عن أصل المئذنة وحلقات تطوراتها الأولى ساروا على نفس الأسلوب الذى سارت عليه بقية دراسات الوحدات والعناصر المعمارية الإسلامية خلال عصرها المبكر، وهو الأسلوب الذى يهدف إلى نسبة مصدرها إلى مصادر غير عربية وإسلامية وذلك عن طريق محاولات التأصيل والدراسات المقارنة للوحدات والعناصر المعمارية فى العمائر السابقة على الإسلام خاصة فى العمائر الساسانية والهندية والرومانية والبيزنطية، وأذكر من بين آراء المستشرقين رأى العالم Creswell من خلال دراسة تناول فيها «تطور المئذنة»، حيث انتهى فيها إلى أن فكرة المئذنة نشأت فى سوريا خلال العصر الأموى، وأن المئذنة الأولى اشتقت معماريا من برج الكنيسة السورية(١٥٦).

وهذه النظرية نشرها Marcais فى عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وقبلها Shoisy ثم Thiersch فيما يتعلق بمآذن شمال إفريقية والأندلس على الرغم من أن هذه المنطقة كانت تشتمل على مثلين على غير هذا النمط المربع أحدهما فى الجامع الكبير بأجدابية فى برقة الإقليم والآخر فى جامع طرابلس ٣٠٠هـ/ ٩١٢م(١٥٧).

والواقع أن Creswell ومن تبعه من المستشرقين والعرب لم يتجهوا الوجهة الصحيحة فى دراسة أصل وتطور المئذنة، حيث كان ينبغى عليهم أن يتجهوا ببصرهم مباشرة إلى المدينة المنورة والمسجد النبوى الذى يعد أصل عمارة المسجد فى العالم الإسلامى وليس إلى سوريا والجامع الأموى بدمشق، وهو الأمر الذى

سوف يتأكد لنا تماما عند ذكر المسجد النبوى فى خلافة عثمان رضى الله عنه وتشييد المآذن المربعة من واقع النصوص التاريخية.

المستشرقون وعمل المنبر:

تطرق المستشرقون وفى مقدمتهم Backer إلى أن الرسول ﷺ لم يتخذ منبرا إلا عندما أصبح رجلا عظيما يستقبل السفارات، وذهب Creswell إلى أن المنبر كانت تنقصه الدلالة الدينية فى الأيام المبكرة من الإسلام(١٥٨).

والواقع أنه من خلال النصوص التاريخية يتضح أن الرسول ﷺ كان يستند إلى جذع نخل عندما يخطب الناس نقل السمهودى فى خبر الجذع الذى كان يخطب إليه ﷺ «... عن ابن عمر قال: كان النبى ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه فمسح يده عليه»(١٥٩). ثم فى مرحلة لاحقة دعت الضرورة الصحية من جهة، وكثرة الناس وحاجتهم إلى رؤيته وسماعه من جهة أخرى إلى اتخاذ المنبر، وقد ورد أن صناعته كانت من خشب الطرفاء، وقيل أن الطرفاء هى العرعر، وقيل من خشب الآثل، وقد جاء فى صحيح البخارى فى باب الاستعانة بالنجار والصناع فى أعواد المنبر والمسجد «حدثنا قتيبة قال حدثنا عبد العزيز عن أبى حازم عن سهل قال بعث رسول الله ﷺ إلى امرأة مرى غلامك النجار يعمل لى أعوادا أجلس عليهن... عن جابر أن امرأة قالت يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه فإن لى غلاما نجارا قال إن شئت عملت المنبر(١٦٠).

وكان المنبر يتألف من ثلاث درجات عبارة عن درجتين ومجلس، قال ابن النجار «وطول منبر النبى ﷺ ذراعان وشبر وثلاث أصابع، وعرضه ذراع راجح، وطول صدره وهو مستند النبى ﷺ ذراع وطول رمانتى المنبر التى يمسكها رسول الله ﷺ إذا جلس يخطب شبر وإصبعان»(١٦١).

أول من كسا المنبر:

وقد نقل السمهودى «وروى يحيى عن ابن أبى الزناد أن النبى ﷺ كان يجلس

على المجلس، ويضع رجليه على الدرجة السفلى، فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة الثانية، ووضع رجليه على الدرجة السفلى، فلما ولى عمر قام على الدرحة السفلى، ووضع رجليه على الأرض إذا قعد، فلما ولى عثمان فعل ذلك ست سنين من خلافته، ثم علا إلى موضع النبى ﷺ. ثم قال: قالوا فلما استخلف معاوية زاد فى المنبر، فجعل له ست درجات، وكان عثمان أول من كسا المنبر قبطية»(١٦٢).

المستشرقون وتخطيط المسجد النبوى:

تطرق المستشرقون وفى مقدمتهم Creswell إلى رسم مخططات للمسجد النبوى فى أثناء حياة الرسول ﷺ، غير أنه استنادا لما تقدم من نصوص نجد أن الرسول ﷺ لم يلجأ لبناء مسجد يكون فيه جدار القبلة أقل من جدار المؤخرة، أو تخطيط مساجد يكون فيها المخطط على هيئة دائرية أو شبه المنحرف، أو المثلث، حيث أن كل هذه الأشكال لا تؤدى إلى امتداد صفوف المصلين فى خط مستقيم يمتد خلف الإمام موازيا لجدار القبلة، وهو الامتداد الذى روعى عند تأسيس المسجد النبوى قبل وبعد تحويل القبلة إنطلاقا من القرآن والسنة(١٦٣).

وتفصيل ذلك كما يذكر الشهرى أن Creswell أعد مخططا للمسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ (شكل ١١) رفضه أحمد فكرى(١٦٤) وقال عنه أنه من نسج الخيال، وكان فى هذا الرفض ما يغنى لولا أن تشابه المخططات التى أعدها كل من فريد شافعى (شكل ١٢) و سعاد ماهر (شكل ١٣)، لمخطط Creswell قد دعانى كما يذكر الشهرى إلى دراسة هذه المخططات ومقارنتها بمخطط أحمد فكرى (شكل ١٤) من ناحية وبما اتضح لى من خلال دراستى للمسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ من ناحية ثانية(١٦٥). (شكل ١٥، ١٦).

يعلق الشهرى على مخطط Creswell والمخططات المشابهة فيرى أنه قصر ظلة مؤخر المسجد، وهى الظلة الأولى قبل تحويل القبلة على جزء من بلاطة واحدة تشغل الجانب الشمالى الغربى من المسجد، ولا يعقل أن يكون المسجد قد بقى دون ظلة تحمى المسلمين من الحر والمطر قبل تحويل القبلة، ولا يظن أن الرسول ﷺ قد هدم هذه الظلة الشمالية عند تحويل القبلة إلى الظلة الجنوبية إلا إذا كانت

جدران المسجد كلها قد تعرضت للتغيير عقب تحويل القبلة، وهو احتمال له وجاهته، وعلى ذلك فإن ما يحظى بالقبول والتأييد هو أن هذا الجزء المخصص للصلاة قبل تحويل القبلة والذى كان مسقوفًا بسعف النخيل أو غيره قد خصص لأهل الصفة - لنومهم وراحتهم - دون بقية المسجد، وكان عددهم يتراوح بين السبعين والمائة، ولم تشر النصوص الكثيرة التى وجدها واطلع عليها ما يشير إلى تحديد موقعها من مؤخر المسجد، مما يزكى فى اعتقاده أن الظلة كانت بامتداد الجدار الشمالى للمسجد، وقد جاء موقع هذه الظلة فى المخطط الذى أعده محمود عكوش (شكل ١٧). ومخطط المسجد النبوى بعد عمارة السلطان عبد المجيد له سنة ١٢٧٧ هـ فى الجانب الشمالى الشرقى من المسجد بخلاف Creswell ومن أخذ برأيه فى الجهة الشمالية الغربية على غير سند فى كلتا الحالتين(١٦٦).

أما فيما يتعلق بمقدم المسجد فيرى الشهرى(١٦٧) أن المخططات قد قصرت هذا المخطط على بلاطتين فقط، بينما مقدم المسجد كان يتألف من ثلاث بلاطات ومثلها أيضا فى مؤخر المسجد، وهو فى ذلك يتفق مع أحمد فكرى فى مشروعه لرسم تخطيط المسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ.

أما فيما يتعلق ببيوت أمهات المؤمنين كلها فى الجهة الشرقية من المسجد على إمتداد جدار المسجد الشرقى حتى باب جبريل عليه السلام فإنه يرى أن الكثير من الروايات تؤيد امتداد بيوت أمهات المؤمنين إلى الجنوب من حجرة عائشة رضى الله عنها على الرغم من تأييد بعض الروايات لوجودها فى الجهة الشرقية من المسجد، ومنها دار حفصة رضى الله عنها، وقد دخل بعضها فى المسجد النبوى فى عمارة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك، بعد اتفاق عمر بن العزيز رضى الله عنه مع أصحابها على فتح الخوخة المعروفة بخوخة آل عمر(١٦٨).

ويرى الشهرى(١٦٩) أن فى نقد أحمد فكرى لمخطط كل من Pauty (شكل

١٨) ومحمود عكوش (شكل ١٥) ما يفى الغرض، ولاسيما وأن محمود عكوش قد شارك المخططات السابقة فى قصره ظلة مؤخر المسجد على جانب أمام الجدار الشمالى، وفى ذلك يذكر أحمد فكرى أن Pauty حاول أن يرسم شكلا آخر للمسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ، فلم يكن أكثر توفيقا من Creswell، إذ رسم حدود المسجد المربعة مختلفة الشكل متعرجة الأضلاع، على الرغم من أنه جعل للقبلة جدارا مستقيما فى داخل المربع المتعرج، وجعل أمامها ظلة، وجعل للمسجد بابا واحدا فى مؤخره ويرى أحمد فكرى أن مشروع Pauty لا يستند إلى الحقائق التاريخية، ولهذا فإنه لا يعدو أن يكون أيضا من نسج الخيال، ثم يعلق Creswell على رسم محمود عكوش قائلا أن هذا الرسم مصغر غير واضح المعالم، وهو فوق هذا يشتمل على أربعة أخطاء: الأول، أنه جعل لأهل الصفة ظلة صغيرة محدودة فى ركن شمال المسجد، فى حين أن المعروف أنه كان للمسجد مؤخر، هو بيت صلاته الأول الذى كان متجها إلى بيت المقدس وأن ظلته كانت تمتد من المشرق إلى المغرب، وأن أهل الصفة كانت لهم موضع من هذه الظلة، والخطأ الثانى أنه جعل حدود المسجد، بعد زيادته الأولى مائة ذراع، وقد أوضحت أنها تسعون ذراعا من الشرق إلى الغرب، وكان مائة ذراع من القبلة إلى الشام، والخطأ الثالث أنه جعل زيادة الرسول ﷺ للمسجد قدر اسطوانتين فى شرقية، واسطوانة فى غربيه وكانت الزيادة عكس ذلك فى شرقيه بمقدار عشرة أذرع أو اسطوانة وفى غربيه بمقدار عشرين ذراعا، أو اسطوانتين، والخطأ الرابع أنه فتح أبواب المسجد الثلاثة فى غير مواضعها منه، وهى مازالت محتفظة بهذه المواضع إلى اليوم(١٧٠).

ويلاحظ الشهرى على مخطط أحمد فكرى أنه قصر طول جدار القبلة الممتد من الشرق إلى الغرب على تسعين ذراعا، وهو ما تقدم ذكره، ويرى أن فى هذا إهمال لكثير من الروايات التى تؤيد تربيع المسجد، وتنص صراحة على أنه مائة فى مائة ذراع، هذا فضلا عن أن مخططه يحتوى على عشر بلاطات بكل من الظلتين، وقد ورد أن بعد الاسطوانات عن بعضها عشرة أذرع، وفى هذا تأييد

لكون جدار القبلة مائة ذراع، ولكنه يذكر فى موضع آخر أن طوله تسعون ذراعا[١٧١].

كما يلاحظ أن باب النساء الموقع على المخطط لم يفتح إلا فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بالإضافة إلى إهماله للباب الذى نقل بعد تحويل القبلة من الجدار الجنوبى إلى منتصف الجدار الشمالى علما بأن الأبواب الثابت وجودها فى عهد الرسول ﷺ ثلاثة أبواب باب فى خلفه وباب عن يمين المصلى وباب عن يساره[١٧٢].

هذا ويرى الشهرى أن المخطط الذى أعده حسن الباشا (شكل ١٩) عن المسجد النبوى بعد تحويل القبلة رغم اشتماله على ظلة جنوبية وأخرى شمالية، إلا أنه قصر البلاطات فى كل منهما على بلاطتين، وهو مخالف لعدد البلاطات الثلاث التى ثبت وجودها فى ظلة القبلة، بالإضافة إلى أنه جعل بين الحجرات التى ظهرت بالمخطط وبين المسجد طريقا ضيقا، وهو مخالف لما ثبت من أن الحجرات شرعت فى المسجد النبوى بعد الزيادة الأخيرة سنة سبع من الهجرة، هذا فضلا عن قصره الحجرات على حجرتين فقط[١٧٣].

كما يرى أن المخطط الذى أعده أيضا حسن الباشا (شكل ٢٠) فى كتابه المدخل عن المسجد النبوى فى فجر الإسلام فإنه لا يشير إلا إلى تحديد موضع الزيادات من المسجد النبوى دون ذكر عدد الأذرع المضافة فى كل زيادة سواء فى المتن أو على الرسم، إلا أنه يدل بشكل واضح على نسبة الزيادات، كما أنه تدارك ما فاته فى المخطط الأول فجعل بيوت أمهات المؤمنين ملاصقة لجدار المسجد الشرقى، وإن كان قد قصرها على ثمانى حجرات بدلا من تسع[١٧٤]. أنظر أيضا (شكل ٢١).

دور (بيوت) الرسول ﷺ:

تعد دور الرسول ﷺ الملحقة بالمسجد النبوى بالمدينة المنورة من جهته الشرقية الأمثلة الأولى للعمارة السكنية فى العصر الإسلامى، وتتكون هذه الدور من تسع حجرات عبارة عن بيوت تضم فى داخلها هذه الحجرات، وقد شيدت فى أوقات مختلفة، نقل السمهودى «انه ﷺ لما بنى مسجده الشريف بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل. قال ابن النجار: وكان لبيت عائشة مصراع واحد من عرعر أو ساج، قال: ولما تزوج رسول الله ﷺ بنى لهن حجرًا، وهى تسعة أبيات وهى ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذى يلى باب النبى ﷺ»[١٧٥]، وتتسم هذه الدور ببساطتها من حيث التصميم والعمارة شأنها فى ذلك شأن المسجد النبوى عند تأسيسه، فقد جاء كل بيت يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها من ٣-٣,٥م يغطيها سقف منخفض، وقد جاءت جدرانها من خشب العرعر، وأكسية من الشعر، يتقدمها مدخل صغير بسيط لا حلق له[١٧٦].

وقد نقل السمهودى «وورد أن بابه ﷺ كان يقرع بالأظافير: أى لاحلق له»[١٧٧]. وقال ابن النجار فى الدرة الثمينة على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل»[١٧٨].

وجاء فى إعلام الساجد «وبنى بيوتا إلى جانبه ولما فرغ من بنائه بنى بعائشة فى البيت الذى بناه لها شرقى المسجد، وهو مكان حجرته اليوم.. وقال الحافظ شمس الدين الذهبى.. لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد، ولا أحسبه بعد ذلك إنما كان يريد بيتا واحدا حينئذ لسودة أم المؤمنين، ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى بعائشة فى شوال سنة اثنتين، وكأنه عليه

السلام بناها فى أزمان مختلفة، وقال السهيلى: قال الحسن البصرى كنت أدخل بيوت النبى ﷺ وأنا غلام مراهق وأنال السقف بيدى. وكان لكل بيت حجرة وكانت حجره من أكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر(١٧٩).

وقد أورد السمهودى «وقد اضيفت البيوت فى القرآن العظيم مرة إليه ﷺ ومره إليهن، والظاهر أن الإضافة الأولى هى الحقيقية، لما تقدم من أن النبى ﷺ بناها، ولأنه كان يجب عليه إسكانهن، غير أن لهن فيها بعده حق السكنى لحبسهن لحقه ﷺ»(١٨٠).

قال تعالى فى سورة الأحزاب ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾.

وقال تعالى فى سورة الأحزاب أيضًا ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾.

المدينة المنورة وعمائرها الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ:

غدت المدينة المنورة عقب هجرة الرسول ﷺ إليها عاصمة وحاضرة للدولة الإسلامية الناشئة وقد شيد بها الرسول ﷺ مسجده الجامع ومساكنه فى موضع آثر الرسول ﷺأن يتوسط المدينة المنورة والأنصار حتى يكون المسجد الجامع بمثابة القلب من المدينة، قال ابن النجار «اختار رسول الله ﷺ المنازل فنزل فى منزله ومسجده فأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأبصار»(١٨١).

وقد اختطت القبائل من المهاجرين حول المسجد الجامع والمساكن فى الأرض التى وهبها الأنصار للرسول ﷺ، قال ياقوت الحموى «فلما قدم رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة مهاجرا أقطع الناس الدور والرباع»(١٨٢).

وتوزعت المساجد على الخطط، حيث بلغ عددها تسعة مساجد للصلوات الخمس، كما شيد الرسول ﷺ مصلى العيد، وبذلك تكاملت عمائر المدينة المنورة الدينية والمدنية(١٨٣).

هذا وقد اشتملت كل خطة على مقبرة خاصة بها، وشيد الرسول ﷺ السوق، نقل السمهودى فيما جاء فى سوق المدينة الذى تصدق به النبى ﷺ على المسلمين «روى عمر بن شبة عن عطاء بن يسار قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يجعل للمدينة سوقا أتى سوق بنى قينقاع، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال: هذا سوقكم، فلا يضيق، ولا يؤخذ فيه خراج. وروى ابن زبالة عن يزيد بن عبيد الله بن قسيط أن السوق كانت فى بنى قينقاع حتى حول السوق بعد

ذلك»[١٨٤]، وأقر نظام المراقبة فيه، وربطت الطرق الرئيسية والفرعية بين هذه التكوينات المعمارية الدينية والمدنية والجنائزية، وسن الرسول ﷺ إنشاء مقار للعلاج والتطبيب، فأمر بعد عودته من غزوة الخندق بوضع خيمة فى المسجد للتداوى، وخصصت بالمدينة على عهده دور للضيافة، واستقبال الوفود، وأقر اتخاذ الحبس ونظام الوقف، فقامت المدينة المنورة بدورها السياسى والدينى والإدارى، وبتشييد الخندق وتحصين جدران المنازل القريبة منة قامت المدينة المنورة بدورها الحربى[١٨٥].

الاستحكامات الحربية والتأثير الفارسى:

يعد حفر الخندق من التأثيرات التى انتقلت من الحضارة الساسانية إلى الحضارة الإسلامية قبل الفتوحات الإسلامية فى المشرق والمغرب، ويعد الخندق من العناصر الدفاعية الهامة فى العمارة الحربية (الدفاعية) لتحصين المدن والقلاع، فقد عرف المسلمون حفر الخنادق منذ فجر الإسلام بتأثير فارسى، إذ أحيطت المدينة المنورة فى أثناء غزوة الخندق سنة ٥ هـ/ ٦٢٦م بخندق نقل السمهودى فى أحداث السنة الخامسة من الهجرة عند ذكره غزوة الخندق «سميت بذلك لحفر النبى ﷺ الخندق بإشارة سلمان الفارسى، وتسمى بالأحزاب لاجتماع طوائف من المشركين فيها على الحرب، وهم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب»[١٨٦]، قال الطبرى «فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة. فحدثت عن محمد بن عمر. قال: كان الذى أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان.. قال يارسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا[١٨٧]. (شكل ٢٢).

وقد شارك الرسول ﷺ فى حفر الخندق مثلما شارك من قبل فى بناء المسجد النبوى بالمدينة المنورة والمساكن لكى يرغب المسلمين فى العمل فيه، واتسم عملهم بالدقة والإحكام. قال الطبرى «فعمل رسول الله ﷺ ترغيبا للمسلمين فى الأجر، وعمل فيه المسلمون: فدأب فيه ودأبوا.. وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه»[١٨٨]. قال الطبرى «فحدثنا محمد بن باشر، قال: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، قال: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى، قال: حدثنى أبى عن أبيه، قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب من أجم الشيخين طرف بنى حارثة، حتى بلغ المذاد ثم قطعه أربعين ذراعًا بين كل عشرة،

فاحتق المهاجرون والانصار فى سلمان الفارسى ـ وكان رجلاً قويًا ـ فقالت الأنصار: سلمان منا، وقالت المهاجرون: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت. قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسلمان، وحذيفة بن اليمان، والنعمان بن مقرن المزنى، وستة من الأنصار، فى أربعين ذراعًا، فحفرنا تحت ذوياب حتى بلغنا الندى، فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا، وشقت علينا ـ فقلنا: ياسلمان، ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فأنا لا نحب أن نجاوز خطه فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ . . . فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان فى الخندق، وراقبنا نحن التسعة على شقة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتيها ـ يعنى لابتى المدينة. . . فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون»[١٨٩]. وقد قام الرسول ﷺ بتحصين جدران المنازل التى تقع قرب الخندق، واتخذ المعسكرات لجنده خارج المدينة مثل معسكر الجرف الذى يبعد ثلاثة أميال فى اتجاه الشمال مما يدل على اهتمامه الكبير بالناحية الدفاعية فكان ذلك بمثابة إقرار وسنة بتشييد العمارة الدفاعية التى أعدت من البناء الواجب شرعا[١٩٠].

ونقل السمهودى «وعملوا فى الخندق خمسة عشر يوما، وكان لقريش مابين راتج إلى مسجد الأحزاب، والأنصار ما بين مسجد الأحزاب إلى بنى سلمة، وللموالى ما بين راتج إلى بنى عبد الأشهل، فلما وصل القوم عسكروا بالجرف، وبعثوا رجلا من رجالهم، فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية، فما يجدون مدخلا، والناس متلبسون السلاح قد قاموا على أفواه الخنادق يرمون بالنبل والحجارة. . »[١٩١].

وقد أورد ابن الأثير «فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا»[١٩٢].

ويضيف ابن الأثير «. . . وتسلل عنه جماعة من المنافقين بغير علم رسول الله ﷺ، فأنزل الله فى ذلك: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١٩٣).

وكان الرجل من المسلمين إذا نابته نائبة لحاجة لابد منها يستأذن رسول الله ﷺ، فيقضى حاجته ثم يعود، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٩٤).

قال الله عز وجل فى سورة النور فيما يتعلق بالمؤمنين وحفر الخندق ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وقال تعالى أيضًا فى سورة النور فيما يتعلق بالمنافقين وحفر الخندق ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

مساجد الرسول ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك:

قال ابن هشام «مساجد الرسول: وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة: مسجد بتبوك، ومسجد بثنية مدران، ومسجد بذات الزراب، ومسجد بالأخضر، ومسجد بذات الخطمى، ومسجد بألاء، ومسجد بطرف البتراء. من ذنب كواكب، ومسجد بالشق، شق تارا، ومسجد بذى الجيفة، ومسجد بصدر حوض، ومسجد بالحجر، ومسجد الصعيد، ومسجد بالوادى، اليوم، وادى القرى، ومسجد بالرقعه من الشقة، شقة بنى عذرة، ومسجد بذى المروة، مسجد بالفيفاء، ومسجد بذى خشب»[١٩٥]. (أشكال ٢٣ - ٢٥).

أما تبوك التى نسب إليها المسجد الأول فقد ذكرها ياقوت الحموى بقوله «بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادى القرى والشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبى ﷺ، وأقام بها النبى، ﷺ، بتبوك أياما حتى صالحه أهلها»[١٩٦].

أما ثنية مدران فقد ذكرها ياقوت الحموى بقوله «بكسر الميم: موضع فى طريق تبوك من المدينة، بنى النبى، ﷺ، فيه مسجدًا فى مسيره إلى تبوك»[١٩٧].

أما الزراب فقد ذكرها ياقوت الحموى بقوله «الزراب: موضع فيه مسجد رسول الله، ﷺ، بناه فى مسيره إلى تبوك من المدينة»[١٩٨].

أما مسجد الأخضر فقد أورده ياقوت بقوله «الأخضر: بضاد معجمة، بلفظ الأخضر من الألوان: منزل قرب تبوك بينه وبين وادى القرى، كان قد نزله رسول الله، ﷺ، فى مسيره إلى تبوك، وهناك مسجد فيه مصلى النبى، ﷺ»[١٩٩].

أما مسجد ذات الخطمى فقد ذكره ياقوت الحموى بقوله «الخطمى: ذات الخطمى: موضع فيه مسجد رسول الله، ﷺ، بناه فى مسيره إلى تبوك من المدينة. . .»(٢٠٠).

أما مسجد طرف البتراء فقد قال عنه ياقوت الحموى «البتراء. . . موضع ذكره فى غزوة النبى، ﷺ، لبنى لحيان، قال ابن هشام: سلك النبى، ﷺ. . . وذكر ابن اسحاق فى مساجد النبى، ﷺ، فى طريقه إلى تبوك فقال: ومسجد بطرف البتراء من ذنب الكواكب»(٢٠١).

كما أورد ياقوت الحموى «شق: بكسر أوله ويروى بالفتح، عن الغورى فى جامعه: اسم موضع. . وقيل هو الناحية، والشق، بالفتح، عن الزمخشرى، ويرويه بالكسر أيضًا: من حصون خيبر»(٢٠٢).

كذلك أورد «تاراء: بالراء، قال ابن إسحاق وهو يذكر مساجد النبى، ﷺ، بين المدينة وتبوك فقال ومسجد الشق شق تاراء، قال نصر: تاراء موضع بالشام»(٢٠٣).

أما مسجد ذى الجيفة فقد ذكره ياقوت الحموى بقوله «الجيفة: وهو ذو الجيفة: موضع بين المدينة وتبوك، بنى النبى، ﷺ، عنده مسجدا فى مسيره إلى تبوك»(٢٠٤).

هذا وقد أورد ياقوت «حوض بالفتح ثم السكون. . . هو اسم ماء لبنى طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن بن قريط بن عبد بن أبى بكر بن كلاب إلى جنب جبل فى ناحية الرمل، وقد تقدم انه حوضاء ممدود. . .»(٢٠٥).

كما أورد «الحجر: بالكسر ثم السكون. . . ثم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام»(٢٠٦).

أما فيما يتعلق بمسجد الصعيد فقد أورد ياقوت الحموى «الصعيد: بالفتح ثم الكسر، قال الزجاج: الصعيد وجه الأرض. . . والصعيد: واد قرب وادى القرى فيه مسجد لرسول الله، ﷺ، عمره فى طريقه إلى تبوك. .»(٢٠٧).

كما أورد «وادى القرى. . . واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى، والنسبة إليه وادى. . . وفتحها النبى، ﷺ، سنة سبع عنوة ثم صولحوا على الجزية»(٢٠٨).

أما مسجد الرقعة فقد ذكره ياقوت الحموى بقوله «الرقعة: بالفتح ثم السكون: موضع قرب وادى القرى من الشقة شقة بنى عذرة، فيه مسجد للنبى، عليه الصلاة والسلام، عمره فى طريقه إلى تبوك سنة تسع للهجرة»(٢٠٩).

كما أورد «المروة: واحدة المرو، . . . وذو المروة: قرية بوادى القرى، وقيل: بين خشب ووادى القرى. . . »(٢١٠).

وقد أورد الطبرى فيما يتعلق بمسجد الفيفاء «ثم غزا يريد قريشًا، فسلك على نقب بنى دينار بن النجار، ثم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها: ذات الساق، فصلى عندها، فثم مسجده. . »(٢١١).

قال ياقوت الحموى «فيفاء: بالفتح وتكرير الفاء، الفيف: المفازة التى لاماء فيها من الاستواء والسعة. . . وقيل: الفيفاء الصحراء الملساء، وقد اضيف إلى عدة مواضع، منها: فيفاء الخبار. . . وهو بالعقيق. . »(٢١٢).

كما أورد «خشب: بضم أوله وثانيه. . . واد على مسيرة ليلة من المدينة، له ذكر كثير فى الحديث والمغازى»(٢١٣).

عمارة المسجد فى بلاد اليمن فى عهد الرسول ﷺ:

جامع صنعاء الكبير:

كانت بلاد اليمن فى طليعة البلاد التى شهدت إقامة المساجد الأولى فى صدر الإسلام وخاصة فى عهد الرسول ﷺ وفق ما ورد فى المصادر التاريخية، ويعد الجامع الكبير بصنعاء من أقدم مساجد بلاد اليمن، إذ تجمع المصادر التاريخية على تأسيسه فى حياة الرسول ﷺ حين بعث بالصحابى وبر بن يحنس الأنصارى واليًا على صنعاء فى عام ٦ هـ/ ٦٢٧م وأمره ببناء هذا المسجد، وقيل أن مؤسسه هو فروة بن مسيك المرادى، وقيل إبان بن سعيد بن العاص القرشى، وقيل غير ذلك(٢١٤). (شكل ٢٦).

وقد جاءت عمارة جامع صنعاء فى بدايتها بسيطة من الناحية المعمارية شأنها فى ذلك شأن عمارة المسجد النبوى فى مرحلته الأولى قبل تحويل القبلة، فقد كان يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٢م، يتوصل إليها من مدخل واحد، ثم تعرض المسجد إلى مراحل عديدة من التجديد والتعمير والإضافة خلال عصوره الإسلامية المتعاقبة(٢١٥).

الجامع الكبير بذمار:

أورد الرازى فى تاريخ مدينة صنعاء أن تأسيس مسجد ذمار كان بعد تأسيس مسجد صنعاء بأربعين يومًا، وقبل بناء جامع الجند، أى أنه يقع بين مسجدى صنعاء والجند حيث قال «كان بين عمارة مسجد صنعاء وبين مسجد ذمار أربعون يومًا، وهو المسجد الثانى ثم مسجد الجند»(٢١٦). شيد المسجد بحجر الحبش الأسود والجص، واستخدم الطابوق فى بناء المئذنة، وقد تعرض المسجد للعديد

من الإضافات والتجديدات خلال عصوره الإسلامية المتعاقبة شأنه فى ذلك شأن الجامع الكبير بصنعاء(٢١٧).

جامع الجند:

يعد جامع الجند من الجوامع التى شيدت خلال عهد الرسول ﷺ، بناه الصحابى معاذ بن جبل رضى الله عنه عندما توجه إلى بلاد اليمن، فقد أورد الرازى عند ذكره عمارة مسجد صنعاء قبل مسجد الجند «قال محمد بن داوود بن قيس: بنى مسجد صنعاء الجامع قبل مسجد الجند بستة أشهر بأمر رسول الله ﷺ فهو أفضل لقدمه عليه»(٢١٨).

وفى موضع آخر أورد «كان بين عمارة مسجد صنعاء وبين مسجد ذمار أربعون يوما وهو المسجد الثانى ثم مسجد الجند ومسجد رسول الله ﷺ قبلها»(٢١٩).

جاءت عمارة المسجد عند تأسيسه بسيطة شأنها فى ذلك شأن المسجد النبوى بالمدينة المنورة قبل تحويل القبلة ومسجد صنعاء الكبير ومسجد ذمار، ثم تعرض المسجد عبر عصوره الإسلامية إلى العديد من التجديدات والإضافات شأنه فى ذلك شأن بقية المساجد التى تقدم ذكرها.

ومن الإشارات التاريخية التى تدلنا على أن بلاد اليمن كانت فى طليعة البلاد التى شهدت عمارة المساجد ما أورده الرازى فى تاريخه ونصه «قال الكشورى: وذكر بعض المشائخ أن مسجد ضهر بنى سنة سنة: يعنى فى أول سنة التأريخ ومسجد صنعاء سنة ست من التاريخ(٢٢٠).

ويدعم هذا النص عمارة المساجد قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وهى العمارة التى تقدم ذكرها فى رواية السمهودى عن «ابن أبى شبة عن جابر قال: لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله ﷺ سنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة».

هوامش وتعليقات الفصل الثانى

(١) ورد ذكر المسجد الحرام فى القرآن الكريم فى خمسة عشر موضعًا، ستة فى البقرة فى الآيات ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١٧، وورد فى سورة المائدة فى الأية ٢، وفى سورة الأنفال فى الآية ٣٤، وفى سورة التوبة فى الآيات ٧، ١٩، ٢٨، وفى سورة الإسراء فى الآية ١، وفى سورة الحج فى الآية ٢٥، وفى سورة الفتح فى الآية ٢٥، والآية ٢٧ .

مزيد من التفاصيل انظر الفصل الأول من الكتاب.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٤ .

(٣) سورة المائدة، آية ٢ .

(٤) سورة الانفال، آية ٣٤ .

(٥) سورة التوبة، آية ٧ .

(٦) سورة الإسراء، آية ١ .

(٧) سورة الحج، آية ٢٥ .

(٨) سورة الفتح، آية ٢٥ .

(٩) قال الزركشى، وأما ابن أبى الصيف اليمن فقال بعد ذكر المواضع الخمسة عشر: منها ما أرد به الكعبة كقوله: «فول وجهك شطر المسجد الحرام». ومنها ما أرد به مكة كقوله «سبحان الذى أسرى بعبده» وقد روى أنه أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبى طالب، ومنها ما أراد به الحرم كقوله تعالى «إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام».

الزركشى: إعلام الساجد، ص ٦٠ .

(١٠) سورة آل عمران، آية ٩٦ .

(١١) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٨ .

(١٢) البخارى: صحيح البخارى، مج ٢، جـ ٥، ص ٥١، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ١، ص ص ٦٩ - ٧٠ .

(١٣) سورة الإسراء، آية ٨١ .

(١٤) ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد أبى عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت ٦٣٠هـ: الكامل فى التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، جـ٢، ص ١٢٥ .

أنظر أيضًا: ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٤، ص ٥٩ .

(١٥) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة، القاهرة، ص ص ١٠٩-١١٣ .

(١٦) البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٥، ص ٥١ .

(١٧) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٥٧، حسن الباشا: مدخل إلى الآثار، ص ١١٣، جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، مؤسسة دار الهلال، ١٩٦٨م، الطبعة الأولى، ص ٦٩ .

ويحدد ياقوت الحموى ارتفاع الجدار بقوله «دون القامة فكانت المصابيح توضع عليه».

انظر: ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، مج ٥، ص ١٢٤ .

(١٨) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٢، ص ص ٣٦٠-٣٦١ .

(١٩) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٥٢ .

(٢٠) زكى محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربى، القاهرة، بيروت، ص ص ٣٤٥ - ٣٤٧ .

(٢١) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٥٧ .

(٢٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٢، ص ٤٦١ .

(٢٣) قال الزركشى لها أسماء كثيرة، وحكمة ذلك أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى، وتتمثل هذه الأسماء فى مكة، وبكة بالباء، لأنها تبك أعناق الجبابرة، أى تكسرهم،

والبلد الأمين، لتحريم القتال فيه، والبيت العتيق لأنه قديم البناء اذ كانت الملائكة تطوف به قبل خلق آدم، والبيت الحرام، لتحريم القتال فيه، والمأمون، وأم القرى، والناسة من نسى الشىء إذا يبس من العطش، والباسة لأنها تبس من ألحد فيها، أى تحطمه وتهلكه، والنساسة لأنها تنس الملحد فيها، أى تطرده، وصلاح، لأن فيها صلاح الخلق، وأم رحم لأن الناس يتراحمون ويتواصلان فيها، وأم زحم، من ازدحام الناس فيها، وكوثى باسم موضع منها، والحاطمة لحطمها الملحد، والعرش، والقادس من التقديس، والمقدسة والقادسة، والبلد، والبلدة، والقرية، والبنية، وطيبة، والحرم، والمسجد الحرام، والمعطشة، وبرة، والرتاج، والكعبة، والرأس.

مزيد من التفاصيل عن هذه الأسماء أنظر:

الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٧٨-٨٣ .

(٢٤) جاء فى صحيح البخارى فى باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة «حدثنى مطر بن الفضل حدثنا روح بن عبادة حدثنا زكرياء بن إسحق حدثنا عمرو بن دينار عن ابن عباس قال مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين».

البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٥، ص ٧٣ .

انظر أيضًا: الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م: تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مج١، ص ص ٥٧٢ - ٥٧٣ .

(٢٥) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ص ٢٧٨-٢٩٦ .

أوردت سعاد ماهر أن مكان المعجن يعد أول مكان سجد فيه النبى ﷺ. مزيد من التفاصيل انظر:

سعاد ماهر محمد: مساجد فى السيرة النبوية، ص ١١ .

(٢٦) «وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن بذلك، فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان، قالت عائشة، فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال قد علمت الذى عاقدت لك عليه، فاما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع

إلى ذمتى فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى اخفرت فى رجل عقدت له، فقال أبو بكر فإنى أرد إليك طورك، وأرضى بجوار الله عز وجل، والنبى ﷺ يومئذ بمكة فقال النبى ﷺ للمسلمين إنى أريت دار هجرتكم ذات نخل. . . فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال رسول الله ﷺ على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال نعم، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه. .».

البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٥، ص ص ٧٤-٧٥ .

(٢٧) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ٣، ص ١٧٣ .

(٢٨) «فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم إن أبا بكر لايخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره. .».

البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٥، ص ص ٧٣-٧٤ .

(٢٩) أورد السمهودى فى وفاء الوفا فى أسماء هذه البلدة الشريفة «أعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة، وقد استقصيتها بحسب القدرة حتى إنى زدت على شيخ مشايخنا المجد الشيرازى اللغوى ـ وهو أعظم الناس فى هذا الباب ـ نحو ثلاثين اسما. . . الأول: أثرب، كمسجد، بفتح الهمزة. . . الثانى أرض الله. . الثالث أرض الهجرة. . الرابع «أكالة البلدان» لتسلطها على جميع الأمصار. . الخامس أكالة القرى. . السادس الإيمان. . السابع البارة، الثامن البرة. . التاسع البحرة. . العاشر البحيرة. . الحادى عشر البحيرة بفتح أوله. . الثانى عشر البلاط. . البلد. . بيت الرسول ﷺ. . تندد. . تندر. .الجابرة. . جبار. . الجبارة. . جزيرة العرب. . الجنة الحصينة بضم الجيم، وهى الوقاية. . الحبيبة لحبه لها

ﷺ، وقال «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد» . . الحرم بالفتح بمعنى الحرام، لتحريمها، وفى حديث مسلم «المدينة حرم» . . حرم رسول الله ﷺ لأنه الذى حرمها . . حسنة . . الخيرة . . الخيرة كالذى قبله إلا أن الياء مخففة . . الدار . . دار الأبرار . . الثلاثون دار الأخيار لأنها دار المصطفى المختار، والمهاجرين والأنصار . . دار الإيمان . . دار السنة . . دار السلامة . . دار الفتح . . دار الهجرة . . ذات الحجر . . ذات الحرار . . ذات النخل . . السلقة . . سيدة البلدان . . الشافية . . طابة . . طيبة . . طيبة . . طائب . . طباب . . العاصمة . . العذراء . . العراء . . العروض . . الغراء . . غلبة . . الفاضحة . . القاصمة . . قبة الإسلام . . قرية الأنصار . . قرية رسول الله ﷺ . . قلب الإيمان . . المؤمنة . . المباركة . . مبوأ الحلال والحرام . . مبين الحلال والحرام . . المجبورة . . المحببة . . المحبوبة . . المحبورة . . المحرمة . . المحفوفة . . المحفوظة . . المختارة . . مدخل صدق . . المدينة، ومدينة الرسول ﷺ . . المرحومة . . المرزوقة . . مسجد الأقصى . . المسكينة . . المسلمة . . مضجع رسول الله ﷺ . . المطيبة . . المقر . . المكتان . . المكينة . . مهاجر رسول الله ﷺ . . الموفية . . الناجية . . نبلاء . . النحر . . الهذراء . . يثرب . . يندد . . يندر . . . ».

مزيد من التفاصيل انظر:

السمهودى (نور الدين على بن أحمد) ت ٩١١هـ: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جـ١، ص ص ٨-٢٧ .

(٣٠) محمد محمد الكحلاوى: القيم الدينية وأثرها فى تخطيط عمارة المساجد، دراسات فى علم الآثار والتراث، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، قسم الآثار والمتاحف، كلية الاداب، جامعة الملك سعود، الرياض، العدد الأول، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ص ١٦٩-١٧١ .

وقد أورد السيد سابق عند ذكره المساجد والدعاء عند التوجه إليها «بسن الدعاء، حين التوجه إلى المسجد، بما يأتى:

قالت أم سلمة: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته، قال: «باسم الله، توكلت على الله، اللهم إنى أعوذبك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو

أجهل أو يجهل على». رواه أصحاب السنن، وصححه الترمذى.

وروى أصحاب السنن الثلاثة، وحسنه الترمذى، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال إذ اخرج من بيته: باسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: حسبك! هديت، وكفيت، ووقيت. وتنحى عنه الشيطان».

مزيد من التفاصيل انظر:

السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ص ٢٩٣-٢٩٤ .

(٣١) سورة التوبة، آية ١٧، ١٨ .

(٣٢) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٦ .

(٣٣) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٨ .

(٣٤) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٩ .

أورد السيد سابق فى فضل السعى إلى المساجد، والجلوس فيها: روى أحمد، والشيخان، عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد وراح، أعد الله له الجنة نزلاً، كلما غدا وراح».

وروى أحمد، وابن ماجة، وابن خزيمة، وابن حبان، والترمذى وحسنه، والحاكم وصححه، عن أبى سعيد، أن النبى ﷺ قال: إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد، فأشهدوا له بالإيمان قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [التوبة: ١٨].

وروى مسلم، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله، ليقضى فريضة من فرائض الله، كانت خطواته، إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجته» السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ٢٩٥ .

(٣٥) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ص ٢٥٠-٢٥١ .

(٣٦) قال السمهودى «والمربد: الموضع الذى يبسط فيه التمر لييبس» السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥٠ .

(٣٧) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٢٥ .

أورد ابن سعد «. . . وكان جداراً مجدراً ليس عليه سقف، وقبلته إلى بيت المقدس، وكان أسعد بن زرارة بناه فكان يصلى بأصحابه فيه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم

رسول الله، ﷺ، فأمر رسول الله، ﷺ، بالنخل الذى فى الحديقة وبالغرقد الذى فيه أن يقطع. . .».

ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ١١٥ .

(٣٨) السمهودى: وفاء الوفاء، جـ١، ص ٢٥٠ .، محمد هزاع الشهرى: عمارة المسجد النبوى منذ انشائه حتى نهاية العصر المملوكى، دار القاهرة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٢٥ .

(٣٩) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج١، ص ٥٥٩ .

قال السمهودى «. . فكان يصلى بهم، وقيل: بعثه إليهم بعد ذلك بطلبهم ليعلمهم ويقرئهم القرآن، فكان يسمى «المقرئ» وهو أول من سمى به، فنزل على أسعد بن زرارة، وقيل: بعث إليهم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فكان مصعب بن عمير يؤمهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض، فجمع بهم أول جمعة فى الإسلام - وفى الدار قطنى عن ابن عباس أن النبى ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير أن يجمع بهم فجمع بهم وكانوا اثنى عشر».

السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٢٤ .

(٤٠) ابن هشام: السيرة، جـ٢، ص ١٣٦ .

تقع قباء فى الجنوب الغربى من المدينة المنورة. مزيد من التفاصيل أنظر: محمد الياس عبد الغنى: المساجد الأثرية فى المدينة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٥ .، تاريخ المدينة المنورة (قسم المساجد)، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٠ .، أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١، ص ٢١ .

وقد أورد الشهرى الروايات الخاصة بمدة بقاء النبى ﷺ بقباء، وهى المدة التى يجملها المراغى بقوله «أقام. . . اثنتين وعشرين ليلة. . . وفى صحيح مسلم. . . أربع عشرة ليلة»، ويشير الشهرى أن المدة التى أوردها ابن هشام وتقدم ذكرها فى النص تعد كافية لتأسيس المسجد وتحديد جوانبه. مزيد من التفاصيل أنظر:

الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٢٣ .

(٤١) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ص ٢٥٠-٢٥١ .

أورد الزركشى نقلاً عن ابن الجوزى فى تلقيح فهوم أهل الأثر «أول من بنى مسجداً فى الإسلام عمار بن ياسر. قلت: وهو مسجد قباء».

الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣١ .

نقل وليد عبد الله من «التراتيب الإدارية» «بنى ﷺ مسجد قباء أول ما ورد المدينة ووقف على أساسه، قال السهيلى فى «الروض» ذكر ابن قتيبة أن رسول الله ﷺ حين أسس مسجد قباء كان هو أول من وضع حجراً فى قبلته ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبى بكر ثم أخذ الناس فى البنيان فقال هذا أول مسجد بنى فى الإسلام».

وليد عبد الله عبد العزيز المنيسى: الحسبة على المدن والعمران، حوليات كلية الاداب، مجلس النشر العلمى، جامعة الكويت، الحولية السادسة عشر، الرسالة المائة وسته ١٤١٦-١٤١٧هـ/ ١٩٩٥-١٩٩٦م، ص ص ٥٨-٥٩ .

(٤٢) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٧٦ .

(٤٣) سورة التوبة، الآيات ١٠٧-١٠٩ .

قال السمهودى «وقد اختلف فى المراد بقوله تعالى «لمسجد اسس على التقوى من أول يوم» فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء، ولا ينافيه قوله ﷺ لمسجد المدينة «هو مسجدكم هذا» إذ كل منهما أسس على التقوى».

السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥١ .

(٤٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥١ .

(٤٥) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥٢ .

(٤٦) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥١ .

أورد ابن سعد عند ذكره المسجد الذى أسس على التقوى «أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا ربيعه بن عثمان عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد، وحدثنا عبد العزيز بن محمد وسليمان بن بلال عن إسحاق بن المستورد عن محمد بن عمر بن جارية عن أبى غزية وحدثنا عبد الله بن محمد عن أبيه عن جده، عن أبى سعيد الخدرى قالوا: لما صرفت القبلة إلى الكعبة أتى رسول الله، ﷺ، مسجد قباء فقدم جدار المسجد إلى

موضعه اليوم وأسسه وقال رسول الله، ﷺ: جبريل يؤم بى البيت. ونقل رسول الله ﷺ، وأصحابه الحجارة لبناءه».

ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ١، ص ١١٨ .

(٤٧) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٢٤ - ٢٥ .

(٤٨) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ٢، ص ص ٧٦-٧٧ .

(٤٩) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ٢، ص ٧٧ .

أورد ابن سعد «. . . وقال رسول الله، ﷺ: من توفى فأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة، وكان عمر يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس، وقال: لو كان بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الابل. . .».

ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ١١٨ .

(٥٠) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ٢، ص ٧٧ .

(٥١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٤، ص ص ١٧١-١٧٢ .

(٥٢) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص ١٣٦ .

ذكرت سعاد ماهر مسجد الجمعة فقالت هو اليوم فى وسط صفصف خال، وفى جهته الشرقية بعض أشجار الطرفاء، وفى جهته الغربية أرض جرداء، وفى جهته الجنوبية بستان، وكذلك فى جهته الشمالية، ويقع هذا المسجد فى بطن وادى رانوناء شرقى الطريق المستحدث إلى مسجد قباء، ويراه سالك هذا الطريق إلى قباء عن يساره فى وهدة من الأرض، وذلك قبيل بستان الجزع.

سعاد ماهر: مساجد فى السيرة النبوية، ص ٤٨ .

(٥٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج١، ص ٧ .، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٢، ص ٥ .

(٥٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥٦ .

(٥٥) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٢٣ .

(٥٦) البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٥، ص ٧٢ .

(٥٧) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص ص ١٣٧-١٣٨ .

مزيد من التفاصيل أنظر أيضًا:

الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٨ .، ابن الأثير: الكامل، مج٢، ص ٥ .

(٥٨) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٢٢ .

(٥٩) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٢٤ .

(٦٠) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٢٥ .

(٦١) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٢٦ .

(٦٢) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١١٧ .

وفى رواية ابن سعد «... وبنى رسول الله، ﷺ، وأصحابه، وجعل ينقل معهم الحجارة بنفسه ويقول:

اللهم لا عيش: إلا عيش الآخره فاغفر للأنصار والمهاجره

وجعل يقول:

هذا الحمال لاحمال خيبر هذا أبر، ربنا، وأطهر

مزيد من التفاصيل انظر:

ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ص ١١٥-١١٦ .

(٦٣) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٢٩ .

(٦٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ص ٧٦، ٣٣٤ .

المناصع موضع خارج المدينة المنورة.

الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٣٠-٣١ .

(٦٥) ابن النجار: الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة، تحقيق محمد زينهم، الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٥٥ . ولقد جاء فى شروط ابن أبى الربيع لإنشاء المدن قوله بعد أن ساق شروطًا «وان يبنى فيها جامعا للصلاة فى وسطها ليقرب على جميع أهلها»، فاختار ﷺ موقع المسجد فى الوسط من المدينة المنورة ليكون قريبًا من المسلمين جميعًا، وليمثل قلب المدينة النابض الذى تتصل به الطرق الرئيسية والفرعية والأزقة.

مزيد من التفاصيل أنظر:

وليد عبد الله: الحسبة على المدن والعمران، ص ٦٧ .

(٦٦) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٦٢ .

(٦٧) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٣ .

(٦٨) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ص ٣٣٣-٣٣٤ .

«وعنه أيضًا قال: جئت إلى النبى ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، قال: فكأنه لم يعجبه عملهم، قال: فأخذت المسحاة فخلطت بها الطين، فكأنه أعجبه أخذى المسحاة وعملى فقال: دعوا الحنفى والطين فإنه من أصنعكم للطين».

السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٤ .

(٦٩) سورة الأنعام، آية ٣ .

(٧٠) سورة التوبة، آية ١٠٥ .

(٧١) سورة يونس، آية ٦١ .

(٧٢) سورة الإسراء، آية ٨٤ .

(٧٣) سورة النمل، آية ٨٨ .

(٧٤) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ٢٣ .

(٧٥) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٥٨ .

(٧٦) سورة آل عمران، آية ٣٧ .

(٧٧) سورة آل عمران، آية ٣٩ .

(٧٨) سورة مريم، آية ١١ .

(٧٩) سورة ص، آية ٢١ .

(٨٠) البسطة هى قامة الرجل مع رفع اليد إلى أعلى.

أنظر: الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٣٤ .

(٨١) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص ١٤٦ .، الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٣٦-٣٨ .

(٨٢) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٥ .

(٨٣) ابن النجار: الدرة، ص ١٤٧ .، الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٣٨-٤٠

(٨٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٥ .

(٨٥) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٣٨-٤٠ .

(٨٦) ابن النجار: الدرة، ص ١٤٧ .

أورد ابن سعد «. . . فقيل له ألا تسقفه؟ فقال: عريش كعريش موس خشيبات وثمام، الشأن أعجل من ذلك» ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ١١٦ .

(٨٧) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٥ .

(٨٨) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٧ .

(٨٩) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٩٠) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٣٨-٤٠ .

(٩١) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، دار المعارف بمصر، ص ص ١٧٠-١٧١ .

(٩٢) سورة الأعراف، آية ١٧١ .

(٩٣) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١١٠ .

أورد ابن سعد عند ذكره صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة «أخبرنا محمد بن عمر، أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: وأخبرنا عبد الله بن جعفر الزهرى عن عثمان بن محمد الأخنس وعن غيرهما أن رسول الله ﷺ، لما هاجر إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، وكان يحب ان يصرف إلى الكعبة فقال: ياجبريل وددت أن الله صرف وجهى عن قبلة يهود، فقال جبريل: إنما أنا عبد فادع ربك وسله، وجعل إذا صلى إلى بيت المقدس يرفع رأسه إلى السماء، فنزلت عليه: «قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها».

ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ١١٦ .

(٩٤) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٨ . ، ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ١١ .

«قال أبو جعفر: وقال آخرون: انما صرفت القبلة إلى الكعبة لستة عشر شهراً مضت من سنى الهجرة».

الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ١٨ . ، ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ١٢ .

(٩٥) الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٢٢٣-٢٢٤ .

أورد ابن سعد عند ذكره الصفة «قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنى محمد بن مسلمة عن عمر بن عبد الله عن ابن كعب القرظى فى قوله، جل ثناؤه: «للفقراء الذين

أحصروا فى سبيل الله»، قال: هم أصحاب الصفة وكانوا لا مساكن لهم بالمدينة ولا عشائر فحث الله عليهم الناس بالصدقة».
ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ١، ص ١٢٣ .

(٩٦) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١٢٠ .
نقل السمهودى فى الصفة وأهلها «قال عياض: الصفة ـ بضم الصاد وتشديد الفاء ـ ظلة فى مؤخر مسجد النبى ﷺ، يأوى إليها المساكين، وإليها ينسب أهل الصفة على أشهر الأقاويل. وقال الحافظ: إن القبلة قبل أن تحول كانت فى شمالى المسجد، فلما حولت القبلة بقى حائط القبلة الأعلى مكان أهل الصفة. وقال الحافظ ابن حجر: الصفة مكان مؤخر المسجد النبوى مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا ماوى له ولا أهل، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر. وقد سرد أسماءهم أبو نعيم فى الحلية فزادوا على المائة، وقد أخرج أبو نعيم فى الحلية من مرسل الحسن قال: بنيت صفة فى المسجد لضعفاء المسلمين»، وروى البيهقى عن عثمان بن اليمان قال: لما كثرت المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دار ولا مأوى أنزلهم رسول الله ﷺ المسجد وسماهم أصحاب الصفة، فكان يجالسهم ويأنس بهم. السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ص ٤٥٣ - ٤٥٤ .

(٩٧) يذكر الشهرى أن المصادر التى أمكن الاطلاع عليها لم تشر إلى تغيير اتجاه جدار القبلة، وبيت المقدس والمدينة المنورة ومكة المكرمة ليست على خط طول واحد، ومعنى ذلك أن الاكتفاء بعمل ظلة فى المسجد بإزاء جدار القبلة قد يترتب عليه انحراف فى ترتيب الصفوف داخل هذه الظلة وباقى المسجد، فالمدينة المنورة تقع على خط طول ٣٩,٣٦ْ شرقًا، ومكة المكرمة على خط طول ٤٠,٩ْ شرقًا، وبيت المقدس على خط طول ٣٥,١٣ْ شرقًا، أى أن هناك خط يشبه القوس يربط ما بين هذه المدن الثلاث، ومما يؤيد تشككى فى بقاء جدران المسجد على حالها الأول ما ورد فى الروايات، فابن المحجوب ينقل عن ابن زبالة «أنه ﷺ لما أمره الله باستقبال الكعبة أتاه جبريل عليه السلام فرفع له الكعبة، وقال يارسول الله ابن قبلة مسجدك وأنت تنظر إلى الكعبة فصوب قبلته وهو يشاهدها لايحال بينه وبينها، حتى إذا فرغ قال جبريل للجبال والشجر هكذا وأشار إليها فعادت كما كانت».

مزيد من التفاصيل أنظر:

الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٤٣ .

(٩٨) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١ ، ص ص ٣٣٦-٣٣٧ .

(٩٩) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١ ، ص ٣٦٤ .

(١٠٠) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٤٢ .

(١٠١) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٥٨ .

(١٠٢) عبد الرحمن الجزيرى: كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، جـ١ ، ص ١٥٣ .

(١٠٣) عبد الرحمن الجزيرى: كتاب الفقه، جـ١ ، ص ١٥٣ .

يذكر الجزيرى «مثلا إذا استقبل المصلى فى مصر الجهة الشرقية بدون انحراف إلى جهة اليمين، فإنه يكون مستقبلاً للقبلة، لأن القبلة فى مصر وإن كانت منحرفة إلى جهة اليمين، ولكن ترك هذا الانحراف لا يضر، لأنه لا تزول به المقابلة بالكلية، فالمدار على استقبال جهة الكعبة أن يكون جزء من سطح الوجه مقابلاً لها، وهذا رأى ثلاثة من الأئمة، وخالفهم الشافعية» «الشافعية قالوا: يجب على من كان قريبًا من الكعبة أو بعيدًا عنها أن يستقبل عين الكعبة، أو هوائها المتصل بها. . . ولكن يجب على القريب أن يستقبل عينها أو هوائها يقينا بأن يراها أو يلمسها أو نحو ذلك مما يفيد اليقين، أما من كان بعيدًا عنها فإنه يستقبل عينها ظنًا لاجهتها على المعتمد، ثم إن الانحراف اليسير يبطل الصلاة إذا كان بالصدر بالنسبة للقائم والجالس، فلو انحرف القائم أو الجالس فى الصلاة بصدره بطلت أما إذا انحرف بوجهه فلا، والانحراف بالنسبة للمضطجع يبطل إذا كان بالصدر أو بالوجه وبالنسبة للمستلقى يبطل إذا انحرف بالوجه أو بباطن القدمين.

الجزيرى: كتاب الفقه جـ١ ، ص ص ١٥٣-١٥٤ .

(١٠٤) سورة البقرة، آية ١٤٢ .

(١٠٥) سورة البقرة، الآية ١٤٣ .

(١٠٦) سورة البقرة، الآية ١٤٥ .

(١٠٧) سورة البقرة، الآيات ١٤٨-١٥٠ .

(١٠٨) يذكر الشهرى انه فيما يتعلق بالوصف الدقيق لظلتى المسجد فإن كتب التاريخ لم تزودنا بما يكفى لمعرفة حال الظلة الأولى، إلا انها قد أعطتنا من الاشارات ما يكفى لترسم حال الظلة الثانية، فمن المعروف أن الرسول ﷺ قد اتخذ مصلاه بإزاء جدار القبلة من أول يوم أمر فيه بالتوجه فى صلاته إلى الكعبة، ولابد أن الرسول ﷺ كان يتوسط المصلين فى صلاته، وينتهى الشهرى إلى أن الظلة التى اقيمت خلف جدار القبلة الجنوبى كانت تتألف من ستة أعمدة تمتد من الشرق إلى الغرب ومن سبع بوائك تمتد عمودية على جدار القبلة، ويضيف وإن كنت قد توصلت إلى معرفة عدد اسطوانات رواق القبلة الممتدة من الشرق إلى الغرب فاننى لم اهتد إلى معرفة عدد الاسطوانات الممتدة من جدار القبلة إلى رحبة المسجد، علما بأن طول الجدار الممتد من الشمال إلى الجنوب هو سبعون ذراعا على أشهر الروايات التى اعتمدت عليها.

الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٥٠ .

(١٠٩) د. محمد محمد الكحلاوى: القيم الدينية، ص ص ١٨٦-١٨٨ .

(١١٠) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٥١-٥٥ .

(١١١) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١٢١ .

(١١٢) أحمد فكرى: المدخل، ص ١٨٧ .

يذكر أحمد فكرى أن جميع البناة فى العصور المتتالية احتفظوا بمواضع الأساطين الأولى فى مسجد الرسول ﷺ وأبقوا محرابه ومنبره فى موضعها منه، وكذلك احتفظوا بمواضع الأبواب الثلاثة التى كانت بذلك المسجد، ومازالت تعرف بأسمائها، وهى باب جبريل، وسط الجدار الشرقى، وباب النساء فى شمال هذا الجدار، يقابله باب الرحمة فى الجدار الغربى.

أحمد فكرى: المدخل، ص ١٨٧ .

(١١٣) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٦٥٥ .

(١١٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٦٥٦ .

(١١٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ١، ص ١١٩ .، الجزيرى: الفقه، جـ١، ص ص ٢٤١-٢٤٢ .

(١١٦) التهانوى (محمد أعلى بن على): موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية (المعروف

بكشاف اصطلاحات الفنون»، نشر خياط بيروت، لبنان ١٩٦٦م، الجزء الأول، ص ٩٣ .

الزمخشرى (جار الله أبى القاسم محمود بن عمر): أساس البلاغة: باب ع ل م، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، الجزء الثانى، ص ١٣٩، وزارة الأوقاف قسم المساجد، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة قسم العبادات، نشر دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٢٤٧هـ/ ١٩٢٨م، ص ٢٦٣ .

(١١٧) السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ١٣٢ .

(١١٨) النووى (أبو زكريا محى الدين): تهذبب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، القسم الثانى، الجزء الأول، ص ٦ .

(١١٩) ابن منظور: لسان العرب، جـ١، ص ٥١-٥٣ .

(١٢٠) النووى: تهذيب الاسماء، القسم الثانى، الجزء الأول، ص ٦ .

(١٢١) كأنه نادى مرارا أيتها العير والعيرما أمتير عليه من الحمير والابل والبغال. انظر. القرطبى (أبى عبد الله حمد بن أحمد الانصارى): الجامع لاحكام القرآن، دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م. الجزء التاسع، ص ٢٣٠ .

(١٢٢) يروى أن طاوسا دخل على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الاذان فقال ومايوم الأذان؟ قال: قوله تعالى «فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين» فصعق هشام، فقال طاوس: هذا ذل الصفة فكيف ذل المعاينة؟. القرطبى: الجامع لاحكام القرآن، ١٩٦٥م، جـ٧، ص ٢١٠ .

(١٢٣) سورة التوبة، آية رقم ٣ .

(١٢٤) سورة الاعراف، آية ٤٤ .

(١٢٥) سورة يوسف، آية رقم ٧٠ .

(١٢٦) واذن فى الناس بالحج أى ناد فى الناس بالحج داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت. انظر سورة الحج، آية رقم ٢٧، ابن كثير القرشى الدمشقى: تفسير القرآن العظيم، دار احياء الكتب العربية، جـ٣، ص ٢١٥ .

(١٢٧) سورة المائدة، آية رقم ٥٨ .

(١٢٨) سورة الجمعة، آية رقم ٩ .

(١٢٩) ابن منظور: لسان العرب، جـ١، ص ٥٣ .

(١٣٠) المقرى الفيومى (أحمد بن محمد بن على): المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، باب الالف مع الذال وما يثلثهما، المطبعة الاميرية ببولاق مصر - الطبعةالأولى ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م.

قال ابن برى وقولهم: اذن العصر، بالبناء للفاعل خطأ، والصواب اذن بالعصر بالبناء للمفعول.

(١٣١) سورة المائدة، آية رقم ٥٨ .

(١٣٢) سورة الجمعة، آية رقم ٩ .

(١٣٣) رواه البخارى ومسلم. انظر: البخارى: صحيح البخارى، باب بدء الأذان، دار الجيل، بيروت ص ١٦٢ .

(١٣٤) رواه أحمد عن ابى الدرداء، وأخرجه النسائى وابن حبان والحاكم، وقال: صحيح الاسناد، وأخرجه أبو داود ولفظه: «ما من ثلاثة فى قرية ولابد ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية». انظر: الشوكانى: نيل الاوطار، جـ٢، ص ٣١ .

(١٣٥) الشوكانى: نيل الأوطار، جـ٢، ص ٣١ .

(١٣٦) انظر عن كيفيات ورود الأذان:

السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ١٣٥ .

(١٣٧) سورة الاعراف، آية رقم ٤٤ .

(١٣٨) سورة يوسف، آية رقم ٧٠ .

(١٣٩) كان يوجد فى مكة اناس خاصون بدعوة الناس إلى الاجتماع يسمى الواحد منهم المنادى والمؤذن، وقد أثرت تقاليد مكة السياسية تأثيرا قويا فى تطور المسلمين السياسى، وقد صار عند النبى ﷺ جماعة من المنادين أو المؤذنين أشهرهم بلال رضى الله عنه استخدمهم الرسول ﷺ للدعوة إلى الاجتماعات للصلاة خاصة. انظر: عبد العزيز الدورى: النظم الإسلامية، ص ص ٩ - ١٠، حسن الباشا: الالقاب الإسلامية، جـ٣، ص ١١٦٤ .

(١٤٠) ابن قدامة: المغنى، جـ١، ص ٤٠٣ .

(١٤١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م المجلد الثالث، ص ٢٣٤، السكتوارى (علاء الدين على): محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، ص ٩٥ .

(١٤٢) ابن سعد: الطبقات جـ٤، ص ٢٠٧ .

(١٤٣) مسلم: صحيح مسلم (الجامع الصحيح) دار المعرفة، بيروت، لبنان، جـ٢، ص ٣، ابن سعد: الطبقات، جـ٤، ص ٢٠٧ .

(١٤٤) ابن الأثير: أسد الغابة، مج ٢، ص ص ٤٥٦-٤٥٧ .

(١٤٥) الدر قطنى: سنن الدار قطنى، تحقيق السيد عبد الله هاشم، دار المحاسن، القاهرة، دار المعرفة، بيروت، المدينة المنورة، الحجاز، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، جـ١، ص ٢٣٦ .، القسطلانى: شرح الإمام الزرقانى المالكى على المذاهب اللادنية، المطبعة الأزهرية المصرية، ط١، ١٣٢٦هـ، جـ٣، ص ٣٧٠ .

(١٤٦) ابن سعد: الطبقات مج ٣، ص ٢٣٦ .

(١٤٧) المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، جـ٢، ص ٢٧٠ .

(١٤٨) عبد الحى الكتانى: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، جـ١، ص ٧٦ .

(١٤٩) المناوى: فيض القدير، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م، جـ٥، ص ١٧٩ .

(١٥٠) لبيب السعيد: الآذان والمؤذنون، الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٧٠م، ص ٢٠ .

(١٥١) النووى، تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ق١، جـ٢، ص ص ٢٦٦-٢٦٧، عبد الحى الكتانى: التراتيب الإدارية، جـ١، ص ٧٧ .

(١٥٢) ابن سعد: الطبقات، مج٣، ص ٢٣٦ .، المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٧٠ .

(١٥٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٨، ص ٤٤٤ .

(١٥٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥٣٠ .

(١٥٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص ٩٧، ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، جـ١، ص ٩٣ حسن الباشا: مدخل

إلى الآثار الإسلامية، ص ص ٢٢-٢٥ . انظر: عن حضارة العرب أيضا. غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م)، ص ص ٩٤-٩٧ .

(١٥٦) Creswell: The Evolution of the Minaret. P. 7., Sauvaget (J): La Mosquee Omeyyade De Medine Paris, 1947, P. 126.

(١٥٧) Creswell: The Evolution. Sauvget: La Mosquee. P. 126.

(١٥٨) مزيد من التفاصيل انظر:

محمد هزاع: عمارة المسجد، ص ص ٧٣-٧٧ .

يذكر محمد هزاع أن خشب الآثل هو الصحيح لوجوده بكثرة فى المدينة ونواحيها، محمد هزاع: عمارة، ص ص ٧٣-٧٧ .

(١٥٩) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٣٨٨ .

(١٦٠) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١٢٢ .

(١٦١) ابن النجار: الدرة، ص ص ١٥٩-١٦٠ .

مزيد من التفاصيل عن صانع المنبر ومساحته أنظر الروايات التى أوردها السمهودى.

السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ص ٣٩٠-٣٩١، ٣٩٥، ٤٠٢ .

(١٦٢) القبطية ـ بضم القاف وسكون الباء ـ الثوب الرقيق الأبيض من ثياب مصر.

السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٣٩٨ .

(١٦٣) مزيد من التفاصيل عن تقييم المخططات التى وضعت عن عمارة المسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ وأثر العقيدة.

محمد محمد الكحلاوى: القيم، ص ص ١٧٨ - ١٧٩، محمد هزاع: عمارة، ص ص ٥٧ - ٦١، أحمد رجب محمد على: المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ص ٢٢- ٣٥ .

(١٦٤) أحمد فكرى: المدخل، ص ١٨٤ .

(١٦٥) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ٥٧ .

(١٦٦) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٥٧-٥٨ .

(١٦٧) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ٥٨ .

(١٦٨) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٥٨-٥٩ .

(١٦٩) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى: ص ص ٥٩-٦٠ .

(١٧٠) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٨٤-١٨٧ .

(١٧١) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ٦٠ .

(١٧٢) د. محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ٦٠ .

(١٧٣) د. محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٦٠ - ٦١ .

(١٧٤) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ٦١ .

(١٧٥) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ص ٤٥٨-٤٥٩ .

(١٧٦) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٢٤، أحمد فكرى: مساجد الإسلا مـ مسجد القيروان، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ص ص ٤٦-٤٧ .

(١٧٧) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٤٦٤ .

(١٧٨) ابن النجار: الدرة، ص ١٥٢ .

(١٧٩) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٢٤ .، السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥٤١

(١٨٠) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٤٦٤ .

(١٨١) ابن النجار: الدرة ص ٥٥ .

(١٨٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، مج٥، ص ٨٦ .

(١٨٣) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية عالم المعرفة، ١٢٨، الكويت ذو الحجة ١٤٠٨هـ/ أغسطس/ آب ١٩٨٨م. ص ص ٥٣-٥٦ .

(١٨٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٧٤٧ .

(١٨٥) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص ص ٥٦-٦١ .

(١٨٦) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٠٠ .

(١٨٧) الطبرى: تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، مج٢، ص ٩١ .

(١٨٨) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٩١ .

(١٨٩) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٩٢ .، ابن الأثير، الكامل، جـ٢، ص ص ٦٥-٦٦ .

(١٩٠) محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، ص ص ٥٩-٦٠ .

(١٩١) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ١٢٩ .

(١٩٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ٦٧ .

(١٩٣) سورة النور، آية ٦٣ .

(١٩٤) سورة النور، آية ,٦٢ مزيد من التفاصيل انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ص ٦٥-٦٦ .

(١٩٥) ابن هشام: السيرة، جـ٤، ص ص ١٧٢-١٧٣ .

(١٩٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ١٤-١٥ .

(١٩٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٨٥ .

(١٩٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ص ,١٣٥

(١٩٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ١٢٣ .

(٢٠٠) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٣٧٩ .

(٢٠١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ٣٣٥ .

(٢٠٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ٣٥٥ .

(٢٠٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٦ .

(٢٠٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٢٠١ .

(٢٠٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٣٢١ .

(٢٠٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٢٠٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ٤٠٨ .

(٢٠٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ٣٤٥ .

(٢٠٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ٥٨ .

(٢١٠) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ١١٦ .

(٢١١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ١٢ .

(٢١٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ٢٨٥ .

(٢١٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٣٧٢ .

(٢١٤) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين عبد الله العمرى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ص ١٢٧-١٣٣ .

مصطفى عبد الله شيحة: مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ص ٢٩-٣٠ .

Creswell: A short Account. P. 83.

(٢١٥) مصطفى عبد الله شيحة: مدخل إلى العمارة، ص ص ٣٠-٣١ .

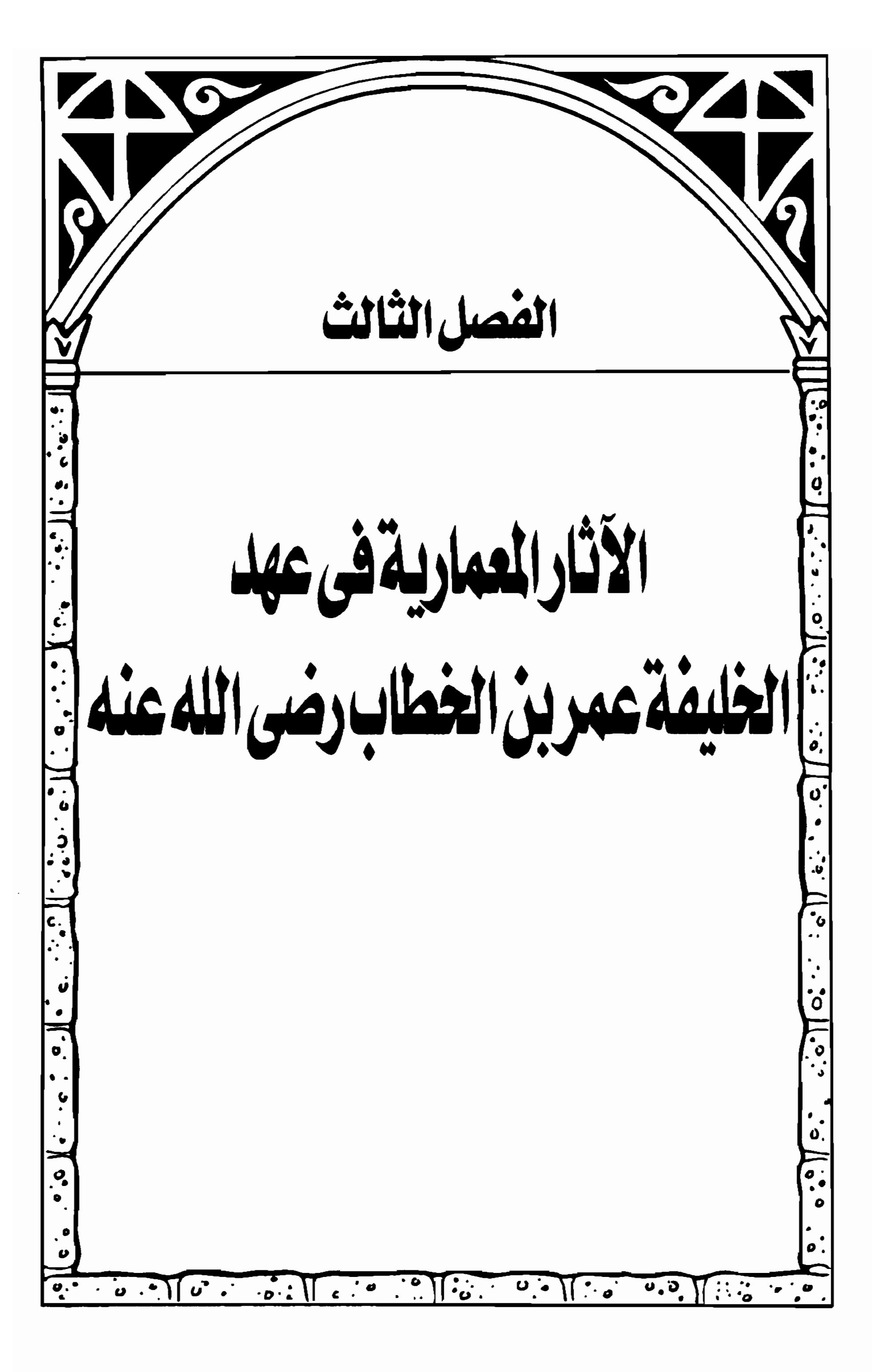
(٢١٦) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، ص ١٣٩ .

(٢١٧) مصطفى شيحة: مدخل، ص ص ٥٢-٥٣ .

(٢١٨) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، ص ١٣٩ .

(٢١٩) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، ص ١٣٩ .

(٢٢٠) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، ص ١٣١ .



الفصل الثالث

الآثار المعمارية فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

سن الزيادة فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة:

نقل السمهودى «. . . أن أبا بكر رضى الله عنه لم يزد فى مسجد رسول الله ﷺ شيئًا، وزاد فيه عمر، وسيأتى فى رواية لأبى داود أن سوارى المسجد نخرت فى خلافة أبى بكر، فبناها بجذوع النخل، وهو لاينافى رواية أنه لم يزد فيه، وقال أهل السير: لم يزد أبو بكر فى المسجد شيئًا لأنه اشتغل بالفتح، فلما ولى عمر قال: إنى أريد أن أزيد فى المسجد. . .»[1].

وقد سن الرسول ﷺ الزيادة فى المسجد النبوى الشريف إذا دعت الضرورة إلى ذلك قال ابن النجار «وروى أهل السير أن عمر رضى الله عنه قال: لولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنى أزيد فى المسجد» «مازدت فيه»[2].

وقد بقى المسجد النبوى بالمدينة المنورة حتى عهد الخليفة عمر رضى الله عنه (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) على ما كان عليه فى حياة الرسول ﷺ، حيث لم يزد فيه الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه شيئًا (١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤م) فقام الخليفة عمر رضى الله عنه فى عام ١٧هـ/ ٦٣٨م بالزيادة فيه، جاء فى صحيح البخارى «فلم يزد فيه أبو بكر شيئا وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا»[3].

وفيما يتعلق بعمد المسجد نقل السمهودى «وأسند ابن زبالة عن أنس قال: لما توفى رسول الله ﷺ وولى أبو بكر لم يحول المسجد، فلما ولى عمر جعل أساطينه من لبن، ونزع الخشب، ومده فى القبلة. . . والذى فى صحيح البخارى وسنن أبى داود. . . أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد، وبناه على بنائه فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده خشبا، وهذا مخالف لما فى رواية ابن زبالة من أن عمر جعل أساطينه من لبن، والمعول عليه رواية الصحيح»[4].

زاد الخليفة عمر رضى الله عنه فى القبلة عشرة أذرع أو اسطوانة، وفى الغرب عشرين ذراعًا أو اسطوانتين، وفى الشمال ثلاثين ذراعًا أو ثلاث اسطوانات، ولم يزد من الجهة الشرقية، وبنى الأساسات بالحجر والجدران باللبن، وبلغ ارتفاع السقف أحد عشر ذراعًا، كما عنى بالظلة الشمالية، حيث أوجد بابًا للنساء فى مؤخر الجدار الشرقى مما يلى هذه الظلة، وبقى المسجد يتكون من صحن وظلتين إحداهما للقبلة والأخرى لأهل الصفة، قال ابن النجار «وبنى أساسه بالحجارة إلى أن بلغ قامة، وجعل له ستة أبواب بابين على يمين القبلة، وبابين على يسارها، ولم يغير باب عاتكة ولا الباب الذى كان يدخل منه النبى ﷺ، وفتح بابا عند دار مروان بن الحكم، وفتح بابين فى مؤخر المسجد»(٥). (شكل ٢٧).

وقد جاء فى صحيح البخارى فى باب بنيان المسجد «وقال أبو سعيد كان سقف المسجد من جريد النخل وأمر عمر ببناء المسجد وقال أكن الناس من المطر وإياك إن تحمر أو تصفر فتفتن الناس، وقال أنس يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلاً، وقال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى»(٦).

وقد أورد السمهودى(٧) فيما يتعلق بفرش المسجد النبوى أن الخليفة عمر رضى الله عنه بعد أن أتم بناء المسجد الشريف بدأ يتشاور مع كبار الصحابة حول فرشه فقيل له «افرش الخصف والحصر» قال: هذا الوادى المبارك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول «العقيق واد مبارك» قال: فحصبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ويضيف الشهرى أنه يبدو أن سبب فرش المسجد الشريف بالحصباء هو أن الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم من التراب فجىء بالحصباء من العقيق من هذه العرصة فبسط فى المسجد(٨).

إنارة المسجد النبوى بالمدينة:

جاء فى إعلام الساجد «يستحب فرش المساجد وتعليق القناديل والمصابيح ويقال: أول من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما جمع الناس على أبى بن كعب فى صلاة التراويح، ولما رأى على رضى الله عنه اجتماع الناس فى

المسجد على الصلاة والقناديل تزهر وكتاب الله يتلى: قال: نورت مساجدنا نور الله قبرك يابن الخطاب»[9].

ونقل السمهودى عند ذكره تعليق المصابيح فى المسجد «ويستحب تعليق المصابيح فى المسجد وقد قدمنا ما يقتضى أن تميما الدارى أول من فعل ذلك فى زمن النبى ﷺ. وقيل: أول من فعله عمر بن الخطاب، لما جمع الناس فى التراويح على إمام واحد. . .»[10].

مدينة البصرة وعمائرها ١٤هـ/ ٦٣٥م.

أورد البلاذرى عند ذكره يوم القادسية ذكر مدينة البصرة التى تعد أول مدينة مصرت فى العصر الإسلامى خارج الجزيرة العربية، حيث قال «وكانت البصرة قد مصرت فيما بين يوم النخيلة ويوم القادسية ـ مصرها عتبة بن غزوان»(١١). (شكل ٢٨).

كان تمصير مدينة البصرة فى عام ١٤هـ/ ٦٣٥م، قال البلاذرى «فولاها عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب. . . وكان من المهاجرين الأولين. . فأتاها عتبة، وانضم عليه سويد بن قطبة ومن معه من بكر بن وائل وبنى تميم»(١٢).

وكان القائد عتبة قد رأى ضرورة اتخاذ مكان يكون صالحا للإقامة من جهة، ويكون مركزًا لانطلاق الجيش من جهة أخرى فكتب إلى الخليفة عمر رضى الله عنه لما نزل الخريبة يعلمه نزوله إياها وأنه لابد للمسلمين من منزل، فكتب إليه الخليفة» أن أجمع أصحابك فى موضع واحد. وليكن قريبًا من الماء والمرعى. وأكتب إلى بصفته فكتب إليه: إنى وجدت أرضا كثيرة القضبة فى طرف البر إلى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء. فلما قرأ الكتاب قال: هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعى والمحتطب. وكتب إليه أن أنزلها الناس. فأنزلهم إياها فبنوا مساكن بالقصب»(١٣).

وقال ابن الأثير عند ذكره ولاية عتبة فى حوادث سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م، وكان نزوله البصرة فى ربيع الأول أو الآخر سنة أربع عشرة وقيل أن البصرة مصرت سنة ست عشرة بعد جلولاء وتكريت»(١٤).

وكانت الأرض التى اختارها القائد عتبة خالية إلا من بعض مسالح قديمة وقصر قديم، فقد ورد فى وصفها «وكانت ذات حصى وحجارة سود فقيل إنها بصرة. وقيل إنهم سموها بصرة لرخاوة أرضها»[١٥] وكانت تقع إلى غرب دجلة، وقد تم حفر نهر يوصلها بدجلة[١٦].

وقد عهد القائد عتبة إلى أبى الجرباء عاصم بن دلف بالإشراف على إنزال الجيش فيها، أما فيما يتعلق بعمائر المدينة الدينية والمدنية فقد بنيت بالقصب، وقد شيد المسجد الجامع فى وسط المدينة على غرار المسجد النبوى بالمدينة المنورة الذى توسط الأنصار والمنازل، قال البلاذرى «وبنى عتبة مسجدا من قصب وذلك فى سنة ١٤ فيقال إنه تولى إختطاط المسجد بيده ويقال اختطه محجر بن الأدرع البهزى.. ويقال اختطه نافع بن الحارث بن كلدة حين خط داره. ويقال بل اختطه الأسود بن سريع التميمى»[١٧].

أما دار الإمارة فقد شيدت بالقصب أيضا شأنها فى ذلك شأن بقية عمائر المدينة الدينية والمدنية، قال البلاذرى «وبنى عتبة دار الإمارة دون المسجد فى الرحبة التى يقال لها اليوم رحبة بنى هشام. وكانت تسمى الدهناء... فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو فإذا رجعوا أعادوا بناءه فلم تزل الحال كذلك»[١٨].

واختط الناس، وبنوا الدور حول المسجد الجامع ودار الإمارة، وظلت المدينة على هذا النحو حتى وليها القائد أبو موسى الأشعرى (١٧-١٩هـ/ ٦٣٨-٦٤٠م) وفى عهده تعرضت المدينة لحريق التهم قصبها، فأرسل القائد أبو موسى الأشعرى إلى الخليفة عمر رضى الله عنه يستأذن فى البناء باللبن بدلاً من القصب، فأذن له الخليفة بذلك، قال الطبرى «ولما نزل أهل الكوفة الكوفة، واستقرت بأهل البصرة الدار، عرف القوم أنفسهم» ثم أن أهل الكوفة استأذنوا فى بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة، فقال عمر.. وما أحب أن أخالفكم

وما القصب؟ قالوا: العكرش إذا روى قصب فصار قصبا قال فشأنكم، فابتنى أهل المصرين بالقصب. ثم إن الحريق وقع بالكوفة والبصرة، وكان أشدهما حريقا الكوفة، فأحرق ثمانون عريشا، ولم يبق فيها قصبة فى شوال، فما زال الناس يذكرون ذلك، فبعث سعد منهم نفراً إلى عمر يستأذنون فى البناء باللبن، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق، وما بلغ منهم. وكانوا لايدعون شيئا ولا يأتونه إلا وآمروه فيه ـ فقال: افعلوا، ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا فى البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة فرجع القوم إلى الكوفة بذلك، وكتب عمر إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك، وعلى تنزيل أهل الكوفة أبو الهياج بن مالك، وعلى تنزيل أهل البصرة عاصم بن الدلف أبو الجرباء. قال: وعهد عمر إلى الوفد وتقدم إلى الناس ألا يرفعوا بنيانا فوق القدر قالوا: وما القدر؟ قال: ما لا يقربكم من السرف، ولا يخرجكم من القصد»(١٩).

وقال ابن الأثير فى حوادث سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م «ثم إن الحريق وقع فى الكوفة والبصرة وكانت الكوفة أشد حريقا فى شوال فبعث سعد نفرا منهم إلى عمر يستأذنونه فى البنيان باللبن فقدموا عليه بخبر الحريق واستئذانه أيضا، فقال افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا فى البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة، فرجع القوم إلى الكوفة بذلك وكتب عمر إلى البصرة بمثل ذلك»(٢٠).

قام القائد أبو موسى الاشعرى بعمارة المسجد الجامع وزاد فيه، وكانت عمارته فى هذه الزيادة من مساحة مربعة تنقسم إلى صحن مكشوف وظلة للقبلة على غرار المسجد النبوى قبل تحويل القبلة فلم تكن هناك حاجة إلى أن يشيد القائد أبو موسى الأشعرى المسجد من صحن مكشوف وظلتين على جانبى الصحن كما هو الحال بالنسبة للمسجد النبوى فى تلك الفترة، وإنما رأى أبو موسى الأشعرى الاكتفاء بظلة واحدة فجاء المسجد على هذا النمط من التخطيط، ويعزى هذا إلى عدم حاجة المسلمين إلى ظلة مقابلة لظلة القبلة أو إلى وجود ظلات فى الجانبين

الشرقى والغربى، فقد أمدنا الطبرى فى تاريخه بنص فى غاية الأهمية نتبين منه طراز المسجد فى تلك الفترة فى مسجدى البصرة والكوفة وكافة أرجاءالعالم الإسلامى، حيث قال «فأول شىء خط بالكوفة وبنى حين عزموا على البناء المسجد، فوضع فى موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق، فاختطوه. . . فترك المسجد فى مربعة غلوة من كل جوانبه، وبنى ظلة فى مقدمه ليست لها مجنبات ولا مواخير. . وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيما لحرمته»(٢١).

قام أيضا القائد أبو موسى الأشعرى بعمارة دار الإمارة، قال البلاذرى «وبنى أبو موسى الأشعرى المسجد ودار الإمارة بلبن وطين، وسقفها بالعشب، وزاد فى المسجد، وكان الإمام إذا جاء للصلاة تخطاهم إلى القبلة»(٢٢).

مما تقدم يتضح أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أوصى واليه على البصرة بتنفيذ التخطيط الهندسى للمدينة بحيث يكون عرض الطرق الرئيسية أربعين ذراعًا (حوالى ٢٠م) والمتوسطة عشرين ذراعًا (حوالى ١٠م) والأزقة سبع أذرع (حوالى ٣,٥م) وأن تكون دور الناس متلاصقة، ولا يزيد عدد الغرف فى الدار الواحدة عن ثلاث، وأن لا يرتفع البناء فيها أكثر من طابق واحد، وأوضح أن تتوسط كل محلة رحبة يبلغ طول ضلعها ستون ذراعًا (٣٠م) وأن تكون خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الإمارة غير متصلة بهما، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فى نص الطبرى عند ذكره الكوفة بقوله «لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة أرسل سعد إلى أبى الهياج فأخبره بكتاب عمر فى الطرق، أنه أمر بالمناهج أربعين ذراعا، وما يليها ثلاثين ذراعا، وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شىء، وفى القطائع ستين ذراعا إلا الذى لبنى ضبة فاجتمع أهل الرأى للتقدير، حتى إذا أقاموا على شىء قسم أبو الهياج عليه»(٢٣). ويتضح أيضًا فى نص ابن الأثير حيث قال «وقدر المناهج أربعين ذراعا، وما بين ذلك عشرين ذراعا، والأزقة سبع أذرع، والقطائع ستين ذراعا،

وأول شىء خط فيهما (البصرة والكوفة) وبنى مسجداهما وقام فى وسطهما رجل شديد النزع، فرمى فى كل جهة بسهم، وأمر أن يبنى ما وراء ذلك»[٢٤].

ويتضح من النص أن المسجد الجامع كان أول منشأة تشيد بالبصرة وذلك على غرار المسجد النبوى بالمدينة المنورة الذى يعد أول منشأة شيدها الرسول ﷺ بالمدينة المنورة، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن المسجد الجامع كان يمثل فى هذه الفترة نواة المدينة الإسلامية[٢٥].

وتعد مدينة البصرة من خلال خريطة تخطيطها على هذا النحو بما اشتملت عليه من منشآت دينية ومدنية، وبما شهدته من تغير فى مادة البناء والعمارة المظهر الأول لفن تخطيط المدن فى العالم الإسلامى خارج الجزيرة العربية، وقد وجدت أصول هذا التخطيط فى المدينة المنورة على عهد الرسول ﷺ، فقد ارتبطت نشأة المدينة الإسلامية من جهة كما ارتبط نموها وازدهارها من جهة أخرى بمعايير حضارية إسلامية تأثرت إلى حد كبير بتاريخ الإسلام وتطور حضارته منذ السنة الأولى للهجرة.

القدس وعمارة المسجد الأقصى:

جمع الزركشى سبعة عشر اسما فيما يتعلق بالمسجد الأقصى هى: المسجد الأقصى، ومسجد إيلياء بهمزة مكسورة قيل معناه بيت الله، وبيت المقدس بفتح الميم، وإسكان القاف، أى المكان الذى يطهر فيه من الذنوب، والبيت المقدس: بضم الميم وفتح الدال المشددة، أى المطهر، وبيت القدس: بضم الدال وإسكانها، وسلم لكثرة سلام الملائكة فيه. قال ابن برى: وأصله شلم بالشين المعجمة لأن شين العجمة فى العربية سين، وأورشلم بضم الهمزة وفتح الشين المعجمة، وكورة إليا، وأورشليم، وبيت إيل، وصهيون، ومصروث، وبابوش، وكورشيلا، وشليم، وأزيل، وصلمون(٢٦).

«وفى حديث أبى ذر أنه أول مسجد وضع فى الأرض بعد المسجد الحرام بأربعين سنة»(٢٧).

وجاء عن عطاء الخراسانى. قال: بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته الأنبياء والله ما فيه موضع شبر إلا وقد سجد فيه نبى»(٢٨).

وجاء فى كتاب فضائل القدس بسنده إلى غالب عن مكحول عن أنس بن مالك قال: إن الجنة تحن شوقا إلى بيت المقدس، وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس وهى صرة الأرض»(٢٩).

عمارة المسجد الأقصى ١٥هـ/ ٦٣٦م:

تطلع المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ إلى فتح بلاد الشام عامة، وبيت المقدس خاصة فهو بالنسبة لهم أول القبلتين وثانى البيتين وثالث الحرمين، وهو من المساجد الثلاثة التى تشد الرحال إليها لقوله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة

مساجد المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»[٣٠]. وإليه أسرى بالرسول ﷺ قبل عروجه إلى السماء قال تعالى **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾**[٣١].

ويعلق الزركشى على هذه الآية بقوله: وهذه الآية هى المعظمة لقدره بإسراء سيدنا رسول الله ﷺ قبل عروجه إلى السماء، وإخبار الله بالبركة حوله. وفيه تأويلان أحدهما أنه جعل حوله من الأنبياء المصطفين الأخيار، والثانى بكثرة الثمار ومجارى الأنهار»[٣٢].

وكان البيزنطيون قد حرصوا على تقوية استحكامات القدس الحربية، ونصبوا المجانيق على أسوارها عندما هاجمها أبو عبيدة بن الجراح فى عام ١٥هـ/ ٦٣٦م فامتنعت المدينة على المسلمين، وبعد حصار دام أربعة أشهر أيقن أهلها صعوبة مقاومة العرب المسلمين، فقاموا بتسليمها صلحا للخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه[٣٣].

غدت القدس منذ الفتح العمرى مركزًا حضاريًا وثقافيًا هامًا فى الحضارة العربية الإسلامية، فقد شيد بها الخليفة عمر رضى الله عنه مسجدًا جامعًا يعد أول منشأة دينية إسلامية تشيد بها، وأخذ يتفقد شوارعها وأزقتها وأسواقها، ويرتب أمورها الإدارية والسياسية والدينية[٣٤].

وقد شيد المسجد الجامع بجوار الصخرة المقدسة، وكان بسيطًا من الناحية المعمارية شأنه فى ذلك شأن العمارة الإسلامية عامة والدينية خاصة فى عهدى الرسول ﷺ وعمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان هذا المسجد يشغل كما يذكر المؤرخ Archulf فى القرن الأول الهجرى ـ السابع الميلادى مساحة مربعة[٣٥].

مدينة الكوفة وعمائرها ١٧هـ/ ٦٣٨م:

تعد الكوفة المدنية الثانية التى مصرت خارج الجزيرة العربية بعد البصرة، أسسها القائد سعد بن أبى وقاص فى عام ١٧هـ/ ٦٣٨م على غرار مدينة البصرة، قال البلاذرى «أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبى وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة، وأن لا يجعل بينه وبينهم بحرًا، فأتى الأنبار وأراد أن يتخذها منزلا.. فتحول إلى موضع آخر فلم يصلح فتحول إلى الكوفة فاختطها وأقطع الناس المنازل، وأنزل القبائل منازلهم، وبنى مسجدها وذلك فى سنة سبع عشرة»[٣٦]. (شكل ٢٨).

ويتفق التاريخ الذى أورده البلاذرى مع ما أورده الطبرى فى تاريخه ونصه «ثم دخلت سنة سبع عشرة ففيها اختطت الكوفة وتحول سعد بالناس من المدائن إليها فى قول سيف بن عمر وروايته»[٣٧].

قال ابن الأثير فى حوادث عام ١٥هـ/ ٦٣٦م «وقيل: أن الكوفة مصرها سعد بن أبى وقاص فى هذه السنة[٣٨]. ثم أورد فى حوادث سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م فى هذه السنة اختطت الكوفة وتحول سعد إليها من المدائن[٣٩].

وقيل فى اسم الكوفة «التكوف الاجتماع. وقيل أيضا أن المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفانى. وبعضهم يسمى الأرض التى فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفة.. وكان يقال لها سور ستان»[٤٠].

وقال ابن الأثير «وكل رمل وحصباء مختلطين فهو كوفة»[٤١].

مما تقدم يتضح أن سعدًا شيد المسجد الجامع ودار الإمارة فى وسط المدينة على غرار مدينة البصرة، ثم أمر الناس فاختطوا حول المسجد ودار الإمارة على غرار

البصرة أيضًا، وكانت خطط القبائل فى المدينتين قبائلية، وبذلك تطابق تخطيط البصرة والكوفة سواء فى المسجد الجامع ودار الإمارة وخطط القبائل أو فى الطرق الرئيسية والمتوسطة والأزقة، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فيما أورده الطبرى فى تاريخه ونصه «كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد المهلب، قالوا: ولما نزل أهل الكوفة الكوفة، واستقرت بأهل البصرة الدار، عرف القوم أنفسهم وثاب إليهم ما كانوا فقدوا. ثم إن أهل الكوفة استأذنوا فى بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة فقال عمر: العسكر أجد لحربكم وأزكى لكم، وما أحب أن أخالفكم، وما القصب؟ قالوا: العكرش إذ روى قصب فصار قصبا، قال فشأنكم: فابتنى أهل المصرين بالقصب. ثم إن الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة، وكان أشدهما حريقا الكوفة، فاحترق ثمانون عريشا، ولم يبق فيها قصبة فى شوال، فما زال الناس يذكرون ذلك، فبعث سعد منهم نفرا إلى عمر يستأذنون فى البناء باللبن، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق، وما بلغ منهم ـ وكانوا لا يدعون شيئا ولا يأتونه إلا وآمروه فيه ـ فقال: افعلوا؛ ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا فى البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة. فرجع القوم إلى الكوفة بذلك. وكتب عمر إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك، وعلى تنزيل الكوفة أبو الهياج بن مالك، وعلى تنزيل أهل البصرة عاصم بن الدلف أبو الجرباء. قال: وعهد عمر إلى الوفد وتقدم إلى الناس ألا يرفعوا بنيانا فوق القدر. قالوا: وما القدر؟ قال: مالا يقربكم من السرف، ولا يخرجكم من القصد»(٤٢).

أما فيما يتعلق بالطرق فقد أورد الطبرى «كتب إلى السرى عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة، أرسل سعد إلى أبى الهياج فأخبره بكتاب عمر فى الطرق، إنه أمر بالمناهج أربعين ذراعا وما يليها ثلاثين ذراعا، إلا الذى لبنى ضبة ـ

فاجتمع أهل الرأى للتقدير، حتى إذا أقاموا على شىء قسم أبو الهياج عليه»[٤٣].

أما فيما يتعلق بالمسجد (شكل ٢٩) وطراز تخطيطه مع مسجد البصرة ومساجد العالم الإسلامى فقد أمدنا الطبرى بنص فى غاية الأهمية فى هذا الصدد، حيث قال «فأول شىء خط بالكوفة وبنى حين عزموا على البناء المسجد، فوضع فى موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق، فاختطوه، ثم قام رجل فى وسطه، رام شديد النزع، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبنى وراء موقع ذلك السهم، ورمى به بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبنى وراء موقع السهمين. فترك المسجد فى مربعه غلوة من كل جوانبه، وبنى ظلة فى مقدمه ليست لها مجنبات ولا مواخير، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا - وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيما لحرمته، وكانت ظلته مائتى ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسرة، سماؤها كأسمية الكنائس الرومية. وأعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه أحد ببنيان»[٤٤].

ويحدثنا الطبرى عن دار الإمارة بقوله «وبنوا لسعد دارا بحياله بينهما طريق منتصب مائتى ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال، وهى قصر الكوفة اليوم»[٤٥].

كما أورد «فكان الصحن على حاله زمان عمر كله، لا تطمع فيه القبائل، ليس فيه إلا المسجد والقصر»[٤٦].

ويحدثنا عن الأسواق بقوله «والأسواق فى غير بنيان ولا إعلام. وقال عمر: الأسواق على سنة المساجد، من سبق إلى مقعد فهو له، حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه»[٤٧].

كما أورد فى نقل المسجد «ثم إن بيت المال نقب عليه نقبا، وأخذ من المال، وكتب سعد بذلك إلى عمر، ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما

يلى ودعة الدار: فكتب إليه عمر: أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار واجعل الدار قبلته، فإن للمسجد أهلا بالنهار وبالليل، فيهم حصن لما لهم، فنقل المسجد وأراغ بنيانه»[٤٨].

وقد شيدت عمائر مدينة الكوفة كما تقدم فى عهد سعد بن أبى وقاص بالقصب شأنها فى ذلك شأن عمائر مدينة البصرة فى عهد القائد عتبة، ثم تغيرت مادة البناء والعمارة فشيدت باللبن والطين بعد أن تعرضت لحريق هائل كما تقدم بعد سنة من تمصيرها[٤٩].

وقد قام المغيرة بن شعبة عندما وليها بالزيادة فى الجامع، قال البلاذرى «زاد المغيرة فى مسجد الكوفة وبناه»[٥٠].

وقد كان تخطيط المسجد الجامع فى عهد سعد بن أبى وقاص من مساحة مربعة تنقسم إلى صحن وظلة للقبلة عبارة عن سقف يرتكز على أعمدة رخامية، ويماثل هذا التخطيط تخطيط مسجد البصرة فى عهد أبى موسى الأشعرى (شكل ٢٩)، وهو التخطيط الذى يمثل طراز هذه الفترة من الحضارة الإسلامية ويتفق وتخطيط المسجد النبوى بالمدينة المنورة فى مرحلته الأولى قبل تحويل القبلة[٥١].

مدينة الفسطاط وعمائرها ٢١هـ/ ٦٤٢م:

يحدثنا المقريزى عن مدينة الفسطاط قبل العصر الإسلامى بقوله «اعلم أن موضع الفسطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بالجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بقصر الشمع وبالمعلقة. . . وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن فى النيل إلى بابه الغربى»[٥٢]. (شكل ٣٠).

رغبة عمرو بن العاص فى اتخاذ الاسكندرية عاصمة:

رغب عمرو بن العاص فى أن يتخذ من الإسكندرية عاصمة وحاضرة لمصر، غير أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه رفض فتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الفسطاط، قال ابن عبد الحكم «أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية، ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل فكتب عمر إلى عمرو إنى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف. فتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الفسطاط»[٥٣].

وفى رواية أكثر تفصيلاً أورد ابن عبد الحكم «أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو نازل بمدائن كسرى وإلى عامله بالبصرة وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بينى وبينكم ماء متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت. فتحول سعد بن أبى وقاص من مدائن كسرى إلى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الفسطاط»[٥٤].

تقع الفسطاط على الشاطئ الشرقى للنيل بجوار حصن بابليون، شيدها عمرو بن العاص بعد عودته من الإسكندرية فى عام ٢١هـ/ ٦٤٢م، وتعد المدينة الثالثة التى مصرت خارج الجزيرة العربية بعد مدينتى البصرة والكوفة، وقد اختلفت الروايات التاريخية والآراء فى أصل كلمة الفسطاط»(٥٥). (شكل ٣٠).

شيد عمرو بن العاص المسجد الجامع بالفسطاط، قال ابن عبد الحكم «وبنى عمرو بن العاص المسجد.. وكان ما حوله حدائق وأعنابا فنصبوا الحبال حتى استقام لهم ووضعوا أيديهم فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة وان عمرا وأصحاب رسول الله ﷺ الذين وضعوها واتخذ فيه منبرا»(٥٦).

كما شيد دار الإمارة، قال ابن عبد الحكم «فاختط عمرو بن العاص داره التى هى له اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها»(٥٧).

وشيدت خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الإمارة على غرار خطط قبائل البصرة والكوفة، حيث جاءت الخطط فى المدن الثلاث قبائلية، قال ابن عبد الحكم «واختط الناس»(٥٨). ومن الدور التى اختطت بالفسطاط الدار التى شيدت للخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقد كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه «إنا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع فكتب إليه عمر أنى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين»(٥٩).

مما تقدم يتضح أن مدينة الفسطاط جاءت إمتدادًا لمدينتى البصرة والكوفة من حيث تشييد المسجد الجامع ودار الإمارة وتوزيع خطط القبائل على المخطط العام للمدينة، ومن العمائر المدنية التى ذكرها لنا المؤرخون بمدينة الفسطاط فى عهد عمرو بن العاص «حمام الفأر» الذى كان صغيرًا للغاية مقارنة بحمامات الروم، قال ابن عبد الحكم «والحمام الذى يقال له حمار الفأر، وإنما قيل له حمام الفأر

إن حمامات الروم كانت ديماسات كبار فلما بنى هذا الحمام ورأوا صغره قالوا من يدخل هذا هذا حمام فار»[٦٠].

أما فيما يتعلق بجامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط (شكل ٣١، ٣٢) فهو يعد أول مسجد جامع فى مصر وأفريقية كلها، ذكره المؤرخ ابن دقماق فقال: إمام المساجد، ومقدم المعابد، قطب سماء الجوامع، ومطلع الأنوار اللوامع، موطن أولياء الله وحزبه، طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه، وواظب على القيام بنواحيه، وتقرب منه إلى صدر المحراب، وخر إليه راكعا وأناب ومال إليه كل الميل وجنح إلى حضرته فى جنح الليل وصرف همته لاجتناء ثمرة خيره وأدرك فضيلة جماعته التى لا تحصل أبدا فى غيره»[٦١].

وذكر المقريزى «وقال يزيد بن حبيب سمعت أشياخنا ممن حضر مسجد الفتح يقولون وقف على إقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم الزبير بن العوام، والمقداد، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وفضالة بن عبيد، وعقبة بن عامر رضى الله عنهم وفى رواية أسس مسجدنا هذا أربعة من الصحابة أبو ذر، وأبو بصيرة، ومحمئة بن جزء الزبيدى، ونبيه بن صواب»[٦٢].

وفيما يتعلق بالجامع من الناحية المعمارية فقد جاءت عمارته فى بدايتها بسيطة شأنها فى ذلك شأن المسجد النبوى بالمدينة المنورة قبل تحويل القبلة ومساجد اليمن والبصرة والكوفة التى تقدم ذكرها، وكان المسجد عند تأسيسه يشغل مساحة مستطيلة تمتد أفقيًا من الشرق إلى الغرب بمقدار ٢٥م تقريبًا، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ١٥م تقريبًا على هيئة ظلة للقبلة تقوم فيها أعمدة من جذوع النخل تحمل بدورها سقفًا منخفضًا من سعف النخيل والطين، ولم يكن للمسجد صحن متسع، وكان يشتمل على ستة مداخل وزعت على النحو التالى: اثنان فى الجانب الشمالى، واثنان فى الجانب الغربى، واثنان يقابلان دار عمرو فى الجانب الشرقى، وكانت خطط الفسطاط تحيط به من جهاته الثلاث الشمالية الشرقية، والجنوبية الشرقية، والجنوبية الغربية، أما الجهة الرابعة وهى الشمالية الغربية

فكانت قريبة من النيل فى ذلك الوقت، قال المقريزى يصف جامع عمرو بن العاص «وقال أبو سعيد أدركت مسجد عمرو بن العاص طوله خمسون ذراعًا فى عرض ثلاثين ذراعًا وجعل الطريق يطيف به من كل جهة وجعل له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص وجعل له بابان فى بحريه وبابان فى غربيه.. وكان سقفه مطأطأ جدا ولا صحن له فإذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية وبينه وبين دار عمرو سبع أذرع.. وقال القضاعى فى كتاب الخطط وكان عمرو بن العاص قد اتخذ منبرا فكتب إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره ويقول أما يحسبك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك فكسره»(٦٣).

هذا فيما يتعلق بجامع عمرو بن العاص، أما فيما يتعلق بدور الفسطاط فقد شيدت كما يذكر المؤرخ المقريزى «من الطوب الأدكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة»(٦٤)، وكانت هذه الدور تتسم ببساطتها من حيث التصميم والعمارة شأنها فى ذلك شأن دور المدينة المنورة والبصرة والكوفة، فقد وصفت دار عمرو بن العاص بالدار الصغرى، وكانت تقع فى الجهة الشرقية من المسجد الجامع على بعد ٤م منه، وهى التى تمثل دار الإمارة، كما شيدت دور الفسطاط من طابق واحد على غرار دور البصرة والكوفة، ثم من طابقين أيضًا فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، غير أن نوافذ الطابق العلوى كانت مرتفعة بحيث تحفظ حرمات المسلمين فى دورهم السكنية، كذلك فإن هذه الدور كانت تفتقد بصفة عامة للنوافذ الكبيرة التى تطل على الطرق للحفاظ على حرمات الناس داخل دورهم، وكانت نتيجة لذلك تستمد الضوء والهواء من خلال الأفنية التى تتوسط الوحدات السكنية، وهو ما يدل على أن عمارة الدور خلال تلك الفترة كانت تخضع لقيود وشروط ملزمة من جانب الخلافة الإسلامية فى المدينة المنورة من جهة، والولاة فى الأمصار والبلدان من جهة أخرى(٦٥).

ويذكر المقريزى عند ذكره الخطط التى كانت بمدينة الفسطاط القائمين على أمر هذه الخطط بقوله «اعلم أن الخطط التى كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات

التى هى اليوم بالقاهرة فقيل لتلك فى مصر خطة وقيل لها فى القاهرة حارة. . ولما رجع عمرو من الإسكندرية ونزل موضع فسطاطه، انضمت القبائل بعضها إلى بعض وتنافسوا فى المواضع فولى عمر على الخطط معاوية بن حديج التجيبى وشريك بن سمى الغطيفى وعمرو بن قحذم الخولانى، وحيويل بن ناشرة المغافرى، وكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وذلك فى سنة إحدى وعشرين»[٦٦].

والواقع أن المسجد الجامع أصبح يشكل منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ظاهرة دينية اجتماعية، حيث أصبح هو المسجد الذى تؤدى فيه الجماعة صلاة الجمعة، وفى ذلك أورد المقريزى «لما افتتح عمر البلدان كتب إلى أبى موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة وكتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب إلى أمراء أجناد الشام أن لا يتبددوا إلى القرى وأن ينزلوا المدائن وأن يتخذوا فى كل مدينة مسجدا واحدا ولا تتخذ القبائل مساجد فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده»[٦٧].

قال الزركشى «الصلاة فى الجامع أفضل من المسجد الصغير لكثرة الجماعة»[٦٨].

أول من عرف على الآذان بمصر:

كان أول من عرف على المؤذنين بمصر هو أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادى، قال المقريزى «وهو من أصحاب رسول الله ﷺ، وقد أذن لعمر بن الخطاب سار إلى مصر مع عمرو بن العاص يؤذن له حتى افتتحت مصر فأقام على الأذان وضم إليه عمرو بن العاص تسعة رجال يؤذنون هو عاشرهم، وكان الأذان فى ولده حتى انقرضوا»[٦٩].

مقبرة مصر (القرافة):

قال ابن عبد الحكم «.. توفى عمرو بن العاص فى سنة ثلث وأربعين وفيها أمر عتبة بن أبى سفين على أهل مصر»(٧٠).

ويحدثنا ابن عبد الحكم عن مقبرة المقطم بقوله «حدثنى سعيد بن عفير قال ودفن بالمقطم من ناحية الفج وكان طريق الناس يومئذ إلى الحجاز فأحب أن يدعو له من مر به»(٧١).

كما أورد فيما يتعلق بمن دفن فى مقبرة المقطم «.. قبر فى مقبرة المقطم من عرف من أصحاب رسول الله ﷺ خمسة نفر عمرو بن العاص السهمى، وعبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدى، وعبد الله حذافة السهمى، وأبو بصرة الغفارى، وعقبة بن عامر الجهنى»(٧٢).

والواقع أن جبانة مصر قد انفردت باطلاق لفظة القرافة عليها نسبة إلى بنى قرافة وهم بطن من بطون قبيلة المعافر اليمنية التى شهدت فتح مصر، وقد نزلوا بهذه الخطة بالفسطاط، وأصبحت هذه التسمية علمًا على الجبانات فى مصر دون غيرها من البلاد الإسلامية، وقد استخدم سفح جبل المقطم وامتداده قرافة للمسلمين فى مصر منذ الفتح الإسلامى فى مصر حتى وقتنا الحاضر، وساعد على ذلك عدة عوامل دينية وجغرافية جعلت من هذا السفح مكانًا مناسبًا وملائمًا وصالحًا لاتخاذه كقرافة للمسلمين فى مصر(٧٣).

وقال ابن عبد الحكم عند ذكره المقطم. حدثنا عبد الله بن صلح حدثنا الليث بن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب فى ذلك إلى أمير المؤمنين فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر سله لم أعطاك به ما أعطاك وهى لا تزرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله فقال إنا لنجد صفتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر إنا لا نعلم غراس الجنة إلا المؤمنين فأقبر

فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء فكان أول من دفن فيها رجل من المعافر يقال له عامر فقيل عمرت»[٧٤].

الاستحكامات الحربية بمصر:

يعد الحصن الذى أنشأه عمرو بن العاص بالجيزة فى عام ٢٢هـ/ ٦٤٣م بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لتأمين همدان ومن والاها عندما أحبوا المقام بالجيزة أول حصن داخلى يشيد بمصر الإسلامية[٧٥].

وقد ظهر بالفسطاط نوع من العمائر الحربية أطلق عليها اسم «المحارس» منها محرس عمار، محرس بنانة، محرس الحريص، محرس النخل، محرس قسطنطين، محرس خوى بن خوى، ومن المرجح أن هذه المحارس كانت منشآت بسيطة بوسط خطط القبائل أو على حدودها، ويعمل بها رجال يتولون حراسة كل قبيلة، أو أنها كانت نقاط متفرقة فى الفسطاط لإقامة الجند لحراستها، إلا أنها لم تكن حصونا أو قلاعا كبيرة[٧٦].

هوامش وتعليقات الفصل الثالث

(١) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٤٨١ .

(٢) ابن النجار: الدرة، ص ١٧١ . نقل السمهودى فيما يتعلق بتاريخ زيادة عمر بن الخطاب رضى الله عنه» وفى تاريخ اليافعى أن زيادته فيه كانت فى سنة سبع عشرة» السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٤٨١ .

(٣) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١٢١ .

(٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٤٨١ .

(٥) ابن النجار: الدرة، ص ص ١٧٠ - ١٧١، محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٨١-٨٧ .

(٦) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١٢١ . انظر أيضًا: السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٤٩٦ .

(٧) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٦٥٦ .

(٨) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٨٨-٨٩ .

(٩) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٣٩ .

(١٠) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٦٧٠ .

(١١) البلاذرى: فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ق٢، ص ٣١٤ . انظر عن الأمصار: طه الولى: المدينة فى الإسلام، مجلة الفكر العربى (مسألة المدينة والمدينة العربية ١)، تشرين الأول (أكتوبر) - تشرين الثانى (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة، ص ص ١١٤-١١٥ .

(١٢) البلاذرى: فتوح: ق ٢، ص ص ٤١٨-٤١٩ .

(١٣) البلاذرى: فتوح، ق٢، ص ٤٢٥ .

(١٤) ابن الاثير: الكامل، جـ٢، ص ٣١٨ .

(١٥) البلاذرى: فتوح، ق٢، ص ٤١٩ .

(١٦) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، جـ١، ص ص ٤٦-٤٧ .

(١٧) البلاذرى: فتوح، ق ٢، ص ٤٢٥ .

(١٨) البلاذرى: فتوح، ق ٢، ص ص ٤٢٥-٤٢٦ .

(١٩) الطبرى: تاريخ: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٤٧٩ .

(٢٠) ابن الأثير الكامل، جـ٢، ص ص ٣٥٣-٣٥٤ .

(٢١) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٤٧٩ .

(٢٢) البلاذرى: فتوح، ق٢، ص ٤٢٦ .، عيسى سلمان: العمارات، جـ١، ص ٤٧ .

(٢٣) الطبرى، تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٤٧٩ .

(٢٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ٣٥٤ .،عيسى سلمان: العمارات، جـ١، ص ٤٧ .

(٢٥) يحدثنا البلاذرى أيضا فيما يتعلق بالمنشآت المدنية عن حمامات مدينة البصرة بقوله «كان أول حمام اتخذ بالبصرة حمام عبد الله بن عثمان.. وهو موضع بستان سفيان بن معاوية.. ثم الثانى حمام فيل مولى زياد ثم الثالث حمام مسلم بن أبى بكرة.. فمكثت البصرة دهرا وليس بها إلا هذه الحمامات»، و «وكان أهل البصرة يشربون من مكان يقال له دير قادوس فلما قدم الأحنف بن قيس على الخليفة عمر بن الخطاب فى أهل البصرة قال له «إن مفاتح الخير بيد الله، وإن اخواننا من أهل الأمصار، نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة وإنا نزلنا سبخة نشاشة لا يجف نداها ولا ينبت مرعاها.. فليس لنا زرع ولا ضرع.. يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين.. فالحق عمر ذرارى أهل البصرة فى العطاء. وكتب إلى أبى موسى يأمره أن يحتفر لهم نهراً».

البلاذرى: فتوح. ق٢، ص ص ٤٣٤، ٤٣٧ .

(٢٦) الزركشى: إعلام، ص ص ٢٧٧-٢٧٩ .

(٢٧) الزركشى: إعلام، ص ٢٨٠ .

(٢٨) الزركشى: إعلام، ص ٢٨٣ .

(٢٩) الزركشى: إعلام، ص ٢٨٦ .

انظر ايضا عن مضاعفة الصلاة فيه، وقد اختلفت الأحاديث فى مقدارها.

الزركشى: إعلام، ص ص ٢٨٧-٢٨٨ .

(٣٠) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٨٨ .

(٣١) سورة الإسراء، آية ١ .

(٣٢) الزركشى: إعلام ص ٢٨٦ .

(٣٣) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، دار الفكر، بيروت، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، جـ٢، ص ص ٩٧-١٠١، البلاذرى: فتوح، ص ١٤٥ .

(٣٤) السيوطى: أتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م، ق١، ص ص ٢٢٥-٢٤١، عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف بمصر، ص ص ٤٦-٥٠ .

(٣٥) السيوطى: أتحاف الأخصا، ق ٢، ص ١٧٩، محمد بن أحمد كنعان: تاريخ الخلافة الراشدة، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٣٧ .

(٣٦) البلاذرى: فتوح، ق٢، ص ٣١٨ .

(٣٧) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٤٧٧ .

(٣٨) ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ٣٢١ .

(٣٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ٣٥٢ .

(٤٠) البلاذرى: فتوح، ص ٢، ص ص ٣٣٨-٣٣٩ .

(٤١) ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ٣٥٣ .

(٤٢) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج ٢، ص ٤٧٩ .

(٤٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٤٧٩ .

(٤٤) الطبرى: تاريخ، مج٢، ص ٤٧٩ .

(٤٥) الطبرى: تاريخ، مج٢، ص ٤٧٩ .

(٤٦) الطبرى: تاريخ، مج٢، ص ٤٨٠ .

(٤٧) الطبرى: تاريخ، مج٢، ص ٤٨٠ .

(٤٨) الطبرى: تاريخ، مج٢، ص ٤٨٠ .

(٤٩) عيسى سلمان: العمارات، جـ١ ، ص ص ٥٧-٥٩ .

(٥٠) البلاذرى: فتوح، ص٢، ق ٣٤٠ .

(٥١) عيسى سلمان: العمارات، جـ١ ، ص ص ٥٧-٥٩ . ، كمال الدين سامح: العمارة فى صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ص ١٥ شكل ٩ .

(٥٢) محمود حامد أحمد الحسينى: التطور العمرانى لعواصم مصر الإسلامية ـ الفسطاط ـ العسكر ـ القطائع ـ حتى نهاية العصر الفاطمى، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٨ .

(٥٣) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٩١ .

انظر عن الإسكندرية فى العصر الإسلامى:

جمال الدين الشيال: تاريخ مدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م، ص ٣٣ . السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ص ٥٧-٥٩ . ، هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ص ص ٢٧٥-٢٧٦ .

(٥٤) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٩١ .

(٥٥) قال ابن عبد الحكم سميت الفسطاط «لفسطاط (خيمة) عمرو الذى كان خلفه» وكان عمرو عندما أراد التوجه إلى الإسكندرية قد ترك فسطاطه بسبب يمامة قد أفرخت به، وقد روى ابن عبد الحكم ثم المقريزى أن عمرو لما أراد السير إلى الإسكندرية بعد أن فرغ من أمر حصن بابليون أمر بنزع فسطاطه ـ أى خيمته فإذا فيه يمامة قد أفرخت فتركه، وحين عاد اختط المدينة فى موقع الفسطاط وفى رواية أخرى نقل المقريزى «أنه ﷺ قال عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط.. والفسطاط المدينة وكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط» وذكر المستشرقون إن الاسم اشتق من الكلمة الاغريقية Fosaatum ويذكر إبراهيم العدوى أن الفسطاط كلمة عربية تعنى «مجمع أهل الكورة» الكورة هى الصقع أو المدينة، وبذلك تكون الفسطاط هى مجمع أهل

المدينة. ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٩١، الكندى (أبى عمر محمد بن يوسف) ت ٣٥٠هـ: تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٥ المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٢٩٦ .، إبراهيم العدوى: مصر الإسلامية، ص ١٩٥ .

(٥٦) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ص ٩١-٩٢ .

(٥٧) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٩٦ .

(٥٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٩٢ .

(٥٩) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٩٢ .

(٦٠) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٩٦ .

(٦١) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق، الطبعة الأولى، ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م، جـ٤، ص ٦١ . انظر أيضا عن جامع عمرو بن العاص: Organization of Islamic Capitals and cities: Principles of Architectural design and urban planning during different Islamic Eras (Analytical study for Cairo city), center for planning and architectural studies, center for revival of Islamic architectural Heritage, 1412 A.H- 1992 A.D,P. 13 .

(٦٢) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ص ٢٤٦-٢٤٧ .

(٦٣) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٤٧ .، فريد شافعى: العمارة العربية، ص ٢٦٣ .، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص ٢٣ .

(٦٤) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٣٤١ .

(٦٥) فريد شافعى: العمارة، ص ص ٣٥٣-٣٥٤ .

(٦٦) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ص ٢٩٦-٢٩٧ .

(٦٧) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٤٦ .

(٦٨) الزركشى: إعلام، ص ٣٧٦ .

(٦٩) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٧٠ .

(٧٠) ابن عبد الحكم، فتوح، ص ١٨٠، ابن الكندى (عمر بن محمد بن يوسف)، فضائل مصر المحروسة، تحقيق على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الأولى،

١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص ٤٤ .، ابن زولاق: فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، ص ٩٤ .

(٧١) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٨٣ .، السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان) ت ٩١١هـ، ١٥٠٥م: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، مج٢، ص ٧ .

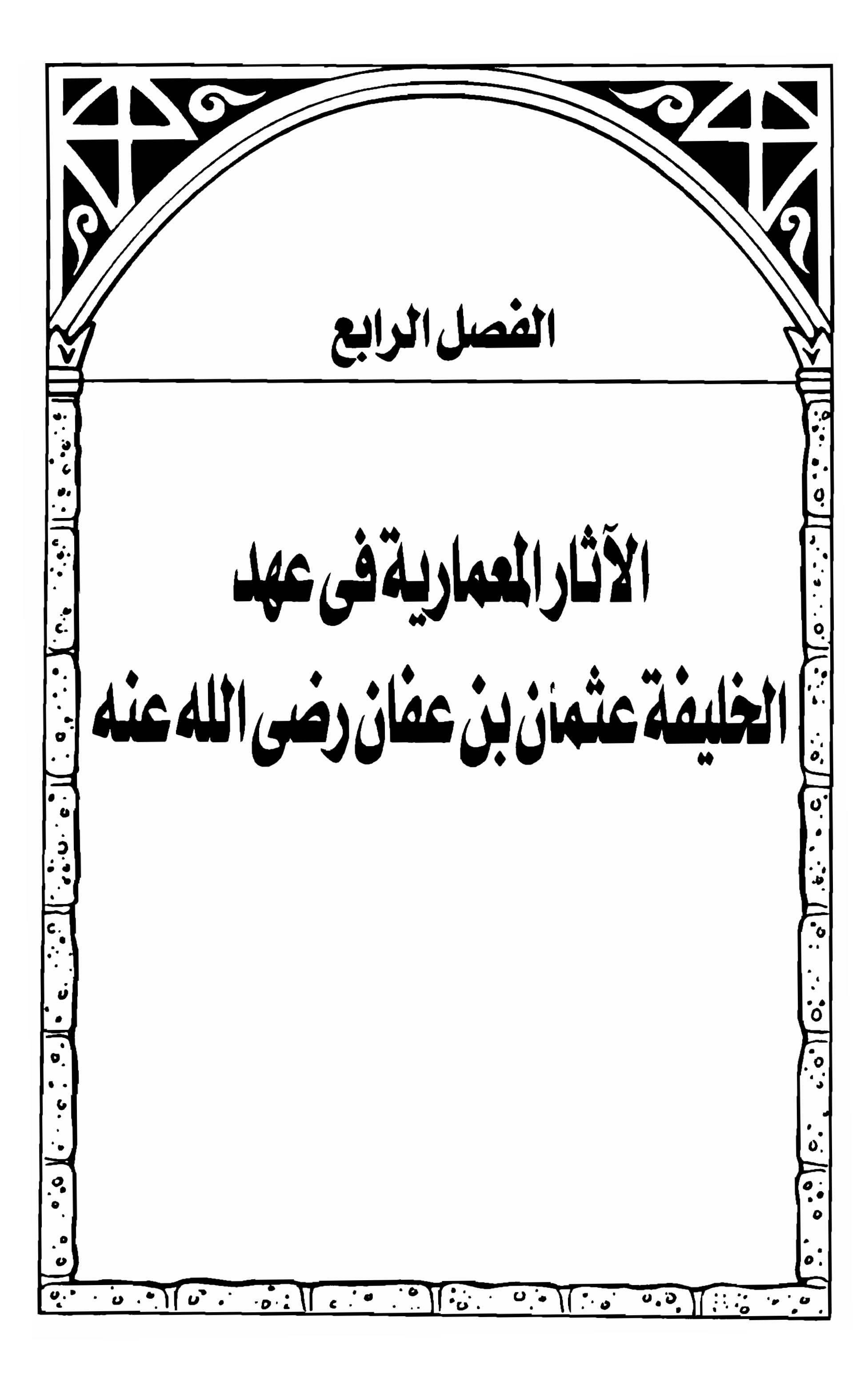
(٧٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٢٥٣ .

(٧٣) محمود حامد: التطور العمرانى، ص ص ٥٤٣-٥٤٤ .

(٧٤) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ص ١٥٦-١٥٧ .

(٧٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٩١ .، ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١٢٦، المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٢٠٦ .، عبد الله كامل موسى عبده، الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، جامعة جنوب الوادى، مجلة كلية الآداب، العدد الرابع، ١٩٩٥م، ص ٢٤٦ .

(٧٦) ابن دقماق: الانتصار، جـ٤، ص ١٥، فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية، ص ٥١٩ .



الفصل الرابع

الآثار المعمارية فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه

المسجد النبوى بالمدينة المنورة:

شهد المسجد النبوى بالمدينة تطورًا كبيرًا من الناحية المعمارية فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٤-٦٥٦م) كما ازدان المسجد بالنقوش فى عهده رضى الله عنه، ويعد نقش المسجد هنا بمثابة المرة الأولى فى تاريخ العمارة الإسلامية، حيث خلت كافة العمائر الدينية والمدنية التى شيدت قبل زيادة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه من الزخارف، لذا يعد عصر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه مرحلة انتقالية هامة فى تاريخ الحضارة الإسلامية بصفة عامة، والعمارة الإسلامية بصفة خاصة، وهى المرحلة التى اتسمت فيها العمارة الإسلامية بالتطور من الناحية المعمارية والتأنق من الناحية الزخرفية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الحضارة الإسلامية غدت مواكبة ومضاهية للحضارات الأخرى الرومانية والبيزنطية والساسانية، وتعد هذه المرحلة اللبنة الأولى فى تطور وازدهار صرح الحضارة الإسلامية خلال عصورها التالية.

نقل السمهودى «. . . أن عثمان بن عفان أراد بناء المسجد، فكره الناس ذلك، وأحبوا أن يدعه على هيئته، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من بنى «مسجدًا لله» بنى الله له فى الجنة مثله»[١].

وجاء فى صحيح البخارى «ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج»[٢]. (شكل ٣٣).

وأمدنا الزركشى فى إعلام الساجد بذرع المسجد فقال: «قال أهل السير: جعل عثمان طول المسجد مائة وستين ذراعا، وعرضه مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة كما كانت فى زمن عمر. . »[٣]. كذلك أمدنا ابن النجار بنص هام يتعلق بهذه

الزيادة حيث أورد «وكان عمله فى أول ربيع الأول سنة تسع وعشرين وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين، فكان عمله عشرة أشهر.. وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وخشب النخل والجريد، وبيضه بالقصة، وقدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل، وجعل فيها طاقات مما يلى المشرق والمغرب، وبنى المقصورة بلبن، وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الإمام، وكان يصلى فيها خوفا من الذى أصاب عمر، وكانت صغيرة، وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد وفيها الرصاص وسقفه بالساج فجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه على ما كان على عهد رسول الله ﷺ باب عاتكة والباب الذى يليه، وباب مروان، والباب الذى يقال له باب النبى ﷺ، وبابين فى مؤخره»(٤).

كما أمدنا المؤرخ يحيى بن الحسين المتوفى فى عام ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م بنص فى غاية الأهمية يتعلق بعمارة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى المسجد النبوى، حيث قال «زاد عثمان فى مسجد رسول الله ﷺ الزيادة العظيمة وجعل طوله مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين ذراعا، وحملت له الحجارة من بطن نخل، ووضع فى عمده الرصاص، وجعل أبوابه ستة على ما كانت عليه فى عهد عمر، ومن مآثر عثمان بناء المنارات للأذان، وكانت فى زمنه مربعة الشكل..(٥).

ويعد الخليفة عثمان أول من عمل المقصورة، وكانت تشتمل على كوى ينظر الناس منها إلى الإمام، وكانت من اللبن، واستعمل عليها السائب بن حباب، وكان رزقه دينارين فى كل شهر، قال المقريزى «وذكر عمر بن شيبة فى تاريخ المدينة أن أول من عمل مقصورة بلبن عثمان بن عفان وكان فيها كوى تنظر الناس منها إلى الإمام وأن عمر بن عبد العزيز عملها بالساج»(٦).

فيما يتعلق بزيادة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فقد كانت فى سنة ٢٩هـ/ ٦٤٩م قال السمهودى «وكان أول عمله فى شهر ربيع الأول من سنة تسع

وعشرين، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين، فكان عمله عشرة أشهر»[٧]. ، وتمثلت هذه العمارة فى هدم المسجد بالكامل ثم عمارته، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فى نص البخارى، «ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة»، أما فيما يتعلق بجدران المسجد، فقد جاءت بالحجارة المنقوشة والقصة، وهى السمة الأولى التى تقابلنا فى عمارة المسجد فى العالم الإسلامى، حيث جاءت جدران مساجد المدينة المنورة واليمن والبصرة والكوفة والفسطاط خالية من الزخارف، كما لم تشر المصادر التاريخية التى بين أيدينا إلى استخدام القصة فى هذه الجدران، وهو الأمر الذى يمثل إضافة جديدة من قبل المعمار المسلم فى تاريخ العمارة الإسلامية قال السمهودى «فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه، وكان رجلا يصوم الدهر ويصلى الليل، وكان لا يخرج من المسجد، وأمر بالقصة المنخولة تعمل ببطن نخل»[٨]، ونقل السمهودى أيضًا «وعن عبد الرحمن بن سفينة قال: رأيت القصة تحمل إلى عثمان وهو يبنى مسجد رسول الله ﷺ من بطن نخل، رأيته يقوم على رجليه والعمال يعملون فيه حتى تاتى الصلاة فيصلى بهم، وربما نام ثم رجع، وربما نام فى المسجد»[٩].

أما فيما يتعلق بالعمد فقد جاءت أيضًا من الحجارة المنقوشة، وقد ألفناها فى المساجد السابقة من سوارٍ من جذوع النخل، لذا فهى هنا فى زيادة عثمان بن عفان رضى الله عنه تتسم بسمتين جديدتين، تتمثل الأولى فى استخدام مادة الحجر لتحل محل مادة الخشب، وتتمثل الثانية فى نقش هذه الأعمدة مثل نقش أحجار الجدران، وهو الأمر الذى يؤكد أن أسلوب النقش أصبح يمثل اتجاهًا جديدًا فى الفكر الإسلامى الحضارى والمعمارى منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وصاحب كل ذلك عملية بياض المسجد بالكامل من الداخل والخارج بالقصة، وقد تقدم استخدام القصة فى الجدران مما يدل على أن المسجد اكتسب رونقًا وبهاءً رائعًا، ويحدثنا ابن النجار عن أسلوب عمل عمد المسجد بقوله «وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد وفيها الرصاص وسقفه بالساج» وهو الأمر الذى يعكس تطورًا فى الفكر المعمارى الإسلامى سواء

فى أسلوب عمل العمد ورفعها بدرجة كبيرة لكى تحل محل العمد الخشبية أو تحمل السقف مباشرة بدون عقود على أوتار أو عوارض خشبية أو فى أسلوب التسقيف بالساج، مما يدل على أن العمارة خرجت من طور البساطة إلى طور التأنق والبهاء من الناحيتين المعمارية والزخرفية وقد ورد فيما يتعلق بعمد المسجد انها بنيت بالآجر لا الحجر، فقد أورد السمهودى «وروى أبو داود أيضًا... إن مسجد النبى ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل.. ثم أنها نخرت فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه فبناها بجذوع النخل وبجريد النخل. ثم إنها نخرت فى خلافة عثمان رضى الله عنه فبناها بالآجر، فلم تزل ثابتة حتى الآن، هكذا رأيته فى أصول متعددة معتمدة من السنن... وفى هذا الخبر ما يقتضى أن السبب فى بناء عثمان للمسجد كون الجذوع التى هى السوارى نخرت، وأن عثمان بناها بالآجر لا الحجر، فلعل البعض كان فى زمنه مبنياً بالآجر وهو بعيد، وما تقدم من رواية الصحيح أصح»(١٠).

أما فيما يتعلق بأبواب المسجد فهى كما كانت فى عمارة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سواء من حيث الموقع أو العدد، حيث أقرها عثمان بن عفان رضى الله عنه، وتتفق تقريبا الروايات التى تناولت ذرع المسجد فى أثناء عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه فى هذه الزيادة، وهى «جعل طوله مائة وستين ذراعا، وعرضه مائة وخمسين ذراعا»، وما يعنينا هنا هو التطابق فى طبيعة الزيادة وذرع المسجد بين ما أورده المؤرخ يحيى بن الحسين الذى يعد من علماء اليمن فى القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى، وما ورد من روايات من قبل بعض المؤرخين الذين تناولوا هذه العمارة مثل ابن النجار فى الدرة الثمينة والزركشى فى إعلام الساجد على سبيل المثال، ويتناول المؤرخ يحيى بن الحسين فى النص الذى تقدم ذكره المنارات (المآذن) وتكوينها المعمارى فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه بقوله «ومن مآثر عثمان بناء المنارات للأذان وكانت فى زمنه مربعة الشكل»، وتكمن أهمية هذا النص فى أنه يشير إلى المنارات أو المآذن صراحة من جهة، وتكوينها المعمارى المربع من جهة أخرى،

وقد تأكد لنا مطابقة ما أورده المؤرخ يحيى بن الحسين عن عمارة المسجد النبوى فى عام ٢٩هـ/ ٦٤٩م، وما ورد فى المصادر التاريخية الأخرى لذا فإننا نثق فيما أورده عن المآذن فى تلك الفترة الهامة من تاريخ العمارة الإسلامية على الرغم من أنه لم يذكر لنا المصادر التى استقى منها معلوماته شأنه فى ذلك شأن معظم المؤرخين اليمنيين أو الذين أرخوا لبلاد اليمن.

ويدعم نص المؤرخ يحيى بن الحسين ما أورده المؤرخ المقريزى فى خططه ونصه «وذكر عن عثمان رضى الله عنه أنه أول من رزق المؤذنين»[١١]. وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن المئذنة أو المطمار أو الزوراء أو الصومعة[١٢] أو المنار أو المنارة أصبحت وحدة معمارية لها كيانها الخاص وتكوينها المعمارى المربع، وأن وظيفة المؤذن أصبحت من الوظائف الدينية الراتبة الهامة فى عصر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ويؤكد ذلك أيضًا ما أورده الطبرى فى تاريخه ونصه فى أحداث سنة ٣٠هـ/ ٦٥٠م «وفى هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث على الزوراء»[١٣]، كما أورد الشيخ عبد الحى الكتانى فى التراتيب الإدارية «فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء والزوراء قيل أنه مرتفع كالمنارة»[١٤]. ثم تأتى بعد ذلك إشارة البلاذرى[١٥] عن منارة جامع البصرة التى شيدها والى العراق زياد بن أبيه خلال عمارته للمسجد وتمثل مآذن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه إمتدادًا للكتلة المعمارية المربعة التى كانت تعلو المسجد النبوى منذ إنشائه، والتى تقدم ذكرها، ثم تعد أيضًا إمتدادًا للمطمار الذى تقدم ذكره فى عهد الرسول ﷺ، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن ما ذهب إليه المستشرقون وفى مقدمتهم Creswell وتقدم ذكره غير صحيح على الإطلاق.

ومن المرجح أن المعمار المسلم عند تشييده المنارات فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه راعى موقعها بحيث لا تشغل مساحة من مساحات الصلاة، جاء فى إعلام الساجد فى باب غرس الشجر والنخل وحفر الآبار فى المسجد «لا يجوز الغرس فى المسجد ولا الحفر فيه، ولا أن يبنى فيه منارة، ولا أن يضرب فيه اللبنات ويضعها فى زاوية منه أو يجمع الحشيش فى موضع منه، لأن هذه

الأشياء مما يشغل موضع الصلاة، وقيل إن اتخاذ المنارة أحق لأنه يمكن الصلاة على رأسها بخلاف حفر البئر ونحوه»[١٦].

ونلحظ التطور أيضًا فى هذه العمارة فى استخدام النوافذ المرتفعة فى الجدارين الشرقى والغربى، كما ورد فى نص ابن النجار «وجعل فيها طاقات مما يلى المشرق والمغرب»، وفى استحداث المقصورة التى تقدم ذكرها بشىء من التفصيل فى نص ابن النجار، وبنى المقصورة بلبن وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الإمام، وكان يصلى فيها خوفا من الذى أصاب عمر، وكانت صغيرة، وجعل أعمدة المسجد حجارة»، وقد فرش المسجد بحصباء وادى العقيق.

مقاصير الصلاة:

تعد المقصورة التى شيدها عثمان بن عفان رضى الله عنه بالمسجد النبوى أول مقصورة فى تاريخ العمارة الإسلامية، والمقصورة لغة من قصر الشىء، يقصره قصرا أى حبسه وتجمع على مقاصير ومنه مقصور الجامع، وقد سميت المقصورة مقصورة لأنها قصرت على الإمام دون الناس(١٧).

وقد تناول محمد محمد الكحلاوى فى دراسة له مقاصير الصلاة، حيث يذكر أن المقاصير قد تنوعت وتعددت وظائفها فى العصر الإسلام، حيث خصصت مقاصير خاصة لصلاة النساء فى المساجد الجامعة، وهى غالبًا ما تقع فى مؤخرة المسجد أو فى الظلتين الجانبيتين، وكانت لها مداخل خاصة بها تفتح عليها مباشرة، ويعد هذا النوع من المقاصير أقدم عهدًا من مقصورة الإمام، وعرف العصر الإسلامى أنواعًا أخرى من المقاصير لم تكن مخصصة للصلاة، بل كانت لها وظائف أخرى ارتبطت فى مضمونها بعمارة المسجد، ومنها المقاصير الضريحية التى تحيط بتراكيب الدفن، والمقاصير العلمية، ومقاصير الخزائن، ومقاصير الكتب، ومقاصير الفقراء، ومقاصير الصوفية(١٨).

وتمثل مقاصير الصلاة كما يذكر محمد محمد الكحلاوى أهمية كبيرة فى داخل المسجد، حيث أوجدها المعمار فى مقدمة المسجد من جهة القبلة أمام المحراب فهى عبارة عن مساحة محددة تشغل جزءً من مساحة المسجد الداخلية، ومحاطة بسياج، وهى إذا وجدت فى داخل ظلة القبلة فلابد أن تكون ملاصقة لجدار القبلة من أمام المحراب، ويعتبر جدار القبلة بذلك ضلعًا من أضلاعها، وهى فى هذا الموضع تتقدم المحراب، وتحيط بالمنبر، أما إذا وجدت فى الصحن فهى حتما تقع فى مواجهة المحراب أمام المحراب الخشبى الذى يقع على محور

المحراب الرئيسى، ويمكن أن تركب المقصورة ملاصقة بجدار القبلة على جانبى المحراب[١٩].

وفيما يتعلق بنشأة المقصورة فقد تقدم أن أول من عملها الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، والواقع أن المؤرخين اختلفوا حول نشأة ونسبة هذا النوع من المقاصير، فمنهم من نسبها إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه كما تقدم، ومنهم من نسبها إلى الخليفة معاوية[٢٠] بن أبى سفيان، ومنهم من نسبها إلى والى العراق زياد بن أبيه، ونسبها آخرون إلى الخليفة مروان بن الحكم، وتفصيل ذلك فيما يتعلق بالخليفتين عثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان، فقد أورد ابن النجار، كما أورد السمهودى[٢١] نقلا عن ابن زبالة وابن شبة عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه أن أول من أنشأ المقصورة بلبن هو عثمان بن عفان رضى الله عنه وأنه كانت فيه كوى ينظر الناس منها إلى الامام، وأن عمر بن عبد العزيز هو الذى جعلها من ساج حين بنى المسجد، كما أورد السمهودى[٢٢] رواية أخرى تفيد أن أول من اتخذ المقصورة فى المسجد هو معاوية بن أبى سفيان وذلك نقلا عن شرح مسلم للنووى، ويتفق هذا الرأى وما ذكره ابن الأثير، وقد أورد البلاذرى أن زيادًا هو أول من اتخذها فى مسجد البصرة، وذلك نقلا عن الوليد بن هشام بن قحذم، حيث قال «لما بنى زياد المسجد جعل لصفة المقدمة خمس سوارٍ وبنى منارته بالحجارة، وهو أول من عمل المقصورة»[٢٣]، وذكر بعض المؤرخين أن الخليفة مروان بن الحكم يعد أول من أحدثها، فقد أورد السمهودى «وروى يحيى هذا كله فى زيادة عثمان رضى الله عنه، ثم روى فى زيادة الوليد. . . أول من أحدث المقصورة فى المسجد مروان بن الحكم، بناها بالحجارة المنقوشة، وجعل لها كوى[٢٤].

ويعلق محمد محمد الكحلاوى على الروايات التاريخية السابقة قائلا أن الدافع الأمنى هو الذى دفع الخلفاء لصناعة مثل هذا النوع من المقاصير وذلك استنادًا إلى ما أصاب الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مقتله وهو قائم يصلى فى المسجد، ويرى أن الحجج التى أوردها المؤرخون قد تساوت حول كل من الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ومعاوية بن أبى سفيان ومروان بن

الحكم، إلا أن هناك حقيقة أخرى وردت فى نص لابن الأثير فحواها أن صحابيًا يدعى السائب بن حباب قد شغل وظيفة من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى وظيفة صاحب المقصورة، وجعل له فيها راتبًا شهريًا يقدر بدينارين وعلى هذا يضيف محمد محمد الكحلاوى أن السائب بن حباب يعتبر هو أول من شغل وظيفة صاحب المقصورة، حيث لم يأت المؤرخون بذكر واحد قد تولى هذه الوظيفة، بل ولم يرد اسم الوظيفة نفسها لافى أيام الخليفة معاوية بن أبى سفيان، ولا فى أيام الخليفة مروان بن الحكم، مما يرجح نسبة المقصورة إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى عام ٢٩هـ/ ٦٤٩م(٢٥).

وفى ذلك نقل السمهودى «أن عثمان بن عفان أول من وضع المقصورة من لبن، واستعمل عليها السائب بن خباب، وكان رزقه دينارين فى كل شهر»(٢٦).

وقد أوضح الفقهاء رأى الدين فى اتخاذ المقاصير للصلاة، فقد أجمعوا على أنها لم تكن على عهد رسول الله ﷺ، وإنما أحدثها الخلفاء بسبب الخوف على أنفسهم، وأفتوا بأن اتخاذها فى المسجد مكروه لأنها تفرق الصفوف وتحول دون التمكن من رؤية الإمام وحكمها حكم المنبر لقطعها الصف الأول، مما دفع الخليفة العباسى المهدى إلى أن يأمر ولاته فى عام ١٦١هـ/ ٧٧٧م، برفع المقاصير من المساجد وبتقصير المنابر على قدر منبر الرسول ﷺ، وفى هذا يذكر المقريزى «وفى سنة إحدى وستين ومائة أمر المهدى بنزع المقاصير من مساجد الأمصار وتقصير المنابر فجعلت على مقدار منبر الرسول ﷺ ثم أعيدت بعد ذلك(٢٧).

نقش المساجد :

جاء فى إعلام الساجد فيما يتعلق بنقش المساجد «يكره نقش المسجد واتخاذ الشرفات له.. لأنها تشغل القلب..وقال البغوى.. فى الفتاوى فإن كان فيه إحكام فلا بأس فإن عثمان رضى الله عنه بنى المسجد بالقصة والحجارة المنقوشة.. ذكر أبو نعيم فى الحلية حديثا مرفوعا، إذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم، وإذا وقف على النقش والتزويق لا يصح على الأصح لأنه منهى عنه.. وقيل يصح لما فيه من تعظيم المسجد وإعزاز الدين والخلاف يقرب من الخلاف فى تحلية المصحف»[٢٨].

وجاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة عند ذكر ما يكره فعله فى المساجد وما لا يكره، ومنها نقش المسجد وتزويقه بغير الذهب والفضة، أما نقشه بهما فهو حرام، وهذا الحكم متفق عليه بين الشافعية والحنابلة»[٢٩].

وجاء أيضا «المالكية قالوا: يكره نقش المسجد وتزويقه، ولو بالذهب والفضة سواء كان ذلك فى محرابه أو غيره كسقفه وجدرانه، أما تجصيص المسجد وتشييده فهو مندوب الحنفية قالوا: يكره نقش المحراب وجدران القبلة بجص ماء ذهب إذا كان النقش بمال حلال لا من مال الوقف.. ولا يكره نقش سقفه وباقى جدرانه بالمال الحلال المملوك وإلا حرم، ولا بأس بنقشه من مال الوقف إذا خيف ضياع المال فى أيدى الظلمة أو كان فيه صيانة للبناء، أو فعل الواقف مثله»[٣٠].

والواقع أن عمارة المسجد فى عهد الرسول ﷺ كانت تتسم بالبساطة الشديدة كما تقدم شأنها فى ذلك شأن عمارة مساكنه ﷺ التى جاءت كما يذكر ابن النجار «على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل»[٣١]. ونلمس بوضوح هذه الفلسفة فى بساطة الأسلوب المعمارى فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله

عنه وهو الأسلوب الذى يتضح جليًا من خلال ما أورده البخارى ونصه «وأمر عمر ببناء المسجد وقال أكن الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس[٣٢]، غير أنه فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه تطور الفكر الإسلامى المعمارى، حيث رأى المسلمون ضرورة أن تضاهى العمارة الإسلامية عامة والدينية خاصة من الناحيتين المعمارية والزخرفية آثار الأمصار العريقة فى المدنية، خاصة وأن المسلمين هم سادة البلاد وحكامها.

جاء فى إعلام الساجد فيما يتعلق بنقش المسجد «قال ابن عباس لتزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى»[٣٣].

ويتضح هذا الفكر الإسلامى جليًا عندما أرسل والى الشام معاوية بن أبى سفيان إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى عام ٢١هـ/ ٦٤٢م يستأذن فى إعادة بناء المساجد وتطوير عمارتها لإخراجها من طور البساطة إلى مظهر الفخامة والجلال حتى تضاهى الآثار المسيحية واليهودية فى الشام فأذن له الخليفة عثمان بذلك[٣٤].

ونلحظ جليًا فلسفة معاوية بن أبى سفيان التى تتمثل فى إظهار عز الإسلام فى موقفه مع الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما أورده الطبرى ونصه «خرج عمر بن الخطاب إلى الشام، فرأى معاوية فى موكب يتلقاه، وراح إليه فى موكب، فقال له عمر: يا معاوية، تروح فى موكب، وتغدو فى مثله.. قال يا أمير المؤمنين، إن العدو بها قريب منا، ولهم عيون وجواسيس، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزا[٣٥].

مما تقدم يتضح أن عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه يعد البداية الحقيقية لتطور الفن المعمارى الإسلامى من كافة الجوانب، قال ابن النجار «وقال جابر بن عبد الله: وكان أول من خلق المسجد عثمان بن عفان رضى الله عنه»[٣٦]. وجاء فى إعلام الساجد «واستجد بعض السلف تخليق المساجد بالزعفران والطيب، وروى عنه ﷺ فعله»[٣٧].

تخطيط المسجد النبوى فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه:

يذكر فريد شافعى أنه من المحتمل أن يكون الخليفة عثمان رضى الله عنه قد أضاف أيضا ظلات أخرى إلى جوانب الفناء، ومن ثم تكامل تخطيط المسجد وأصبح النموذج الرئيسى الذى شيدت عليه المساجد الجامعة فى العالم الإسلامى، وهو التخطيط الذى عرف بالصحن والظلات(٣٨). (شكل ٣٤).

ويذكر الشهرى أن المسجد النبوى بقى بعد زيادة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ما كان عليه فى عهد الرسول ﷺ بظلتين إحداهما جنوبية والأخرى شمالية، حيث يشير إلى أنه لم يجد فى المصادر التى اطلع عليها ما يشير إلى أنه أحدث للمسجد ظلات جانبية فى الجانبين الشرقى والغربى، ويضيف أن ضيق المسجد قبل التوسعة وطريقة توزيع الأبواب التى استحدثها الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد، وهى باب السلام، وباب النساء، وباب فى مؤخر المسجد مع الابقاء على الباب الذى كان فيه فى عهد الرسول ﷺ، وكذلك باب الرحمة، وباب آل عثمان المعروف بباب جبريل الذى لم يتغير عن موضعه فى هذه العمارة على كثرة المصلين الأمر الذى أوجب فتح هذه الأبواب الستة، وإذا كانت الظلتان الجانبيتان لم نجدهما فى عهدى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما كما أورد فريد شافعى فى المخطط الذى وضعه للمسجد النبوى، فإن الحاجة إليهما بدأت من ذلك الوقت، الذى بدأت فيه العناصر المعمارية الجديدة تظهر فى المسجد تباعًا، ومنها السترة التى بنيت فوق سطح المسجد(٣٩).

ويذكر حسن الباشا أن تصميم المسجد النبوى بالمدينة صار نموذجًا للمساجد الجامعة التى أسسها المسلمون فى المدن الجديدة التى شيدوها عقب الفتوح الإسلامية مثل مسجد البصرة ومسجد الكوفة ومسجد عمرو بالفسطاط ومسجد عقبة بن نافع بالقيروان وغيرها، ومما يدعو إلى التساؤل أن مسجد الكوفة قد صمم عند إعادة بنائه فى سنة ٥١هـ/ ٦٧١م على يد زياد بن أبيه على هيئة

صحن مستطيل تحف به ظلات أربع أطولها ظلة القبلة، ولما كان المسلمون يحرصون على الاقتداء فى تصميم مساجدهم بمسجد النبى ﷺ فكيف استعمل هذا التصميم فى مسجد الكوفة مع أنه لم يصلنا معلومات تدل على أن مسجد النبى ﷺ اتخذ هذا التصميم قبل عمارة الوليد بن عبد الملك؟ أمن المحتمل انه كان قد أجرى فى المسجد النبوى عمارة فى خلافة على بن أبى طالب، كان من جرائها اتخاذ المسجد هذا التصميم، ومن ثم اقتدى به عند إعادة بناء مسجد الكوفة فى سنة ٥١هـ أم أن التصميم الجديد لمسجد الكوفة قد تأثر بالمسجد الحرام بعد أن زوده عثمان بن عفان بأروقة كما سبق ذكره؟(٤٠).

والواقع أنه من خلال ما تقدم يمكن القول أن المسجد النبوى كان يشتمل على صحن وظلة للقبلة، وهى الظلة الأولى أو الشمالية التى كانت تتجه إلى بيت المقدس، ثم أصبح المسجد يشتمل على صحن وظلتين بعد تحويل القبلة إحداهما فى الجهة الشمالية، وهى الظلة الأولى أو القديمة التى كانت تتجه إلى بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى، والثانية فى الجهة الجنوبية، وهى الظلة الثانية أو الجديدة التى تتجه إلى مكة المكرمة قبلة المسلمين الجديدة، وذلك فى السنة الثانية للهجرة، وتوفى الرسول ﷺ والمسجد على هذا النمط من التخطيط، وعلى الرغم من أن المسجد تعرض للزيادة فى عهدى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما من منطلق أن الرسول ﷺ سن الزيادة فى مسجده الشريف إذا دعت الضرورة إلى ذلك حيث قال ابن النجار كما تقدم» وروى أهل السير أن عمر رضى الله عنه قال: لولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنى أزيد فى المسجد» مازدت فيه «إلا أن المسجد لم يشتمل على ظلتين جانبيتين فى جانبيه الشرقى والغربى بواقع ظلة فى كل جانب ويعزى هذا فى اعتقادى إلى أنه لم تكن هناك ضرورة لوجود هذه الظلة فى الجهتين الشرقية والغربية فى العصر الراشدى، ومن ثم ظل المسجد على هذا التخطيط من صحن وظلتين، ومن المرجح أن مساجد اليمن التى شيدت فى عهد الرسول ﷺ وهى مساجد صنعاء وذمار والجند التى تقدم ذكرها كانت تشتمل على صحن وظلة للقبلة على الرغم

من أنها شيدت بعد تحويل القبلة واشتمال المسجد النبوى على صحن وظلتين، حيث جاءت مساجد الأمصار الإسلامية بعد ذلك عبارة عن صحن وظلة للقبلة، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فى مسجد البصرة ١٤هـ/ ٦٣٥م، ومسجد الكوفة ١٧هـ/ ٦٣٨م، وجامع عمرو بن العاص بالفسطاط، ٢١هـ/ ٦٤٢م، حيث يعد هذا التخطيط بمثابة طراز المسجد فى تلك الفترة الزمنية من الحضارة الإسلامية، وهو الأمر الذى تأكد لنا من خلال ما أورده الطبرى وتقدم ذكره عند ذكر مسجد البصرة، ومسجد الكوفة، حيث قال «وبنى ظلة فى مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مواخير. . وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيما لحرمته». مما يدل على أن الأساس فى عمارة المسجد كان يتمثل فى ظلة القبلة والصحن وهو التخطيط الأساسى الذى جاء عليه المسجد النبوى بالمدينة قبل تحويل القبلة، حيث اعتبرت ظلة القبلة فى عمارة المسجد فى الجهة الشمالية هى بيت الصلاة، ثم بعد تحويل القبلة شيدت ظلة جديدة للقبلة فى عمارة المسجد فى الجهة الجنوبية، واعتبرت هى بيت الصلاة فأصبحت الظلة الأولى أو القديمة غير ذات أهمية أو ذات أهمية ثانوية، أو أنها هدمت لعدم الحاجة إيها ضمن عمارة تعرضت فيها جدران المسجد كلها للتغيير عقب تحويل القبلة وهو احتمال كما يذكر الشهرى وتقدم ذكره له وجاهته، ومن ثم لم تأخذ المساجد التى تقدم ذكرها فى بلاد اليمن ثم فى البصرة، وبيت المقدس والكوفة والفسطاط تخطيطًا من صحن وظلتين، بل أخذت تخطيطًا من صحن وظلة للقبلة على غرار ظلة المسجد النبوى الأولى أو الثانية.

أما فيما يتعلق بمسجدى البصرة والكوفة (شكل ٣٥) فى عهد والى العراق زياد بن أبيه وخلافة معاوية بن أبى سفيان فقد اشتمل تخطيطهما عقب عمارة زياد على صحن أوسط مكشوف وأربع ظلات تحيط به من جهاته الأربع بواقع ظلة فى كل جهة وبذلك تكامل تخطيط المسجد فى العالم الإسلامى من صحن وأربع ظلات، أو من صحن وأربعة أروقة بحيث تكون ظلة القبلة أكبر هذه الظلات من حيث الاتساع بامتداد جدار القبلة والعمق من جدار القبلة إلى

الصحن، ومن المرجح أن زياداً رأى ضرورة أن يشتمل المسجد على ظلتين جانبيتين فى الجهتين الشرقية و الغربية، ثم ظلة مقابلة لظلة القبلة تربط بين الظلتين الجانبيتين لاستيعاب أعداد المصلين المتزايدة، وأن تحيط هذه الظلات بصحن مكشوف لتكتسب من خلاله ومن خلال وجود المداخل والنوافذ والفتحات التهوية والإضاءة، ومن ثم اكتملت عمارة المسجد فى مدينتى البصرة والكوفة فى ولاية زياد وخلافة معاوية بن أبى سفيان.

أما فيما يتعلق بالمسجد النبوى خلال الفترة من عمارة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى عمارة الوليد بن عبد الملك فى العصر الأموى (شكل ٣٦، ٣٧) فقد ظل كما يذكر الشهرى محتفظا بعمارة الخليفة عثمان رضى الله عنه، حيث لم يشهد خلالها من الأعمال المعمارية إلا ما قام به مروان بن الحكم، الذى بلط حوله بالحجارة، وذلك فى خلافة معاوية بن أبى سفيان[٤١].

والواقع أن المدينة المنورة، توالت عليها أحداث هامة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وولاية الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه، وهى الأحداث التى انتهت بإعلان الدولة الأموية، وخلافة معاوية بن أبى سفيان، ومن ثم انتقال عاصمة وحاضرة الخلافة من المدينة المنورة إلى دمشق، حيث بقيت المدينة المنورة مجرد مدينة روحية.

مما تقدم يتضح أن تخطيط المسجد قد اكتمل فى مدينتى البصرة والكوفة قبل أن يكتمل فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة، إذ ليس من الضرورى أن يكتمل هذا التخطيط فى المسجد النبوى ثم نجده فى مسجدى البصرة والكوفة، خاصة فى ضوء الأحداث السياسية التى مرت بها المدينة المنورة من جهة والعالم الإسلامى من جهة أخرى، وهى الأحداث التى ترتب عليها انتقال الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى الشام ثم الاهتمام الكبير من قبل الأمويين بالسيطرة على مصر والعراق وإحداث نهضة عمرانية فيهما هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم تكن هناك ضرورة لاشتمال المسجد النبوى على ظلتين جانبيتين خاصة فى ضوء

الأحداث السياسية عقب مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، كما لم تشر المصادر التاريخية التى بين أيدينا إلى إضافات معمارية خلال تلك الفترة فى المسجد النبوى.

أما فيما يتعلق بتأصيل هذا التخطيط الذى وجد فى مسجدى البصرة والكوفة قبل المسجد النبوى، وهو التخطيط الذى يتمثل فى الصحن والظلات الأربع فمن المرجح أن زيادًا تأثر فى تخطيطه لمسجدى البصرة والكوفة بعمارة المسجد الحرام فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، فقد كان المسجد الحرام على عهد رسول الله ﷺ والخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه من غير جدار يحيط به، وكانت الدور تحدق به، ثم شيد المسجد وأصبح يشتمل على جدار يحيط به فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى عام ١٧هـ /٦٣٨م، ثم قام الخليفة عثمان بن عفان بعمارته فى عام ٢٤هـ/ ٦٤٤م، وقيل فى عام ٢٦هـ/ ٦٤٦م، حيث قام بتوسيعه وشيد المسجد والأروقة، وكان أول من اتخذها[٤٢].

قال الزركشى «ثم لما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه اشترى دورًا أخر ووسعه أيضًا، وبنى المسجد والأروقة»[٤٣]. فاكتمل الشكل النهائى لتخطيط الحرم المكى، وإذا كان الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه قد أحاط المسجد الحرام بالأروقة من جوانبه الأربعة فإن هذا ربما يدعم أنه لم ير ضرورة لأن يشتمل المسجد النبوى بالمدينة المنورة على ظلات أو أروقة جانبية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ربما أثر هذا التخطيط بعد ذلك على عمارة مسجدى البصرة والكوفة فى عهد زياد بن أبيه فتكامل تخطيطهما من صحن تحيط به ظلات أو أروقة فى جوانبه الأربعة.

هوامش وتعليقات الفصل الرابع

(١) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥٠١ .

(٢) البخارى: صحيح، جـ١ ، ص ١٢١ .

(٣) الزركشى، إعلام الساجد، ص ٢٢٥ .

(٤) ابن النجار: الدرة، ص ١٧٤ .

(٥) يحيى بن الحسين. غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، جـ١ ، ص ٨٨ .

(٦) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٤٧ . جعفر بن السيد إسماعيل المدنى البرزنجى: نزهة الناظرين فى تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد بن سلم، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٧ . مزيد من التفاصيل انظر: محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامى، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثالث، ١٩٨٩م، ص ص ٢٠٣-٢١١ .

(٧) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥٠٢ .

(٨) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥٠٢ .

(٩) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥٠٥ .

(١٠) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥٠١ .

(١١) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٧٠ .

(١٢) يعد هذا الاصطلاح من الألفاظ التى أطلقت على المئذنة قال ابن منظور «المئذنة» موضع الأذان للصلاة وقال اللحيانى: هى المنارة يعنى الصومعة. ابن منظور: لسان العرب، جـ١ ، ص ٥٣ . ،
Creswell: the Evolution of the Minaret, P. 1, Abu seif (D.B.): the Minarets of Cairo, The American University in Cairo press, p. 11., Bloom, Jonathan: Minaret symbol of Islam, published by Oxford university press, pp. 29-31.

(١٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٦١٧ .

(١٤) عبد الحى الكتانى: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، ص ٧٩ .

(١٥) البلاذرى: فتوح، ص ٣٤٢ .

(١٦) الزركشى: إعلام، ص ٣٤٢ .

(١٧) ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، جـ٥، مادة قصر، ص ص ٣٦٤٦-٣٦٤٧ .

(١٨) محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامى، ص ص٢٠٧-٢٠٨ .

(١٩) محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة، ص ص ٢٠٨-٢٠٩ .

(٢٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ١٢٧ .

(٢١) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥١٠ .

(٢٢) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥١٢ .

(٢٣) البلاذرى: فتوح، ق٢، ص ٢٤٧ .

(٢٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ,٥١١، محمد محمد الكحلاوى: مقاصير، ص ص ٢٠٩-٢١٠ .

(٢٥) محمد محمد الكحلاوى: مقاصيرة الصلاة، ص ٢١٠ .

(٢٦) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥١١ .

(٢٧) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٥١ .، محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة، ص ص ٢١٠-٢١١ .

(٢٨) الزركشى: اعلام، ص ص ٣٣٥-٣٣٧ .

(٢٩) الجزيرى: الفقه: ص ٢٢٣ .

(٣٠) الجزيرى: الفقه، ص ص ٢٢٣-٢٢٤، هامش ٢ .

(٣١) ابن النجار: الدرة: ص ١٥٢ .

(٣٢) البخارى: صحيح، مج١، جـ١، ص ١٢١ .، سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، جـ١، ص ٣٨ .

(٣٣) الزركشى، إعلام، ص ٣٣٧ . واللام فى قوله لتزخرفنها لام القسم والفعل بعدها جواب القسم وقوله كما زخرفت اليهود والنصارى أى بيعهم وكنائسهم حين أضاعوا

الدين، وعولوا على الزخارف والتحسين. محمد عبد الستار عثمان: نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ديسمبر، ١٩٧٩م، ص ٢٠ .

(٣٤) محمد كرد على: خطط الشام، دمشق ١٣٤٣هـ، ١٩٢٥م، جـ٦، ص ص ٤٥-٤٦ .

(٣٥) الطبرى: تاريخ، مج٣، ص ٢٦٥ .

(٣٦) ابن النجار: الدرة: ص ١٦٢ .

(٣٧) الزركشى: إعلام، ص ٣٣٨ .

(٣٨) فريد شافعى: العمارة العربية، ص ٢٣٧ .

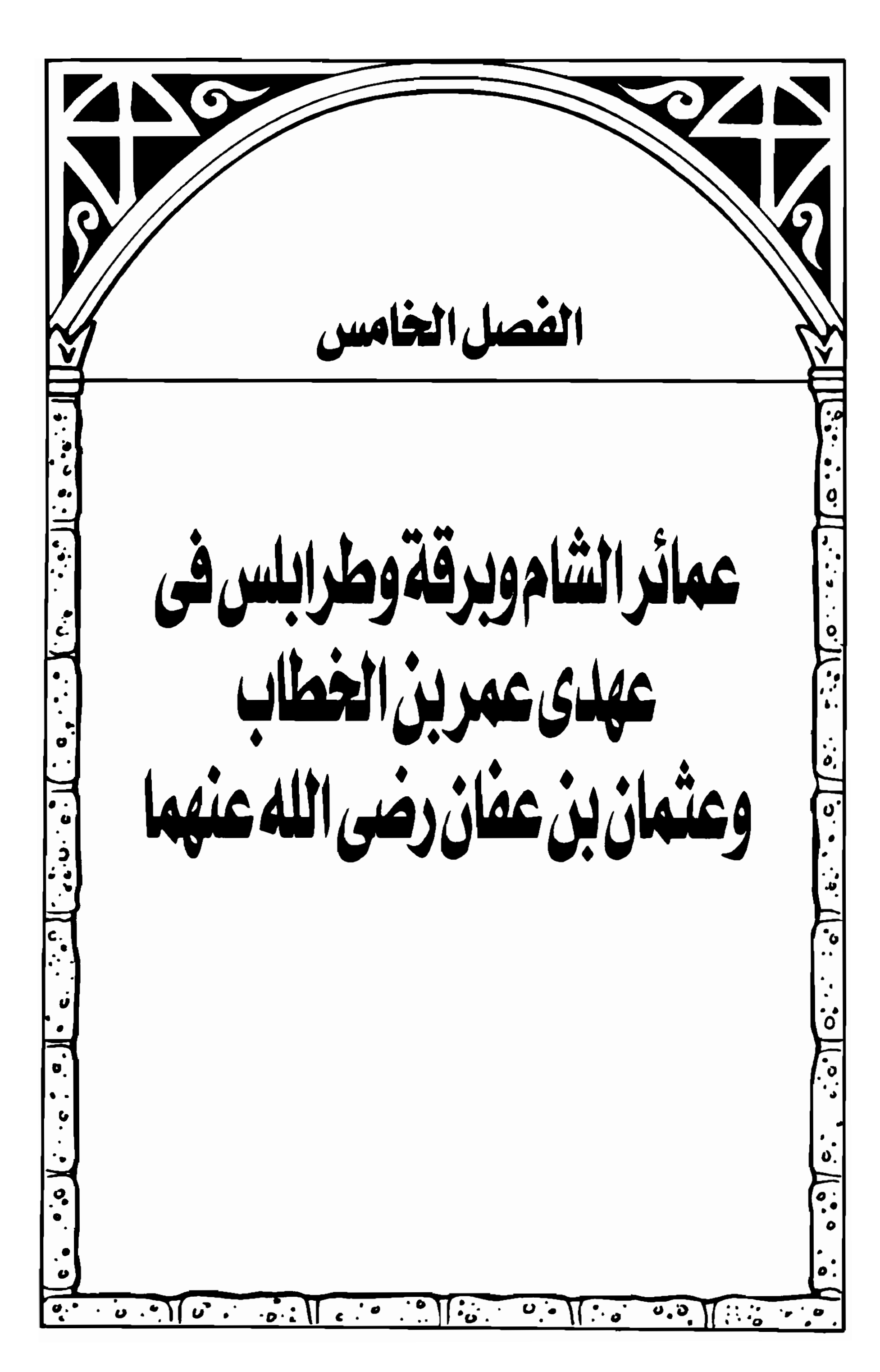
(٣٩) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ٨٧ .

(٤٠) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، ص ١٢٢ .

(٤١) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ١٠٥ .

(٤٢) الزركشى: إعلام، ص ٥٧، حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ١١٣، أحمد رجب محمد على: المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ص ٣٤-٣٥ .

(٤٣) الزركشى: إعلام، ص ٥٧ .



الفصل الخامس

عمائر الشام وبرقة وطرابلس فى عهدى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما

بنو أمية وولاية الشام:

ينتسب معاوية بن أبى سفيان[١] بن حرب إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وكنيته: أبو عبد الرحمن[٢].

ولد معاوية بمكة قبل البعثة بخمس سنوات، وأسلم يوم فتح مكة[٣]، واتخذه الرسول ﷺ كاتبًا للوحى، وقد روى الحديث عن أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم، وعن أخته أم المؤمنين حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنها وروى عنه من الصحابة عبد الله بن عباس، ومعاوية بن حديج، وعبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم، وسعيد بن المسيب[٤].

هذا وقد أبلى بنو أمية فى حرب الردة بلاءً حسنًا وسار بعضهم إلى الشام فاشتهر أمرهم وعظم ذكرهم، ومنهم يزيد بن أبى سفيان الذى ولاه الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه قيادة أحد الجيوش الأربعة التى أنفذها إلى الشام، قال الطبرى «وكان بالشام أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد»[٥]. (الأشكال ٣٨-٤٣).

وذكر البلاذرى فى فتوح البلدان ما نصه «وروى عن الواقدى أن أبا بكر ولى. . يزيد دمشق»[٦].

وفى موضع آخر أورد البلاذرى عند ذكره أمر حمص[٧] «وحدثنى أبو حفص الدمشقى عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق

استخلف يزيد بن أبى سفيان على دمشق، وعمرو بن العاص على فلسطين، وشرحبيل على الأردن»[٨].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد كتب إلى أبى عبيدة بن الجراح على الشام. قال البلاذرى «وكان عمر قد كتب إليه بولايته الشام وأمره الأمراء مع عامر بن أبى وقاص.. وقوم يقولون، أن ولاية أبى عبيدة الشام اتته والناس محاصرون دمشق»[٩].

ويرد ذكر معاوية بن أبى سفيان مقترنًا بأخيه عند ذكر أمر الأردن، قال البلاذرى «وقال أبو بشر المؤذن أن أبا عبيدة وجه عمرو بن العاص إلى سواحل الأردن فكثر به الروم وجاءهم المدد من ناحية هرقل وهو بالقسطنطينية فكتب إلى أبى عبيدة يستمده فوجه أبو عبيدة يزيد بن أبى سفيان فسار يزيد وعلى مقدمته أخوه ففتح يزيد وعمرو سواحل الأردن، فكتب أبو عبيدة.. وكان لمعاوية فى ذلك بلاء حسن وأثر جميل»[١٠].

وقد أمدنا البلاذرى فى رواية أخرى بتفصيل لهذه السواحل، حيث قال «أن يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا[١١] وعرقة[١٢] وجبيل[١٣] وبيروت[١٤] وهى سواحل وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحا يسير وجلا كثيرا من أهلها وتولى فتح عرقة معاوية نفسه فى ولاية يزيد»[١٥].

وفاة يزيد بن أبى سفيان وولاية معاوية:

توفى يزيد بن أبى سفيان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فولى الخليفة عمر رضى الله عنه أخاه معاوية بن أبى سفيان ما كان لأخيه، قال الطبرى عند ذكره عمال عمر رضى الله عنه على الأمصار «وكان عامل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ فى السنة التى قتل فيها وهى سنة ثلاث وعشرين.. على دمشق معاوية بن أبى سفيان»[١٦].

وقد أورد البلاذرى رواية أكثر تفصيلاً، حيث قال «وقال غير الواقدى: ولى عمر يزيد بن أبى سفيان فلسطين مع ما ولاه من أجناد الشام وكتب إليه يأمره

بغزو قيسارية.. فنهض إليها.. فقاتله أهلها ثم حصرهم ومرض فى آخر سنة ثمانى عشرة فمضى إلى دمشق واستخلف على قيسرية أخاه معاوية.. ففتحها وكتب إليه بفتحها فكتب به يزيد إلى عمر. ولما توفى يزيد بن أبى سفيان كتب عمر إلى معاوية بتوليته ما كان يتولاه فشكر أبو سفيان ذلك له وقال: وصلتك يا أمير المؤمنين رحم»[17].

وفى رواية أخرى أورد البلاذرى «وحدثنى هشام بن عمار، قال: حدثنى الوليد بن مسلم عن تميم بن عطية قال: ولى عمر معاوية بن أبى سفيان الشام بعد يزيد وولى معه رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ الصلاة والقضاء: فولى أبا الدرداء قضاء دمشق والأردن وصلاتهما. وولى عبادة قضاء حمص وقنسرين وصلاتهما»[18].

وفى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ولى معاوية بن أبى سفيان الشام كلها، قال البلاذرى «فلما استخلف عثمان وولى معاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدى إلى طرابلس»[19]، ثم جمع له الجزيرة فى عام ٢٥هـ/ ٦٤٥م، قال البلاذرى عند ذكره فتوح الجزيرة» ثم لما ولى معاوية الشام والجزيرة لعثمان بن عفان رضى الله عنه أمره أن ينزل العرب بمواقع نائية من المدن والقرى»[20] وفى موضع آخر أورد عند ذكره غزو الثغور الجزرية «لما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه كتب إلى معاوية بولايته الشام وولى عمير بن سعد الأنصارى الجزيرة ثم عزله وجمع لمعاوية الشام والجزيرة وثغورهما وأمره أن يغزو شمشاط[21] وهى أرمينية الرابعة»[22].

المسجد الجامع بدمشق (الجامع الأموى):

يعد الجامع الأموى بدمشق من روائع العمارة الإسلامية فى العصر الأموى (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م) وذلك فى عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م)، ويحدثنا ابن جبير عن هذا المسجد الجامع وقت فتح دمشق (أشكال ٤٤-٤٦) فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله «والوليد هذا هو الذى أخذ نصف الكنيسة الباقية منه فى أيدى النصارى وأدخلها فيه، لأنه كان قسمين: قسما للمسلمين وهو الشرقى وقسما للنصارى وهو الغربى، لأن أبا عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه، دخل البلد من الجهة الغربية، فانتهى إلى نصف الكنيسة، وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى، ودخل خالد بن الوليد رضى الله عنه من الجانب الشرقى وانتهى إلى النصف الثانى وهو الشرقى فاجتازه المسلمون وصيروه مسجدًا، وبقى النصف المصالح عليه وهو الغربى كنيسة بأيدى النصارى، إلى أن عوضهم منه الوليد، فأبو ذلك، فانتزعه منهم. . »(٢٣).

مما تقدم يتضح أن المسجد الجامع كان يشغل النصف الشرقى من كنيسة القديس يوحنا التى شيدت بدورها على أنقاض معبد وثنى قديم. (شكل ٤٥، ٤٦).

قصر الخضراء:

يعد قصر الخضراء الذى شيده معاوية بن أبى سفيان من روائع العمارة المدنية بدمشق ويقع إلى الجنوب من سور الجامع، وكان بمثابة دار الإمارة، ولا يفصلها عنه إلا جدار ترك فيه بابًا لمرور الوالى أو الخليفة بعد ذلك من منزله إلى مقصورة

الجامع وأمام القصر اصطبلات أطلق عليها دار الخيل، وقد بدأ معاوية عمارته فى أثناء ولايته على الشام (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٣-٦٥٥م) فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثم أعاد تجديد عمارته فى أثناء خلافته (٤١-٦٠هـ/ ٦٦١-٦٨٠م)، وقد عرف بالخضراء لأن القبة والجدران طليت باللون الأخضر. ومن ثم مر القصر بمرحلتين من العمارة[٢٤].

التحصينات الساحلية:

أورد السيد سابق فى فقه السنة «الجهاد، مأخوذ من الجهد، وهو الطاقة والمشقة، يقال: جاهد، يجاهد، جهادًا، ومجاهدة. إذا استفرغ وسعه، وبذل طاقته، وتحمل المشاق فى مقاتلة العدو ومدافعته، وهو ما يعبر عنه «بالحرب» فى العرف الحديث، والحرب هى القتال المسلح بين دولتين فأكثر، وهى أمر طبيعى فى البشر، لا تكاد تخلو منه أمة ولاجيل، وقد أقرته الشرائع الإلهية السابقة»[٢٥].

تطلبت مسيرة الفتح الإسلامى فى بلاد الشام ومصر والمغرب تأمين الخط الساحلى الممتد على طول البحر المتوسط من خلال ترميم وتدعيم الحصون الرومانية أو البيزطية من جهة، واستحداث حصون جديدة من جهة أخرى لتكون بمثابة قواعد دفاعية ساحلية فى مواجهة الغارات البيزنطية التى كانت تهدد مسيرة الفتوحات الإسلامية واستقرارها آنذاك.

جاء فى باب فضل الجهاد والسير فى صحيح البخارى «حدثنا الحسن بن صباح حدثنا محمد بن سابق حدثنا مالك بن مغول قال سمعت الوليد بن العيزار ذكر عن أبى عمرو الشيبانى قال قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه سألت رسول الله ﷺ قلت يارسول الله أى العمل أفضل قال الصلاة على ميقاتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله. . .»[٢٦].

وجاء فى باب فضل رباط يوم فى سبيل الله وقول الله تعالى: يا أيها الذين أمنوا اصبروا إلى آخر الآية حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد

الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروضة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»[٢٧].

وتعد المناظر (المراقب ـ الطلائع) من أقدم التحصينات الحربية التى أقامها العرب على الساحل الشامى، وكانت تمثل عنصرًا أساسيًا من عناصر الدفاع عن هذا الساحل، وكانت هذه المناظر تعمل طوال الفصل الدافئ من السنة، وهو الفصل الذى يمتد من إبريل إلى أكتوبر إستناداً إلى الأساس المناخى من جهة، ومواعيد الملاحة الممكنة من جهة أخرى، وذلك بإيقاد النار فى أعلاها، وهو الإيقاد الذى يمتد بسرعة الضوء ومسافة الاشتعال، فلا تمضى ساعة على الأكثر كما يذكر محمد عبد الهادى شعيرة حتى تكون جميع المدن الساحلية المحصنة قد علمت بوجود الخطر، وعندئذ يتجمع أهل كل عرافة إلى عريفهم، ويحتشد المرابطون ويسيرون نحو مصدر الضوء حتى يصلوا إلى المنطقة المراد الدفاع عنها[٢٨].

. هذا وقد كان تحصين مدن الساحل ضرورة استراتيجية اقتضتها الظروف السياسية فى ذلك الوقت، فقد رأى المسلمون الإحتفاظ بالحصون الرومانية أو البيزنطية التى وصلت إليهم فى حالة جيدة مثل تحصينات انطاكية[٢٩] واللاذقية[٣٠] وطرابلس[٣١] وكانت انطاكية أهم هذه الحصون فى العصرين البيزنطى والإسلامى، حيث اتخذها المسلمون قاعدة للدفاع عن الحدود الشامية الشمالية، كما رأوا إعادة بناء وتدعيم الحصون المتهدمة فى ثمانى مدن، وتتمثل هذه الحصون فى بلدة[٣٢]، وأنطرطوس[٣٣]، ومرقية[٣٤]، وبلنياس[٣٥] ، وصيدا، وعرقة، وجبيل، وبيروت، كذلك أعادوا بناء مدينتين هما عكا[٣٦] وصور[٣٧]، وأضاف محمد عبد الهادى شعيرة مدينتين غير المدن الواردة فى المصادر التاريخية هما جبلة[٣٨] وعسقلان[٣٩]، كذلك رأى المسلمون بناء حصون جديدة فقاموا ببناء حصن سفيان الذى شيد بين سنتى ٢٣ و ٢٥هـ/ ٦٤٣ و

٦٤٥م، وهو الحصن الذى ذكره البلاذرى فقال «وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدى إلى طرابلس.. فبنى فى مرج على أميال منها حصنا سمى حصن سفيان.. وحاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم.. فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلا وهربوا، فلما أصبح سفيان وكان يبيت كل ليلة فى حصنه ويحصن المسلمين فيه[٤٠].

فتح برقة وطرابلس الغرب:

كانت برقة وطرابلس ولاية واحدة داخلة فى زمام مصر من الناحية السياسية قبل العصر الإسلامى، فانقطعت بذلك الصلات السياسية الرسمية بين هاتين الولايتين وبقية أفريقية، وقد كانت هاتان الولايتان من أكثر الولايات نشاطًا فى أوائل العصر البيزنطى، وكان أهلها أكثر أهل أفريقية ثورة ووثوبًا بالبيزنطيين، فكانت لواته ـ أعظم قبائل برقة وطرابلس ـ قائدة الثورة الكبرى فيما بين سنتى ٥٤٥ و ٥٤٦م التى انتهت بمقتل حاكم أفريقية(٤١).

هذا وقد كان تقرير فتح مصر فى مؤتمر الجابية الحربى ضرورة اقتضتها العمليات الحربية لتأمين الفتوحات الإسلامية بالشام، وبعد أن تم فتح مصر فى عام ٢١هـ/ ٦٤٢م عقب معاهدة الإسكندرية فى ١٦ شوال سنة ٢١هـ/ ١٧ سبتمبر ٦٤٢م أدرك القائد عمرو بن العاص أهمية فتح بلاد المغرب، حيث وجد الخطر البيزنطى مازال قائما فى أفريقية فقرر فتح بلاد المغرب، والقضاء على النفوذ البيزنطى هناك لتأمين الفتوحات الإسلامية فى بلاد الشام ومصر، وأيضًا لتطبيق سياسة الاستمرار فى الفتح نحو الغرب ونشر الإسلام، وهو أمر يدل عليه خط سير الفتوحات الإسلامية فى بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس(٤٢). (شكل ٤٧).

أراد والى مصر عمرو بن العاص القضاء على النفوذ البيزنطى ببلاد المغرب بعد أن تم له ذلك بمصر فبدأ أحداث الفتح الإسلامى لبلاد المغرب بعد فتح الإسكندرية، إذ أرسل والى مصر عمرو بن العاص قائده عقبة بن نافع الفهرى

فى سرية صغيرة إلى برقة (انطابلس) لاستطلاع أحوال البلاد، وكان أهل برقة آنذاك على علاقة قوية مع مصر، حتى أن بعض قبائلها كان يحسب من قبطها، وكانت الطرق بينهما مطروقة مأمونة، قال ابن عذارى بعد فتح عمرو لمصر ما نصه «ووجه منها عقبة بن نافع الفهرى إلى لوبية[٤٣] وأفريقية»[٤٤]، وبعد أن وصلت عمرو بن العاص أخبار مشجعة من قائده عقبة توجه بنفسه فى عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م لفتح هذه البلاد ونشر الإسلام فيها وتأمين حدود مصر الغربية[٤٥]. (شكل ٤٨، ٤٩).

سار عمرو بن العاص بجيشه حتى قدم برقة فصالح أهلها على الجزية وهى ثلاثة عشر ألف دينار، وكان أهل برقة يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها فلم يدخل برقة يومئذ جابى خراج، وبعد فتح برقة شرع عمرو فى فتح طرابلس تمهيدا للدخول فى أفريقية، وكان الأمر يستلزم جيشين أحدهما يسير بحذاء الساحل بقصد الاستيلاء على طرابلس وما يليها من مدن ساحلية مثل صرت وصبرة، والثانى يتجه نحو جوف البلاد حيث الواحات الداخلية التى تؤلف مراكز المقاومة فى قلب البلاد وأهمها فزان، وكان البربر بها من لواته ونفوسه وهوارة واشتهرت منها قبائل جرمة Cramantes أيام الرومان، فبعث عمرو بن العاص قائده عقبة إلى فزان فافتتحها ٢٢-٢٣هـ/ ٦٤٢-٦٤٣م، ثم واصل زحفه حتى بلغ زويلة[٤٦] فأصبحت المنطقة ما بين برقة وزويلة مأمونة الجانب، أما عمرو بن العاص ففتح مدينة سرت ثم زحف على لبدة[٤٧] فوجدها قليلة العمران وفتحها دون عناء، وبعث عمرو بفرقة لإخضاع ودان حين هم بالمسير إلى طرابلس وقيل عند محاصرته لها، وكانت ودان من طرابلس كفزان من برقة، وذلك فى عام ٢٣هـ/ ٦٤٣م، ثم تمكن من فتح طرابلس فى عام ٢٣هـ/ ٦٤٣م، وكانت مدينة حصينة مسورة من سائر الجهات فيما عدا الجهة الشمالية التى تطل على البحر[٤٨].

وقد كانت طرابلس تابعة وقت الفتح الإسلامى لجريجوريوس، إذا يذكر ابن

عبد الحكم عد ذكره فتح أفريقية ما نصه «وكان مستقر سلطان أفريقية يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل قد استخلفه فخلع هرقل وضرب الدنانير وكان سلطانه ما بين اطرابلس إلى طنجة»(٤٩).

هذا وقد كانت مدينة طرابلس عندما حاصرها عمرو بن العاص فى عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م ذات أسوار تحيط بها من ثلاثة جوانب فى الجهات الجنوبية والشرقية والغربية، أما الجانب الشمالى فكان يشرف على البحر المتوسط مباشرة بدون سور، ويعزى عدم تحصين الجانب البحرى فى المدينة إلى سيطرة الروم سيطرة تامة على البحر المتوسط فى ذلك الوقت، ومن ثم رأى البيزنطيون عدم الحاجة إلى تحصين المدينة من الجانب البحرى، وقد أمدنا ابن عبد الحكم بصفة مدينة طرابلس بما نصه «وكان البحر لاصقا بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة فى مرساها إلى بيوتهم»(٥٠) ونظرا لأهمية مدينة طرابلس من جهة، وللأخطار البيزنطية المحدقة بها من جهة أخرى بعد الفتح الإسلامى لبلاد المغرب تطورت تحصينات المدينة الحربية، وتمثل هذا التطور فى تشييد سور الجهة الشمالية على البحر من قبل والى أفريقية هرثمة بن أعين. وهو الأمر الذى يتضح جليا فيما أورده البكرى ونصه «وعلى مدينة اطرابلس سور صخر جليل البنيان وهى على شاطئ البحر. ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور. . وإنما بنى سور مدينة أطرابلس مما يلى البحر هرثمة بن أعين حين ولايته القيروان»(٥١).

وكانت مدينة طرابلس عندما حاصرها عمرو بن العاص شهرا تشتمل على حصن رومانى بيزنطى من الغرب، لذا أقام عمرو بن العاص عندما حاصرها عند مرتفع يعرف باسم القبة شرقى المدينة وهو الموضع الذى شيدت عليه القلعة العثمانية بعد ذلك.

أرسل عمرو بن العاص بعد فتحه طرابلس فرقة إلى صبرة فى عام ٢٣هـ/

٦٤٣م، وفى ذلك أورد ابن عبد الحكم ما نصه «وكان من بسبرت متحصنين فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة اطرابلس وأنه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة له بهم امنوا فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة اطرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير فصبحت خيله مدينة سيبرت وقد غفلوا وفتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم، فدخلوها»(٥٢).

وبعد هذه الفتوح الرائعة رغب عمرو بن العاص فى فتح أفريقية فأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه «إن الله قد فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبين أفريقية إلا تسعة أيام فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل»(٥٣) ويذكر حسين مؤنس أنه بعد فتح صبرة أرسل عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ويضيف أنه لو وجد التقدم نحو أفريقية ميسورًا لتقدم فى غير عناء ولكن الغالب أن ما يلى صبرة من البلاد كان محصنًا بالجند، حيث وجد عمرو ضرورة الاستعانة بامدادات جديدة، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن ما يلى صبرة من البلاد كان محل عناية جريجوريوس، وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على دراية بالأحوال السياسية فى أفريقية وثورات أهلها وغدرهم بأصحاب السلطان فآثر أن يتوقف عمرو بن العاص عند هذا الحد من الفتوحات، وكتب إليه قائلا «لا إنها ليست بأفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، ولا يغزوها أحد ما بقيت»(٥٤).

وقد أورد البلاذرى صيغة أخرى فذكر ما نصه «وكتب إليه ينهاه عنها ويقول: ما هى بإفريقية، ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئا، فكانو يغدرون به كثيرًا، وكان ملك الأندلس صالحهم، ثم غدر بهم، وكان خبرهم قد بلغ عمر»(٥٥).

ويذكر ابن عذارى «فأمر العسكر بالرحيل قافلاً إلى مصر»(٥٦)، قال ابن عبد الحكم «وقد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون»(٥٧).

وأغلب الظن أن عمرو بن العاص طلب من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إمدادات لمواصلة الفتح الإسلامى فى أفريقية، إلا أن الخليفة عمر رفض بسبب الأحوال الاقتصادية السيئة التى كانت تمر بها الخلافة الإسلامية فى ذلك الوقت، كذلك فإنه من المرجح أن الخليفة عمر كتب إلى عمرو ينهاه عن غزو أفريقية حفاظا على سلامة الجيوش الإسلامية وحتى تستقر الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام ومصر، خاصة وأن عمرو بن العاص توجه لفتح بلاد المغرب بعد فتح الإسكندرية مباشرة.

أهمية موقع برقة بالنسبة للفتوحات الإسلامية:

خرجت طرابلس عن طاعة المسلمين واحتلها البيزنطيون عقب عودة عمرو بن العاص إلى مصر، وبقيت برقة على طاعتها للمسلمين، حيث بقى بها القائد عقبة بن نافع الفهرى وحاميته العسكرية، وقضى وقته متنقلا بين قبائلها والواحات القريبة منها، فاستقر فيها الحكم الإسلامى وازدهرت بها الحضارة الإسلامية، فقد نجح عقبة فى كسب كثير من سكان البلاد من قبائل لواته ونفوسة ونفزاوة وهوارة وزواغة فدخلو فى الإسلام، ومن ثم أصبحت برقة قاعدة لجيش المسلمين فى غرب مصر[٥٨].

انصرف عمرو بن العاص عن أفريقية عائدًا إلى مصر ولبث بها حتى عزله الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه عنها بعبد الله بن سعد بن أبى سرح فى عام ٢٥هـ/ ٦٤٥م، ومنذ ذلك الحين أصبح عبد الله بن سعد حاكما على ما بقى للمسلمين من فتوحاتهم فى أفريقية قائدا على ما يخرج من الجند لإكمال الفتح فيها، فقد اعتبرت أفريقية جزءا ملحقا بولاية مصر يحكمها عامل مصر ويجبى خراجها ويقود جندها[٥٩].

بدأ عبد الله بن سعد يمهد لغزو المغرب فأخذ يبعث المسلمين فى جرائد النخل كما كانوا يفعلون فى أيام عمرو بن العاص، ثم أرسل يستأذن الخليفة عثمان بن عفان فى فتح أفريقية فندب عثمان الناس لغزوها فخرج إليها عبد الله، وكان مستقر سلطان أفريقية بمدينة قرطاجنة، وكان جيش عبد الله يتألف من عرب من الجزيرة وجند وقبط من مصر وبربر من أهل افريقية، واستقبلت برقة بقيادة عقبة بن نافع عبدا لله بن سعد وجيشه، ومنها انطلق إلى طرابلس وحاصرها أيامًا ثم

انصرف عنها، ثم حاصر قابس وانصرف عنها، حيث أفضى منها إلى تونس، وفاوض جريجوريوس عند قمونية، ثم دارت المعركة على مقربة من حصن عقوبة وانتصر المسلمون وتقدموا إلى سبيطلة، ثم عاد عبد الله إلى مصر ولم يول عليهم أحدًا ولم يتخذ بها قيروانا، وكان ذلك فى عام ٢٨هـ/ ٦٤٧-٦٤٨م[٦٠].

والواقع أن ليبيا بصفة عامة وبرقة بصفة خاصة قد اسهمت من خلال موقعها الجغرافى بدور هام وفعال فى الفتوحات الإسلامية واستقرارها فى أفريقية كما تقدم وكانت فى بداية العصر الإسلامى تنقسم إلى ولايتين كبيرتين تعرف إحداهما باسم ولاية برقة وعاصمتها برقة ـ المرج حاليًا ـ بالنسبة للجهة الشرقية، أما فيما يتعلق بالموقع الجغرافى لإقليم برقة فقد أورد ياقوت الحموى عنه ما نصه «اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقية. واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن»[٦١].

وتتمتع مدينة برقة (المرج حاليا) بموقع جغرافى استراتيجى هام، فهى تقع على الطريق الرئيسى الممتد من درنة إلى سهل بنغازى[٦٢] وما وراءه إلى الغرب والجنوب فى الطريق إلى طرابلس، وتبعد عن سهل بنغازى بحوالى مائة كم، يحدها من الشرق مدينة البيضاء، ومن الغرب مدينة توكرة وتتوسط المدينة سهلاً زراعيا خصبا تحيط به المرتفعات الجبلية من كل جانب، مما جعلها فى مأمن من الغارات البحرية البيزنطية وقد أتاح هذا الموقع المتميز للمدينة أن تصبح قاعدة عسكرية أمامية للمسلمين فى غرب مصر تستقر فيها وتنطلق منها الجيوش الإسلامية الوافدة من مصر لمواصلة الفتوحات الإسلامية فيما يليها غربا، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فى حملة عبد الله بن سعد التى تقدم ذكرها.

تطور الاسم (انطابلس - برقة - المرج):

كانت المدينة تعرف قبل الفتح الإسلامى بأنطابلس، قال ابن خرداذبة فى المسالك والممالك «ونزلت لواته أرض برقة وهى انطابلس بالرومية وهى خمس مدائن»[٦٣] ثم اطلق عليها العرب اسم برقة بعد الفتح كما أطلقوا هذا الاسم أيضا على الإقليم الكبير الذى كان يمتد من نهاية حدود مصر الغربية حتى تاورغا، وفى ذلك قال ابن سعيد «وكانت البلاد تعرف بأنطابلس فسمتها العرب برقة لما رأتها كثيرة الحجارة المختلطة بالرمل»[٦٤]. هذا وقد عرفت المدينة بالمرج منذ النصف الثانى من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى حتى اليوم، فقد أمدنا ابن سعيد بنص مهم يمثل أول إشارة لهذه التسمية. حيث قال «وفى شرقيها مدينة برقة التى كانت قاعدة البلاد البرقية. ويقال لها اليوم مدينة المرج»[٦٥].

وقد عرفت المدينة بهذا الاسم لاتساعها وخصوبة أرضها وكثرة مراعيها فالمرج لغة «الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب»[٦٦]. وقد وصفها اليعقوبى فقال «ومدينة برقة فى مرج واسع»[٦٧].

طبيعة أهل برقة:

بدأت أحداث الفتح الإسلامى لبرقة الإقليم كما تقدم عقب فتح الإسكندرية مباشرة فى عام ٢١هـ/ ٦٤٢م، من قبل القائد عقبة بن نافع، ثم لم يلبث عمرو بن العاص أن توجه إليها فى عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م وفى ذلك قال ابن عبد الحكم «فسار عمرو بن العاص فى الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية»[٦٨]، ويحدثنا أيضا عن أهلها من البربر فيقول

«وتقدمت لواته فسكنت أرض انطابلس وهى برقة»[٦٩]، ثم يحدثنا اليعقوبى بشكل أكثر تفصيلا عن سكانها من العرب والبربر بما نصه «ولبرقة جبلان أحدهما يقال له الشرقى فيه قوم من العرب من الأزد ولخم وجذام وصدق وغيرهم من أهل اليمن، والآخر يقال له الغربى فيه قوم من غسان وقوم من جذام والأزد وتجيب وغيرهم من بطون العرب وقرى بطون البربر من لواته من زكودة ومفرطة وزنارة[٧٠].

ويحدثنا أيضا أبن عبد الحكم عن عهد عمرو بن العاص لأهل برقة فيقول «أن انطابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاص»[٧١]، ويضيف قائلا عن طبيعة أهلها «ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابى خراج إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها»[٧٢]، وفى هذه الطبيعة الطيبة المسالمة التى تميز بها أهل برقة مقارنة بأهل المغرب ككل قال البلاذرى «فكانوا أخصب قوم بالمغرب.. وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: لولا مالى بالحجاز لنزلت برقة فما أعلم منزلا أسلم ولا أعزل منها»[٧٣].

فيما يتعلق بالعمارة الدينية تدل الحفائر الأثرية[٧٤] على أن موقع المسجد الجامع القديم الذى يرجع فى اعتقادى إلى عهد عمرو بن العاص كان داخل اسوار المدينة الأثرية فى المساحة الممتدة من موقع المخطوطات المكتشفة إلى موقع الزاوية السنوسية، حيث كان من الطبيعى أن يشيد عمرو بن العاص مسجداً جامعا بالمدينة ومساجد أخرى تؤدى فيها الصلوات غير الجامعة على غرار منشآته الدينية فى حاضرة مصر مدينة الفسطاط، خاصة وأن التجانى يذكر لنا مسجدين شيدهما عمرو بن العاص بطرابلس، يقع أحدهما فى الموضع[٧٥] الذى يقوم عليه حاليا مسجد أحمد باشا القرمانللى ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧-١٧٣٨م بما نصه «ويقابل باب الستارة المتقدم الذكر المعروف بباب عبد الله من السور القديم باب يعرف بباب هوارة. وبين يديه من داخل المدينة بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم..

وهنالك مسجد ينسب بناؤه إلى عمرو بن العاص رحمه الله»(٧٦)، ويقع الآخر بمدينة جنزور إحدى ضواحى طرابلس بما نصه «فحللنا بمنزل زنزور، فرأيت غابة متسعة الأقطار ملتفة الأشجار وبها مياه عذبة وأكثر شجرها الزيتون.. وبها مع ذلك نخل كثير.. وبها أيضا من شجر التفاح والرمان والعنب والتين كثير، وهى كثيرة القصور.. وبها جامع متسع للخطبة يذكر أن عمرو بن العاص، رحمه الله، أسسه»(٧٧)، كما أشار الحميرى(٧٨) إلى مسجد شيده عقبة بن نافع بجبل نفوسة(٧٩)، كذلك تضم مدينة غدامس(٨٠) مسجدا ينسب إلى القائد عقبة بن نافع.

هوامش وتعليقات الفصل الخامس

(١) واسم أبى سفيان صخر بن حرب. الطبرى: تاريخ، مج ٣، ص ٢٦٣ .

(٢) ذكر الطبرى أن «من نسائه ميسون بنت محدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدى بن زهير بن حارثة بن جناب الكلبى، وولدت له يزيد بن معاوية» قال على: ولدت ميسون لمعاوية مع يزيد أمة ـ رب المشارق ـ فماتت صغيرة ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمر بن نوفل بن عبد مناف. ولدت له عبد الرحمن وعبد الله ابنى معاوية، ومنهن نائلة بنت عمارة الكلبية، ومنهن كتوة بنت قرظة أخت فاختة، فغزا قبرس وهى معه، فماتت هنالك.

الطبرى: تاريخ الطبرى مج ٣، ص ٢٦٤ . ، ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ١٢٤ .

(٣) أسلم معاوية يوم فتح مكة هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة، جاء فى السيرة النبوية لابن هشام «حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٤، ص ٤٥، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام، جـ١ ص ٢٢٧ . وقد أورد ابن تغرى بردى «وأسلم معاوية قبل أبيه فى عمرة القضاء، وبقى يخاف من الخروج إلى النبى ﷺ من أبيه» ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص١٥٣ .

(٤) قال ابن هشام عند ذكره الإسراء والمعراج «رواية معاوية: قال ابن اسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبه بن المغيرة بن الأخنس: أن معاوية بن أبى سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة». انظر:

ابن هشام: السيرة النبوية، ص ٥٠، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١، ص ٢٥٧ .

(٥) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج ٢، ص ٣٥٢ .، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج١، ص ٢٥٧ .

(٦) البلاذرى: فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١١٢ .

(٧) حمص: بالكسر ثم السكون، والصاد مهملة: بلد مشهور قديم كبير مسور، وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال كبيرة وهى بين دمشق وحلب فى نصف الطريق، يذكر ويؤنث، بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف العمليقى، وقيل: حمص بن مكنف العمليقى وقال أهل الإشتقاق: حمص الجرح يحمص حموصا وانحمص ينحمص انحماصا إذا ذهب ورمه، وهى فى الإقليم الرابع، قال أهل السير: حمص بناها اليونانيون وبحمص من المزارات والمشاهد مشهد على بن أبى طالب، رضى الله عنه وبها دار خالد بن الوليد، وقبره فيما يقال، وبعضهم يقول أنه مات بالمدينة ودفن بها وهو الأصح، وعند قبر خالد قبر عياض بن غنم القرشى، الذى فتح بلاد الجزيرة. ياقوت الحموى. مج ٢، ص ص ٣٠٢-٣٠٣,

(٨) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٣٣ . انظر أيضا: الواقدى (أبو عبد الله محمد بن عمر): فتوح الشام، دار الجيل، بيروت، ص ص ١٠٩-١١٠ .

(٩) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١١٨ .

قال البلاذرى «وحدثنى أبو حفص الدمشقى، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخى عن عدة منهم أبو بشر مؤذن مسجد دمشق أن المسلمين لما قدموا الشام كان كل أمير منهم يقصد لناحية ليغزوها ويبث غاراته فيها فكان عمرو بن العاص يقصد لفلسطين وكان شرحبيل يقصد الأردن وكان يزيد بن أبى سفيان يقصد لأرض دمشق، وكانوا إذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه وإذا احتاج أحدهم إلى معضدة صاحبه وإنجاده سارع إلى ذلك، وكان أميرهم عند الاجتماع فى حربهم أول أيام أبى بكر رضى الله عنه عمرو بن العاص حتى قدم خالد بن الوليد الشام فكان أمير المسلمين فى كل حرب، ثم ولى أبو عبيدة ابن الجراح أمر الشام كله، وأمره الأمراء فى الحرب والسلم من قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك أنه لما استخلف كتب إلى خالد بعزله وولى أبا عبيدة».
البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١١٩ .

(١٠) البلاذري: فتوح البلدان، ص ص ١١٩ - ١٢٠ .

(١١) صيداء: بالفتح ثم السكون، والدال المهملة، والمد، وأهله يقصرونه وما أظنه إلا لفظ أعجمية إلا أن أصلها في كلام العرب على سبيل الاشتراك، قال أبو منصور: الصيداء حجر أبيض يعمل منه البرام جمع برمة، وقال النضر: الصيداء الأرض التى تربتها أجزاء غليظة الحجارة مستوية الأرض، وهى مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقى صور بينهما ستة فراسخ، قالوا سميت بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح - عليه السلام، قال هشام عن أبيه: إنما سميت صيداء التى بالشام بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح، عليه السلام، ومر أبو الحسن على بن محمد بن الساعاتى بنواحى صيداء وهى بيد الأفرنج فرأى مروجا كثيرة نباتها النرجس، وهى فى الإقليم الرابع، وقال الزجاجى: اشتقاقها من الصيد والنسبة إليها صيداوى، ومن أسمائها إربل بلفظ إربل الموصل، وذكر السمعانى أنه ينسب إليها صيدانى بالنون، وممن نسب إليها كذلك أبو الحسن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جميع الغسانى الحافظ الصيدانى، رحل فى طلب الحديث إلى مصر والعراق والجزيرة وفارس.
ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ص ص ٤٣٧-٤٣٨ .

(١٢) عرقة: بكسر أوله وسكون ثانيه، وهو مؤنث المذكور آنفا: بلدة فى شرقى طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهى آخر عمل دمشق، وهى فى سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها، ينسب إليها عروة بن مروان العرقى، وإلى عرقة ينسب أبو الحسن أحمد بن حمزة بن أحمد التنوخى العرقى، طولها إحدى وستون درجة وخمس عشرة دقيقة وعرضها ست وثلاثون درجة وست عشرة دقيقة فى آخر الإقليم الرابع وأول الخامس.

(١٣) الجبيل: تصغير جبل، وجبيل: بلد فى سواحل دمشق فى الإقليم الرابع طوله ستون درجة، وعرضه أربع وثلاثون درجة، وهو بلد مشهور فى شرقى بيروت على ثمانية فراسخ من بيروت من فتوح يزيد بن أبى سفيان، ولم تزل بأيدى الفرنج إلى أن فتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتحه من الساحل، ورتب فيها قوما من الأكراد لحفظها، ينسب إليها جماعة منهم: أبو سعيد الجبيلى، وعبيد بن حيان الجبيلى، وزيد

بن القاسم السلمى الجبيلى، وأبو قدامة الجبيلى، وأبو سليمان إسمعيل بن خضر بن حسان الجبيلى.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ١٠٩-١١٠ .

(١٤) بيروت: بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، والتاء فوقها نقطتان: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيداء ثلاثة فراسخ وهى فى الإقليم الرابع، وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم والرواية منهم: الوليد بن مزيد العذرى البيروتى، وابنه أبو الفضل العباس بن الوليد بن مزيد البيروتى، ومحمد بن عبد الله بن عبد السلام بن أبى أيوب أبو عبد الرحمن البيروتى المعروف بمكحول الحافظ.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ص ٥٢٥-٥٢٦ .

(١٥) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٢٩ .

(١٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٥٨٧، ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولي، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٠١ .

(١٧) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٢ .

قال البلاذرى فيما يتعلق بقيسارية وموت يزيد «قالوا: وكان موت يزيد بن ابى سفيان فى آخر سنة ثمان عشرة بدمشق فمن قال: أن معاوية فتح قيسارية فى حياة أخيه قال: إنما فتحت فى آخر سنة ثمان عشرة ومن قال: أنه فتحها فى ولايته الشام قال: فتحت فى سنة تسع عشرة وذلك أثبت. وقال بعض الرواة أنها فتحت فى أول سنة عشرين».

البلاذرى: فتوح، ص ١٤٤ .

(١٨) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٢ .

(١٩) البلاذرى: فتوح ص ١٢٩ .

(٢٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٧٨ .، عبد المتعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ص ١٧-١٨ .

(٢١) ياقوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ص ٣٦٢-٣٦٣ .

(٢٢) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٨٣-١٨٤ .

(٢٣) ابن جبير: رحلة ابن جبير، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ٢١٢ .

(٢٤) محمد محاسنة: تاريخ مدينة دمشق، الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠١م، ص ص ٥٤-٥٥، سارة حسن منيمنة: مورفولوجية مدينة دمشق، مجلة الفكر العربى (مسألة المدينة والمدينة العربية)، تشرين الأول (أكتوبر)، تشرين الثانى (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة، ٢٣٩ .

(٢٥) السيد سابق: فقه السنة، جـ٣، ص ٣٦١ .

(٢٦) البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٤، ص ١٧ .

(٢٧) البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٤، ص ٤٣ .

(٢٨) محمد عبد الهادى شعيرة: من تاريخ التحصينات العربية فى القرنين الأول والثانى للهجرة (دراسات فى الأثار الإسلامية)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص ١١-١٤، عبد الله كامل موسى عبده: دراسات فى الحضارة والآثار الإسلامية فى ليبيا، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٨٣ .

(٢٩) انطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، وكانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى انطاكية، ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير، وهى بلد عظيم ذو سور وفصيل ولسوره ثلثمائة وستون برجا، وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل، والسور يصعد من الجبل، وفى رأس الجبل داخل السور قلعة.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج، ص ص ٢٦٦-٢٦٧ .

(٣٠) اللاذقية: مدينة فى ساحل بحر الشام تعد فى أعمال حمص، وهى غربى جبلة، وهى الآن من أعمال حلب، وهى مدينة رومانية قديمة فيها أبنية قديمة، وهو بلد حسن فى وطاء من الأرض وله مرفًا جيد محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض والبحر على غربيها وهى على ضفته.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ٥-٦ .

(٣١) طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة، ولام أيضا مضمومة وسين مهملة، ويقال اطرابلس وهى مدينة طرابلس الغرب، أما طرابلس الشام التى نحن

بصددها فهى فى الإقليم الرابع، طولها ستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة وعرضها أربع وثلاثون درجة.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٢٥-٢٦ .

مزيد من التفاصيل عن طرابلس الشام فى العصر الأموى أنظر: السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص ص ٣٧-٤٢ .

(٣٢) بلدة: ذكرها ياقوت من مدن ساحل بحر الشام قريبة من جبلة، من فتوح عبادة بن الصامت، ثم خرجت وجلا أهلها فأنشأ معاوية جبلة، وكانت حصنا للروم.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٨٣ .

(٣٣) انطرطوس: بلد من سواحل بحر الشام، وهى آخر أعمال دمشق ومن البلاد الساحلية، وأول أعمال حمص، وقال أبو القاسم الدمشقى: من أعمال طرابلس مطلة على البحر فى شرقى عرقة، ولها برجان حصينان كالقلعتين، فتحها عبادة بن الصامت بعد فتح اللاذقية وجبلة وكانت حصنا ثم جلا عنه أهله فبنى معاوية انطرطوس وحصنها. واقطع المقاتلة بها القطائع، وكذلك فعل بمرقية وبلنياس، وينسب إليها عمرو بن داود بن سلمون بن داود أبو حفص الأنطرطوسى.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٢٧٠ .

(٣٤) مرقية: بفتح أوله وثانية وكسر القاف، والياء مشددة قلعة حصينة فى سواحل حمص كانت خرجت فجددها معاوية، ينسب إليها إبراهيم بن هبة الله بن إبراهيم أبو إسحاق القرشى الطرابلسى المرقانى الذى قدم دمشق وحدث بها عن أبى جعفر أحمد بن كليب الطرسوسى.

ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ١٠٩ .

(٣٥) بلنياس: بضمتين وسكون النون وياء وألف، وسين مهملة: كورة مدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٨٩ .

(٣٦) عكا: ذكرها ياقوت عكة بفتح أوله وتشديد ثانيه، العكة الرملة حميت عليها الشمس، وقيل العكة من الحر الفورة الشديدة فى القيظ وهى بلد على ساحل بحر

الشام من عمل الأردن وهى من أحسن بلاد الساحل فى أيامنا هذه وأعمرها، وهى حصينة كبيرة الجامع فيه غابة زيتون يقوم بسرجه وزياده، ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون.

ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ص ١٤٣-١٤٤ .

(٣٧) صور: بضم أوله وسكون ثانية وآخره راء مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء وكان من أهلها جماعة الأئمة، كانت من ثغور المسلمين وهى مشرفة على بحر الشام داخله فى البحر وهى حصينة جديدة.

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ٤٣٣ .

(٣٨) جبلة: قال ياقوت جبلة أيضا قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية أنشأها معاوية وكانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص، وشحنها بالرجال، وبنى معاوية بجبلة حصنا خارجا من الحصن الرومى القديم.

ياقوت: معجم البلدان، مج ٢، ص ١٠٥ .

(٣٩) عسقلان: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم قاف وآخره نون وهو اسم أعجمى فيما علمت، وقد ذكر بعضهم أن العسقلان أعلى الرأس، فإن كانت عربية فمعناه إنها فى أعلى الشام، وهى مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها عروس الشام، وكذلك يقال لدمشق أيضا، وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدث بها خلق كثير ولم تزل عامرة حتى استولى عليها الأفرنج.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ١٢٢ .

(٤٠) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٢٩ .

(٤١) حسين مؤنس: فتح العرب، ص ٥٠ .

(٤٢) إبراهيم العدوى: مصر، ص ١١٢ .، محمد على دبوز: تاريخ المغرب الكبير، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، ج٢، ص ٨٠٣ .

(٤٣) لوبية كورة من كور مصر الغربية، وهى متصلة بالإسكندرية. الحميرى: الروض، ص ٥١٤ .

(٤٤) ابن عذارى: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان، وأ.ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، ج١، ص ٨ .

(٤٥) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ٥٥ .

(٤٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ص ٩٥٣-٩٥٤ .

(٤٧) لبدة: مدينة قديمة بناحية طرابلس. الحميرى: الروض، ص ٥٠٨ .

(٤٨) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب ص ص ٦٠-٦١ .

(٤٩) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٧١ .

(٥٠) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٧١ .

(٥١) البكرى: المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م، ج٢ ص ص ٦٥٣-٦٥٥ .

(٥٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٢ .

(٥٣) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٣ .

(٥٤) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٣ .

(٥٥) البلاذرى: فتوح، ص ٣٠ .

(٥٦) ابن عذارى: البيان، مج ١، ص ٨ .

(٥٧) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٣ .

(٥٨) محمد محمد زيتون: القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأول، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٣ .

(٥٩) حسين مؤنس: فتح، ص ص ٧٧-٧٨ .

(٦٠) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ص ١٨٣-١٨٧ ،. حسين مؤنس: فتح، ص ص ٨٢-١٠٥ .

(٦١) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٣٨٨ .

(٦٢) فتحى أحمد الهرام: التضاريس والجيومورفولوجيا (كتاب الجماهيرية ـ دراسة فى الجغرافية) سرت ـ الطبعة الأولى، ص ١٩٩٥م، ص ١٠٥ .

(٦٣) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٩١ .

(٦٤) محمد يوسف نجم، إحسان عباس: ليبيا فى كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازى، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٨٣ .

(٦٥) محمد يوسف نجم، إحسان عباس: ليبيا، ص ٨ .

(٦٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ١٠٠ .

(٦٧) محمد يوسف نجم، إحسان عباس: ليبيا، ص ٨ .

(٦٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٠، ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص ١٢ .

(٦٩) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٠ .

(٧٠) محمد يوسف نجم، إحسان عباس: ليبيا، ص ٨ .

(٧١) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٠ .

(٧٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٠ .

(٧٣) البلاذرى: فتوح، ص ١٧١ .

(٧٣) البلاذرى: فتوح، ق١، ص ٢٦٤ .

(٧٤) انظر عن برقة وحفائرها .

Abdussaid, Adbulhamid: Barqa Modern El. Merj, Estratto Da :Libya Antiqua" The Department of Antiquties, Tripoli, 1971, Vol. VIII. P. 126., Hamdani, Abbas, Some Aspects of the History of Libya During the Fatimid Period, University of Libya, Faculty of Arts, Libya in Historical conference 16-23 March, 1968, pp. 2-21.

(٧٥) أتورى روسى: ليبيا منذ الفتح العربى حتى سنة ١٩١١م، ترجمة خليفة محمد التليسى، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٢٢ .، شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالى، ترجمة محمد عبد الكريم الوافى، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، ص ٥٣

(٧٦) التجانى: رحلة التجانى (تونس - طرابلس ٧٠٦/٧٠٨هـ) الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١م، ص ٢٤٥ .

(٧٧) التجانى: رحلة التجانى، ص ص ٢١٤-٢١٥ .

(٧٨) الحميرى: الروض، ص ص ٤٧-٤٨ .

(٧٩) جبال فى المغرب، وهى مدينة قديمة صغيرة حولها عمارات وطوائف من قبائل البربر، وبها جامع وسوق، غزاها عقبة. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ص ص ٨٠٠-٨٠١ . ، الحميرى: الروض، ص ٥٧٨ .

(٨٠) على مسعود البلوشى وآخرون: موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا، أمانة التعليم، مصلحة الآثار، ليبيا، جـ ٢، ص ص ٦٧-٧٣ .

الخاتمة

وبعد فهذه دراسة تطرقت إلى موضوعات تاريخية وحضارية وأثرية فى مجال العمارة الإسلامية فى الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر وأفريقية خلال الفترة الممتدة من السنة الأولى للهجرة حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين وقيام الدولة الأموية فى عام ٤١هـ/ ٦٦١م، وهى الفترة التى تشتمل على عهد الرسول ﷺ ثم عهد الخلفاء الراشدين، وفيما يلى عرض بعض ما تحقق من نتائج من خلال فصول الكتاب.

تطرق الفصل الأول إلى المسجد فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، ثم المسجد لغة وشرعًا كدراسة تمهيدية، ثم تطرق الفصل الثانى إلى ذكر المسجد الحرام فى القرآن الكريم وعمارته الهامة فى عهدى الخليفة عمر بن الخطاب والخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنهما لأهمية ذلك بالنسبة لتكامل تخطيط المسجد فى تلك الفترة من صحن أوسط مكشوف وأربع ظلات.

القى البحث الضوء أيضًا فى هذا الفصل على المسجد قبل هجرة الرسول ﷺ وفى أثناءها للرد على المستشرقين، ثم تأسيس المسجد النبوى والمراحل التى مر بها فى حياة الرسول ﷺ فى ضوء فكر الرسول ﷺ والعقيدة الإسلامية من جهة والعوامل البيئية من جهة أخرى، وفى هذا الصدد تناول البحث الرد على المستشرقين فيما يتعلق بتأسيس المساجد والمئذنة، والمنبر، وتخطيط المسجد النبوى.

ألقى البحث الضوء على دور الرسول ﷺ، وعلى المدينة المنورة وعمائرها فى عهد الرسول ﷺ لإيضاح أثر ذلك على الأمصار الإسلامية بعد ذلك، وقد

أوضح البحث من خلال هذه الدراسة تأثر استحكامات المدينة المنورة الحربية بالأسلوب الفارسى، كما ألقى البحث الضوء على عمارة المسجد خارج الحجاز فى بلاد اليمن مثل جامع صنعاء، وجامع ذمار، وجامع الجند.

وفى الفصل الثالث ألقت الدراسة الضوء على الفن المعمارى الإسلامى خلال عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فتطرقت إلى عمارة المسجد النبوى وإنارته، ومدينة البصرة وعمائرها، ومدينة القدس ومسجدها الجامع، ومدينة الكوفة وعمائرها، ومدينة الفسطاط وعمائرها، ومقبرة مصر (القرافة)، ثم الاستحكامات الحربية، وقد أوضحت الدراسة فلسفة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى كل ذلك من خلال النصوص التاريخية.

وفى الفصل الرابع ألقت الدراسة الضوء على الفن المعمارى الإسلامى خلال عصر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، فتطرقت إلى الزيادة العظيمة التى أجراها فى المسجد النبوى والتى تمثل البداية الحقيقية لتطور الفن المعمارى الإسلامى، كما تضمنت مناقشة حول المقاصير (مقاصير الصلاة) وعمارة المئذنة، وكذلك تطرقت لنقش المسجد النبوى وتخطيطه، وقد تم كل ذلك فى ضوء فلسفة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه من واقع النصوص التاريخية والأثرية.

هذا وقد ألقى الفصل الأخير الضوء على عمائر دمشق (المسجد الجامع والقصر) والاستحكامات الحربية القديمة الإسلامية التى شيدت لتأمين الخط الساحلى الممتد على طول البحر المتوسط فى الشام ومصر والمغرب فى عهدى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما لصعوبة الفصل بينهما هذا من جهة، ومن جهة أخرى ألقت الدراسة الضوء على فتح برقة وطرابلس الغرب وأهمية برقة بالنسبة للفتوحات الإسلامية، وأهم العمائر المندثرة فى برقة وطرابلس خلال تلك الفترة.

ثبت الأشكال

اولا : الأشكال

١٩- (شكل ٢٧) مخطط المسجد النبوى وزيادة الخليفة عمر عن محمد هزاع .

٢٠- (شكل ٢٩) مخطط مسجد الكوفة عن فريد شافعى .

٢١- (شكل ٣١) مخطط مسجد عمرو بن العاص عن أحمد فكرى .

٢٢- (شكل ٣٢) مخطط مسجد عمرو بن العاص عن أحمد فكرى .

٢٣- (شكل ٣٣) مخطط المسجد النبوى فى عهد عثمان رضى الله عنه عن محمد هزاع .

٢٤- (شكل ٣٤) تصور لتخطيط المسجد النبوى فى عهد الخليفة عثمان عن فريد شافعى .

٢٥- (شكل ٣٥) مخطط مسجد الكوفة فى عهد زياد بن أبيه عن أحمد فكرى .

٢٦- (شكل ٣٦) مخطط المسجد النبوى فى عهد الوليد بن عبد الملك عن سوفاجيه .

٢٧- (شكل ٣٧) مخطط المسجد النبوى فى عهد الوليد بن عبد الملك عن أحمد فكرى .

٢٨- (شكل ٤٤) مخطط مدينة دمشق فى العصر الرومانى عن سارة منيمنة .

٢٩- (شكل ٤٥) مخطط مدينة دمشق عند الفتح الإسلامى عن قتيبة الشهابى .

٣٠- (شكل ٤٦) مخطط تقريبى لأبواب دمشق وأبراجها فى العصرين الرومانى والإسلامى عن قتيبة الشهابى .

ثانيا : الخـــــرائط

ثبت المصادر والمراجع العربية وغير العربية

القرآن الكريم:

أولاً: المصادر العربية:

* ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد أبى عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣م:

- الكامل فى التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد، دار الشعب.

* ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف) ت ٨٧٤هـ.

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والارشاد القومى.

* ابن جبير (أبى الحسن محمد بن أحمد) ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م:

- رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك، دار ومكتبة الهلال.

* ابن خرداذبة (أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت حوالى ٣٠٠هـ/ ٩١٢م:

- المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، الثقافة الدينية، القاهرة.

* ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م.

- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق، الطبعة الأولى، ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م.

* ابن زولاق:

- فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق د. على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة.

* ابن سعد (محمد) ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م:

- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* ابن عبد الحكم (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى) ت ٢٥٧هـ/ ٨٦٧م:

- فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

* ابن العبرى (غريغوريوس الملطى) ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م:

- تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

* ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشى):

- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان، أ. ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

* ابن غلبون:

- التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

* ابن كثير القرشى:

- تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية.
* ابن الكندى (عمر بن محمد بن يوسف):
- فضائل مصر المحروسة، تحقيق د. على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
* ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) ت ٧١١هـ/ ١٣١١م:
- لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
* ابن النجار:
- الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة، تحقيق د. محمد زينهم، الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
* ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م:
- السيرة النبوية، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٦٦م.
* البخارى:
- صحيح البخارى، دار مطابع الشعب.
* البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٧م:
- المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م.
* البلاذرى (الإمام أبو الحسن) ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م:
- فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
* التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد):

- رحلة التجانى (تونس ـ طرابلس ٧٠٦-٧٠٨هـ)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١م.

* التهانوى (محمد أعلى بن على):

- موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون، نشر خياط، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.

* الحميرى (محمد عبد المنعم) ت ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م:

- الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د. احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

* الدار قطنى:

- سنن الدار قطنى، تحقيق السيد عبد الله هاشم، دار المحاسن، القاهرة، دار المعرفة، بيروت، المدينة المنورة، الحجاز، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

* الرازى (أحمد بن عبد الله بن محمد) ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م:

- تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق د. حسين عبد الله العمرى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

* الزركشى (محمد بن عبد الله) ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م:

- إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة أحياء التراث الإسلامى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* الزمخشرى (جار الله أبى القاسم محمود بن عمر):

- أساس البلاغة، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

* السكتوارى (علاء الدين على):

- محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر:

* السمهودى (نور الدين على بن أحمد) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م:

- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

* السيوطى (أبى عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن على بن عبد الخالق المنهاجى شمس الدين) ت ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م:

- اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

* السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م:

- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

* الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م:

- تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* القرطبى أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى)

- الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.

* القسطلانى:

- شرح الامام الزرقانى المالكى على المذاهب اللدنية، المطبعة الأزهرية المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

* الكندى (أبى عمر محمد بن يوسف) ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م:

- تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
* مسلم:
- صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
* المقرى الفيومى (أحمد بن محمد):
- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، الطبعة الأولى، ١٩٠٣م.
* المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م:
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
* المناوى:
- فيض القدير، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م.
* النووى (أبو زكريا محى الدين):
- تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.
* الواقدى (أبو عبد الله محمد بن عمر) ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م:
- فتوح الشام، دار الجيل، بيروت.
* ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م:
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
* يحيى بن الحسين:
- غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

* اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح) ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م:

- تاريخ اليعقوبى، دار الفكر، بيروت، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

ثانيا: المراجع العربية:

* د. إبراهيم أحمد العدوى:

- مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام، هيئة الآثار المصرية، وزارة الثقافة.

* د. أحمد رجب محمد على:

- المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

* د. أحمد عبد الرازق أحمد:

- الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

* د. أحمد فكرى:

- مساجد الإسلام ـ ١ ـ (مسجد القيروان)، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

- مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، دار المعارف بمصر، ١٩٦١م.

* جرجى زيدان:

- تاريخ التمدن الإسلامى، مؤسسة دار الهلال، ١٩٦٨م.

* جعفر بن السيد اسماعيل المدنى البرزنجى:

- نزهة الناظرين فى تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد بن سلم، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

* د. جمال الدين الشيال:

- تاريخ مدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

* د. حسن إبراهيم حسن:

- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

* د. حسن الباشا:

- مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة.

* حسن عبد الوهاب:

- تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

* د. حسين مؤنس:

- فتح العرب للمغرب، الثقافة الدينية، القاهرة.

- المساجد، ١٩٩٤م.

- أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للاعلام العربى، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* د. زكى محمد حسن:

- فنون الإسلام، دار الرائد العربى، القاهرة، بيروت.

* د. سارة حسن منيمنة:

* مورفولوجية مدينة دمشق، مجلة الفكر العربى (مسألة المدينة والمدينة العربية

١) تشرين الأول (أكتوبر)، تشرين الثانى (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة.

* د. سعاد ماهر محمد:

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، جمهورية مصر العربية.

- مساجد فى السيرة النبوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

* السيد سابق:

- فقه السنة، دار الفتح للإعلام العربى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

* د. السيد عبد العزيز سالم:

- طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦م.

- تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

- تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٢م.

- دراسات فى تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية ٢)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

* طه الولى:

- المدينة فى الإسلام (مسألة المدينة والمدينة العربية ١)، مجلة الفكر العربى، تشرين الأول (أكتوبر)، تشرين الثانى (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة.

* عارف باشا العارف:

- تاريخ القدس، دار المعارف بمصر.

* د. عبد الله كامل موسى عبده:

- تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة منذ الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى ـ دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عهد الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع، ١٩٩٥م.

- دراسات فى الحضارة والآثار الإسلامية فى ليبيا، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

* عبد الحى الكتانى:

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت.

* عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيرى:

- كتاب الفقه على المذاهب الأربعة (عصر الخلفاء الأمويين)، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

* د. على مسعود البلوشى وآخرون:

- موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا، أمانة التعليم، مصلحة الآثار، ليبيا.

* د. عيسى سلمان وآخرون:

- العمارات العربية الإسلامية فى العراق، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م.

* د. فتحى أحمد الهرام:

- التضاريس والجيومورفولجيا (كتاب الجماهيرية ـ دراسة فى الجغرافية)، سرت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

* د. فريد شافعى:
- العمارة العربية فى مصر الإسلامية ـ عصر الولاة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
* د. كمال الدين سامح:
- العمارة فى صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.
* لبيب السعيد:
- الأذان والمؤذنون، الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٧٠م.
* محمد بن أحمد كنعان:
- تاريخ الخلافة الراشدة، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
* محمد الياس عبد الغنى:
- المساجد الأثرية فى المدينة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
* د. محمد حسين محاسنه:
- تاريخ مدينة دمشق، الأوائل، دمشق، ٢٠٠١م.
* د. محمد عبد الستار عثمان:
- نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراة منشورة، كلية الأداب بسوهاج، جامعة اسيوط، ديسمبر ١٩٧٩م.
- المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، ١٢٨، الكويت، ذو الحجة، ١٤٠٨هـ/ أغسطس/ آب ١٩٨٨م.
* د. محمد عبد الهادى شعيرة:
- من تاريخ التحصينات العربية فى القرنين الأول والثانى للهجرة (دراسات فى

الآثار الإسلامية)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م.

* محمد على دبوز:

- تاريخ المغرب الكبير، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

* محمد كرد على:

- خطط الشام، دمشق، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

* د. محمد محمد زيتون:

- القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* د. محمد محمد الكحلاوى:

- مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامى، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثالث، ١٩٨٩م.

- القيم الدينية وأثرها فى تخطيط عمارة المساجد (دراسات فى علم الآثار والتراث)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، العدد الأول، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

* محمد مختار باشا:

- كتاب التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية، المطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية، الطبعة الأولى، ١٣١١هـ.

* د. محمد هزاع الشهرى:

- عمارة المسجد النبوى منذ انشائه حتى نهاية العصر المملوكى، دار القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

* د. محمود حامد أحمد الحسينى:

- التطور العمرانى لعواصم مصر الإسلامية ـ الفسطاط، العسكر، القطائع، حتى نهاية العصر الفاطمى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م.

* د. مصطفى عبد الله شيحه:

- مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

* د. محمد يوسف نجم. د. احسان عباس:

- ليبيا فى كتب الجغرافية والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازى، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

* د. هويدا عبد العظيم رمضان:

- المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

* وزارة الأوقاف:

- كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ـ قسم العبادات، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م.

* وليد عبد الله عبد العزيز:

- الحسبة على المدن والعمران، حوليات كلية الاداب، مجلس النشر العلمى، جامعة الكويت، الحولية السادسة عشرة، الرسالة المائة وسنة ١٤١٦-١٤١٧هـ/ ١٩٩٥-١٩٩٦م.

ثالثا: المراجع المعربة:

* اتورى روسى:

- ليبيا منذ الفتح العربى حتى سنة ١٩١١، ترجمة خليفة محمد التليسى، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

* زامباور:

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة د. زكى محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، واشترك في ترجمة بعض فصوله د. سيدة اسماعيل كاشف وحافظ أحمد حمدى وأحمد ممدوح حمدى، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان.

* شارل فيرو:

- الحوليات الليبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الايطالى، ترجمة محمد عبد الكريم الوافى، جامعة قاريونس، بنغازى، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.

* غوستاف لوبون:

- حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

* كريزويل:

- الآثار الإسلامية الأولي، ترجمة عبد الهادى عبلة، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

رابعًا: المراجع غير العربية:

* Abdussaid, Abdul Hammid:

- Barqa Modern El-Merj, Estratto da "Libya Antiqua", The Department of Antiquities, Tripoli, 1971.

* Abu Seif (D.B.):

- The Minarets of Cairo, the American university, in Cairo press, 1985.

* Bloom, J.:

- Minaret symbol of Islam, published by Oxford university press.

* Creswell (K.A.C.):

- The Evolution of the Minaret, Burlington, 1926.

- A short Account of Early Muslim Architecture, The American university in Cairo press, 1989.

* Hamdani, Abbas:

- Some Aspects of the History of Libya During the Fatimid period, University of Libya, Faculty of Arts, Libya in History, Historical Conference 16-23 March, 1968.

* Organzation of Islamic Capitals and Cities:

- Principles of Architectural Design and Urban planning During Different Islam Eras (Analytical Study for Cairo City), The organization of Islamic Capitals and Cities, 1412 A.H./1992 A.D.

* Sauvaget (J):

- La Mosquee Omeyyade De Medine, Paris, 1947.

بحوث وكتب صدرت للمؤلف

قائمة البحوث:

* الجامع الكبير بصنعاء «رؤية تاريخية أثرية فيما أثير حول عمارة الرواق الشرقى، الإكليل، ١٩٩٢م.
* متنزه سرياقوس فى العصر المملوكى، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الثالث، ١٩٩٤م.
* الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية ـ مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع، ١٩٩٥م.
* أضواء جديدة علي بعض منشآت أمراء المماليك فى القرنين السابع والثامن للهجرة (الثالث عشر والرابع عشر للميلاد)، منشآت الأمير الجاولى وسلار فى مصر والشام، مجلة المؤرخ العربى، اتحاد المؤرخين العرب، العدد الرابع، المجلد الأول، مارس ١٩٩٦م.
* دراسة أثرية وثائقية للمنصورة منذ نشأتها وحتى نهاية القرن السابع عشر، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثامن، ١٩٩٧م.
* منزل وقف السادات الوفائية «دراسة أثرية وثائقية»، مجلة كلية الآداب بقنا ـ جامعة جنوب الوادى، العدد السابع، ١٩٩٧م.
* المبخرة. . . من روائع العمارة الإسلامية، مجلة المنهل، العدد ٥٥٠، المجلد ٩٠، العام ٦٤، يونيه ١٩٩٨م.

* سلطنة عمان فى كتابات الجغرافيين المسلمين فى العصور الوسطى، مجلة المنهل، العدد ٥٥٩، المجلد ٦١، العام ٦٥، يوليو وأغسطس ١٩٩٩م.
* نصوص كتابية فاطمية من برقة محفوظة بمتحفى البيضاء وطلميثة بليبيا، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المنيا، يناير ٢٠٠٠م.
* دراسة أثرية معمارية لقلعتين ليبيتين من العصر العثمانى الثانى بمدينتى توكرة والقيقب، مجلة كلية الآداب، جامعة المنيا، أبريل ٢٠٠٠م.
* مساجد مدينة المرج الليبية الباقية من العصر العثمانى الثانى دراسة أثرية معمارية ـ دراسات فى آثار الوطن العربى، كتاب الملتقى الثالث لجمعية الاثاريين العرب ـ الندوة العلمية الثانية (١٦-١٧ شعبان ١٤٢١هـ/ ١٢-١٣ نوفمبر ٢٠٠٠م - الجزء الثانى، القاهرة، ٢٠٠٠م المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى، جمعية الاثاريين العرب.
* المنشآت التجارية والصناعية بمدينة قوص منذ العصر العثمانى حتى نهاية القرن ١٣هـ/ ١٩م «دراسة أثرية وثائقية» مجلة المؤرخ العربى، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد التاسع، المجلد الأول، مارس ٢٠٠١م.
* أثر العوامل البيئية على الآثار الإسلامية ـ دراسة تطبيقية على منزل السادات الوفائية، بحث ألقى فى الندوة القومية الأولى (نحو تفعيل آليات دور السياحة فى الاقتصاد القومى ـ ٢ ـ ٣ أكتوبر ٢٠٠١م، كلية السياحة والفنادق ـ جامعة المنوفية.
* المستشرقون والحضارة الإسلامية ترجمة ودراسة نقدية لدراسة كريزويل «تطور المئذنة»، بحث ألقى فى مؤتمر «الترجمة تقنيات وتطبيقات»، القاهرة ٢٤-٢٥ أكتوبر ٢٠٠١م، جامعة ٦ أكتوبر، المعهد العالى للغات.
* طرز المساجد الليبية منذ العصر العثمانى الأول حتى نهاية العصر العثمانى

الثانى (٩٥٨-١٣٢٩هـ/ ١٥٥١-١٩١١م)، بحث ألقى فى مؤتمر «دراسات فى آثار الوطن العربى (٢)»، القاهرة ٢٧-٢٩ أكتوبر ٢٠٠١م، جمعية الاثاريين العرب، المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى، اتحاد الجامعات العربية.

* مآذن القاهرة بين الترميم والصيانة الدورية، المؤتمر الدولى لترميم الآثار الإسلامية، القاهرة ١٦-٢٠ فبراير ٢٠٠٢م، وزارة الثقافة، المجلس الأعلى للآثار، مركز معلومات القاهرة التاريخية.

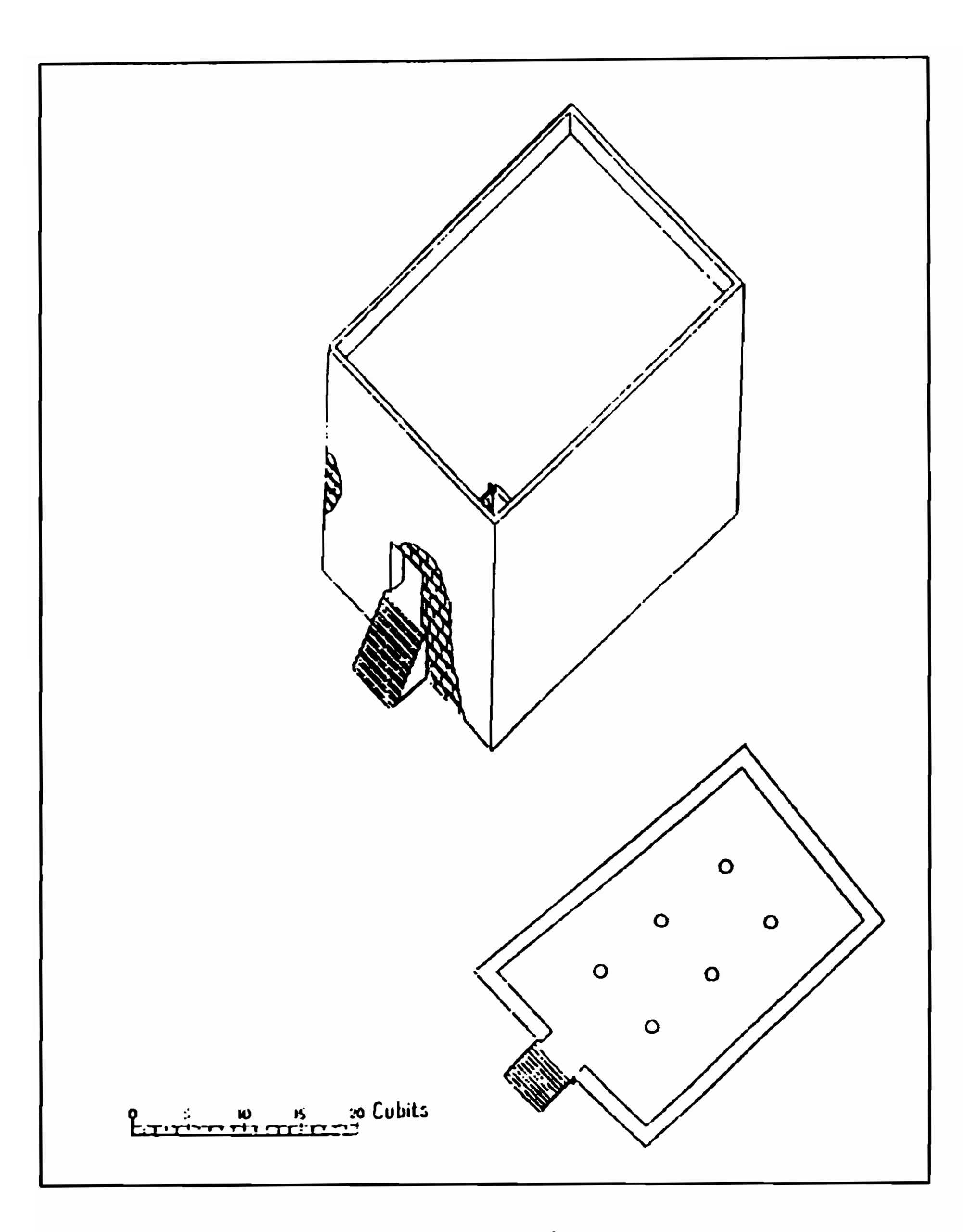
* العمارة الإسلامية فى القرن الأول الهجرى بين فلسفة العقيدة والفكر الاستشراقى، المؤتمر الدولى السابع للفلسفة الإسلامية بعنوان «الإسلام والغرب» ٢٠-٢١ أبريل ٢٠٠٢م ـ كلية دار العلوم ـ قسم الفلسفة الإسلامية ـ جامعة القاهرة.

• **قائمة الكتب:-**

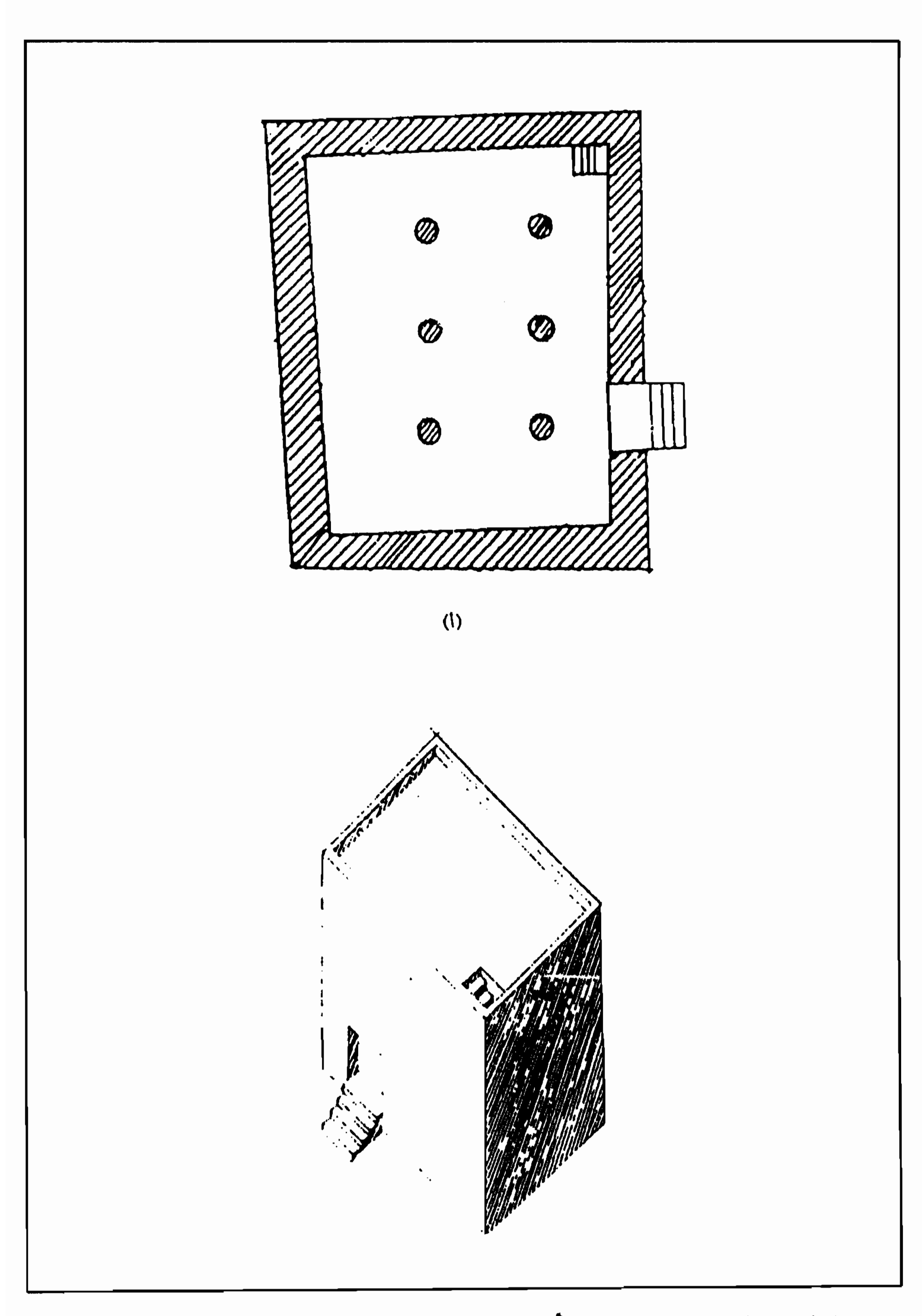
- The Fetimid Architecture in Cairo, General Egyptian Book Organization.

* مدينة برقة وآثارها الإسلامية ـ عبق التاريخ وطرز العمارة، (مدن تراثية ٦) دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
* الفاطميون وآثارهم المعمارية فى إفريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
* العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وأفريقيا، دار الآفاق العربية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
* دراسات فى الحضارة والآثار الإسلامية فى ليبيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
* المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى ـ قيد النشر دار زهراء الشرق.
* كريزويل: تطور المنارة، ترجمة ودراسة نقدية للدكتور/ عبد الله كامل موسى عبده، قيد النشر.
* الأمويون وآثارهم المعمارية فى الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وافريقية، دارالآفاق العربية، ٢٠٠٣ م.
* درنة الليبية «مدينة الصحابة» ـ عبق التاريخ وطرز العمارة (مدن تراثية) ـ قيد النشر (دار الآفاق العربية).

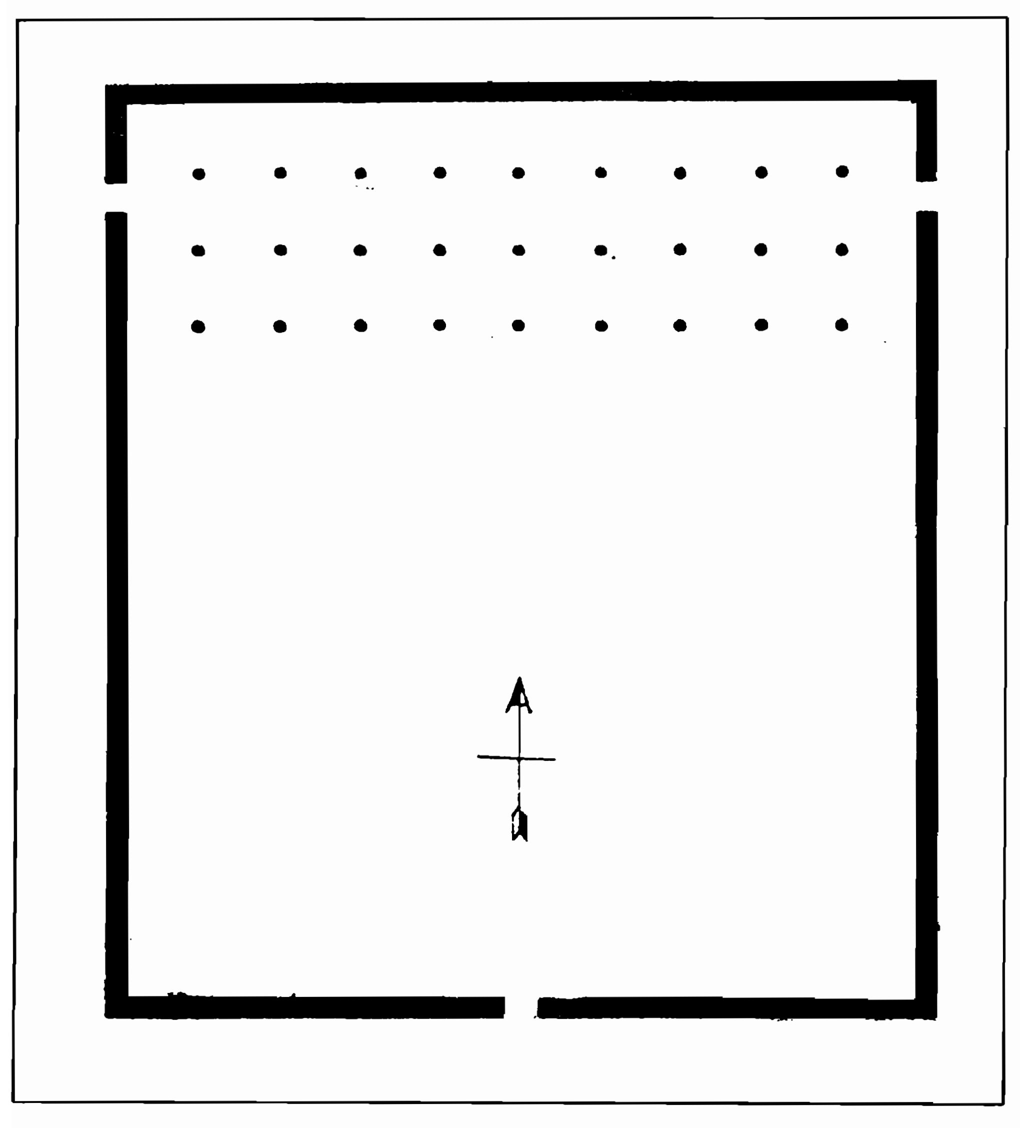
أولاً : الأشكال



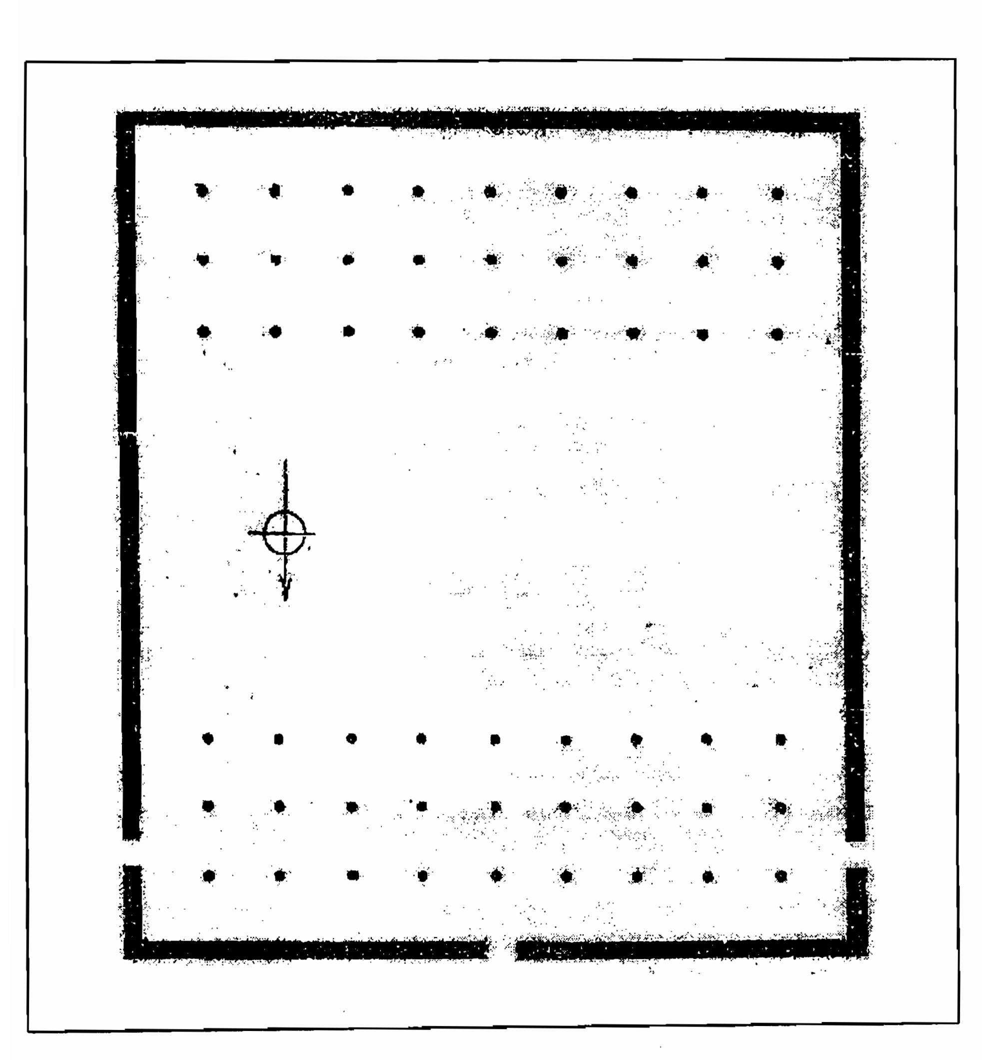
(شكل ١) منظور ومسقط أفقى للكعبة فى سنة ٦٠٨ هـ عن كريزويل



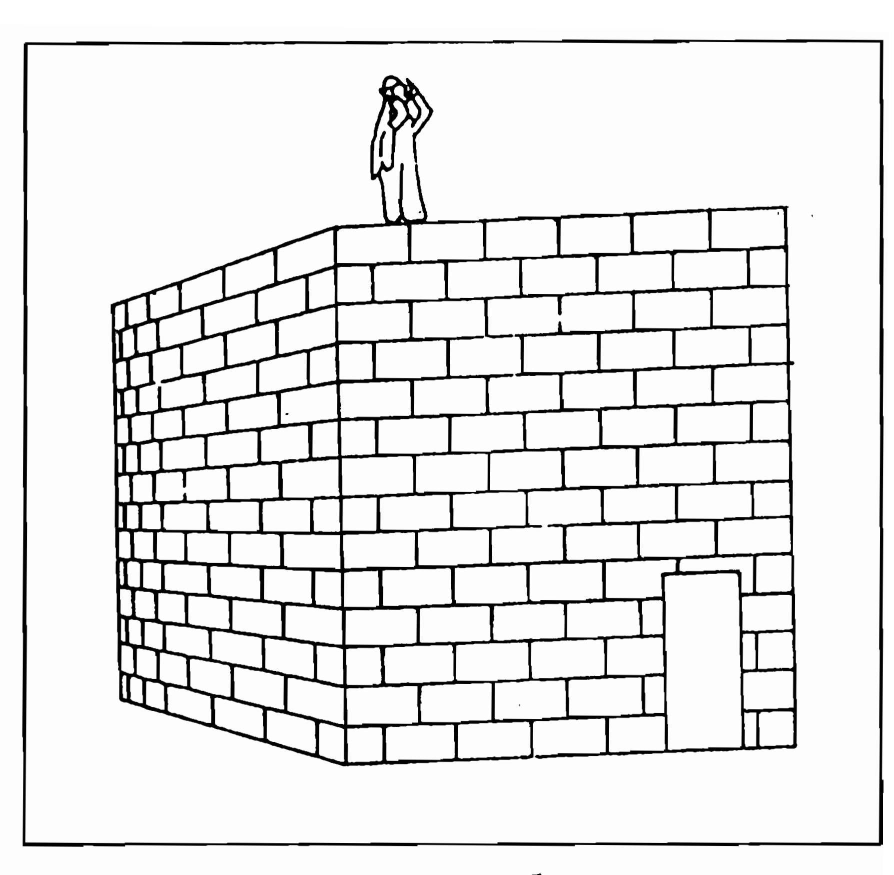
(شكل ٢) منظور ومسقط أفقى للكعبة فى سنة ٦٠٨ هـ عن أحمد رجب



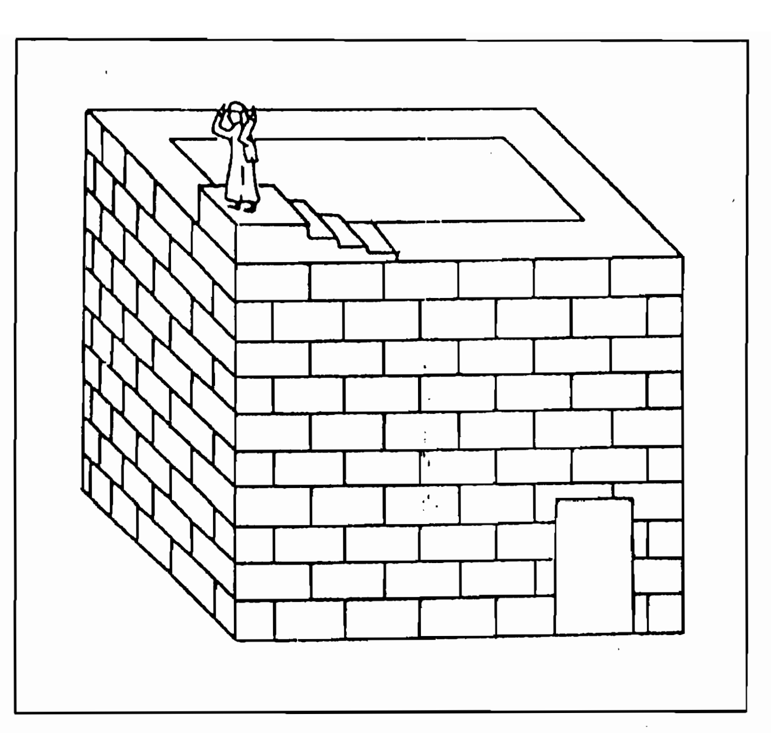
(شكل ٦) تصور لمخطط المسجد النبوى قبل تحويل القبلة عمل الباحث .



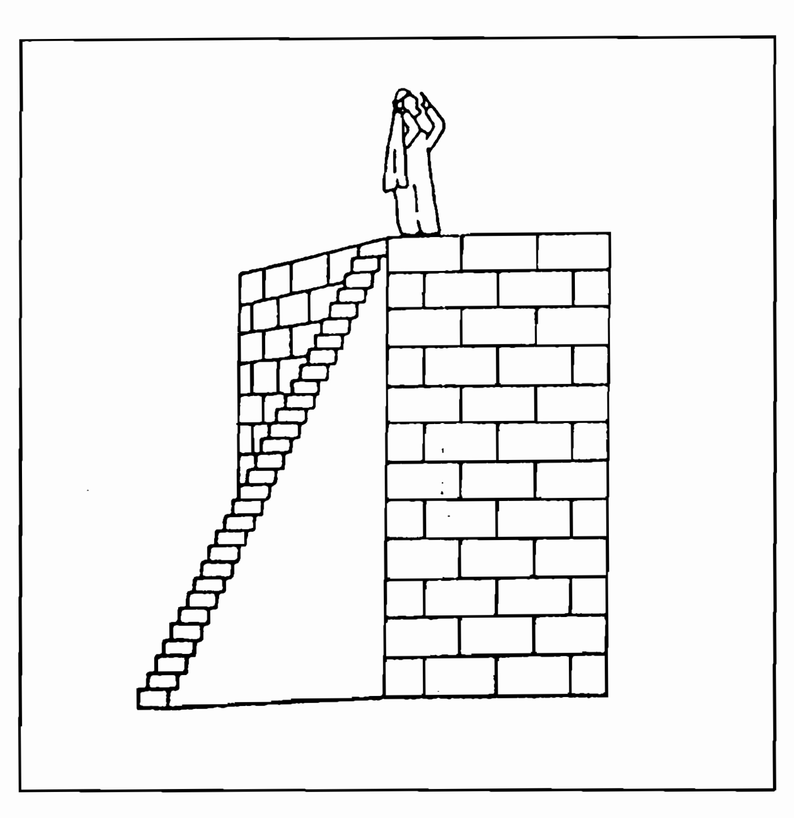
(شكل ٧) تصور لمخطط المسجد النبوى بعد تحويل القبلة عمل الباحث .



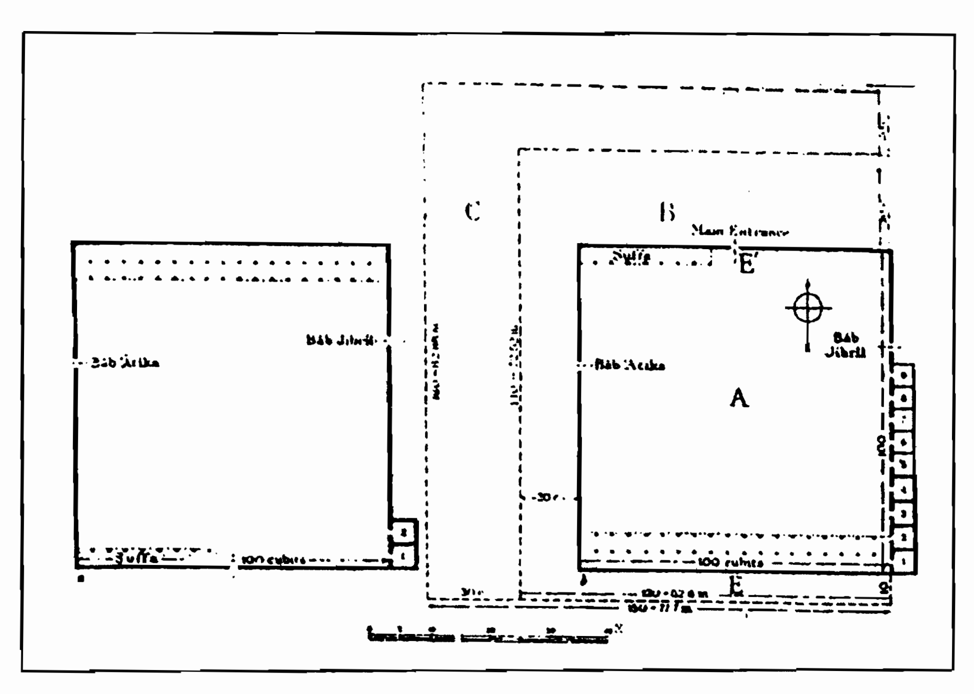
(شكل ٨) تصور لإعلان الآذان من فوق سطح منزل عمل الباحث .



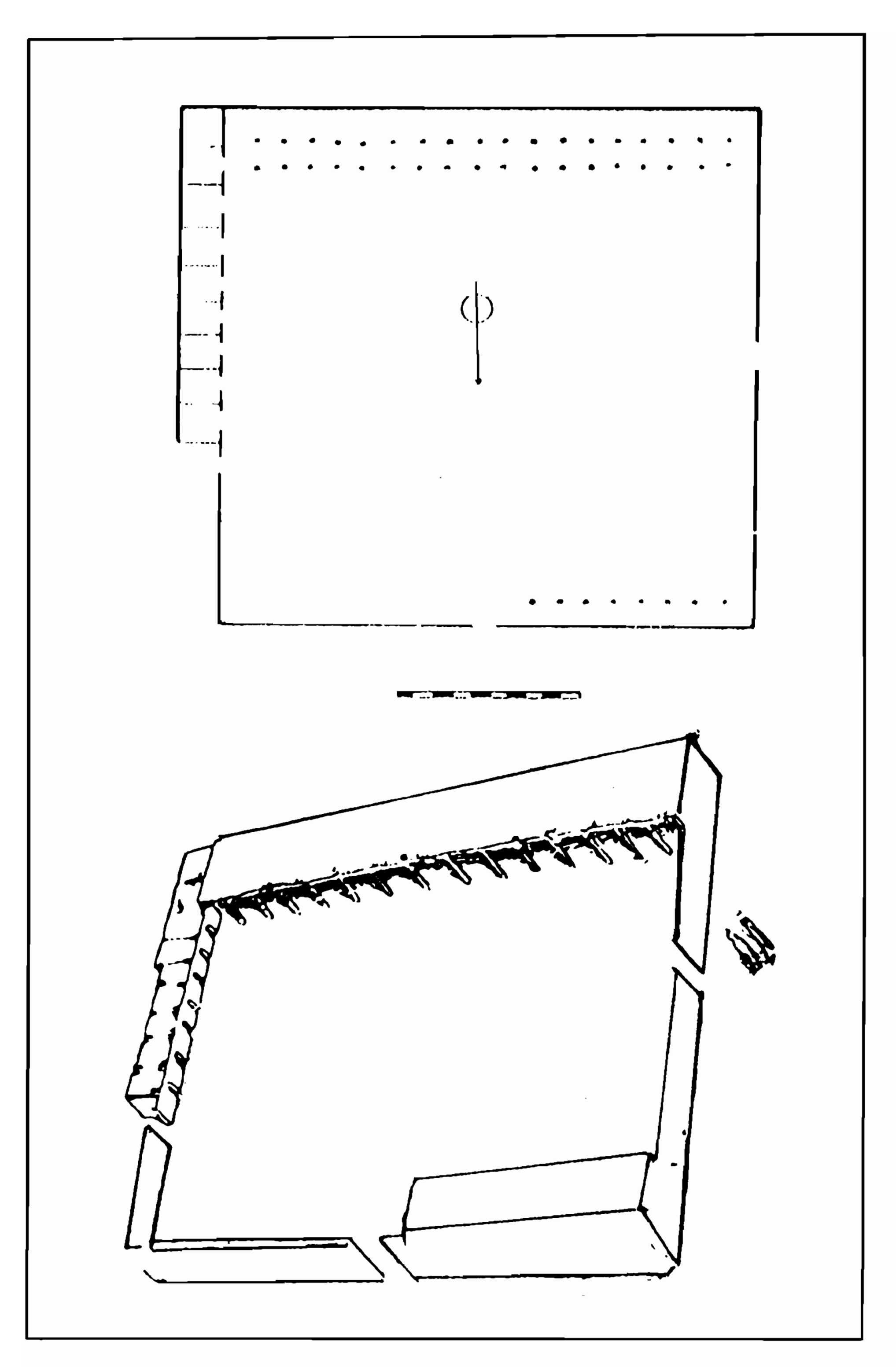
(شكل ٩) تصور معمارى للمئذنة الأولى فى المسجد النبوى عمل الباحث .



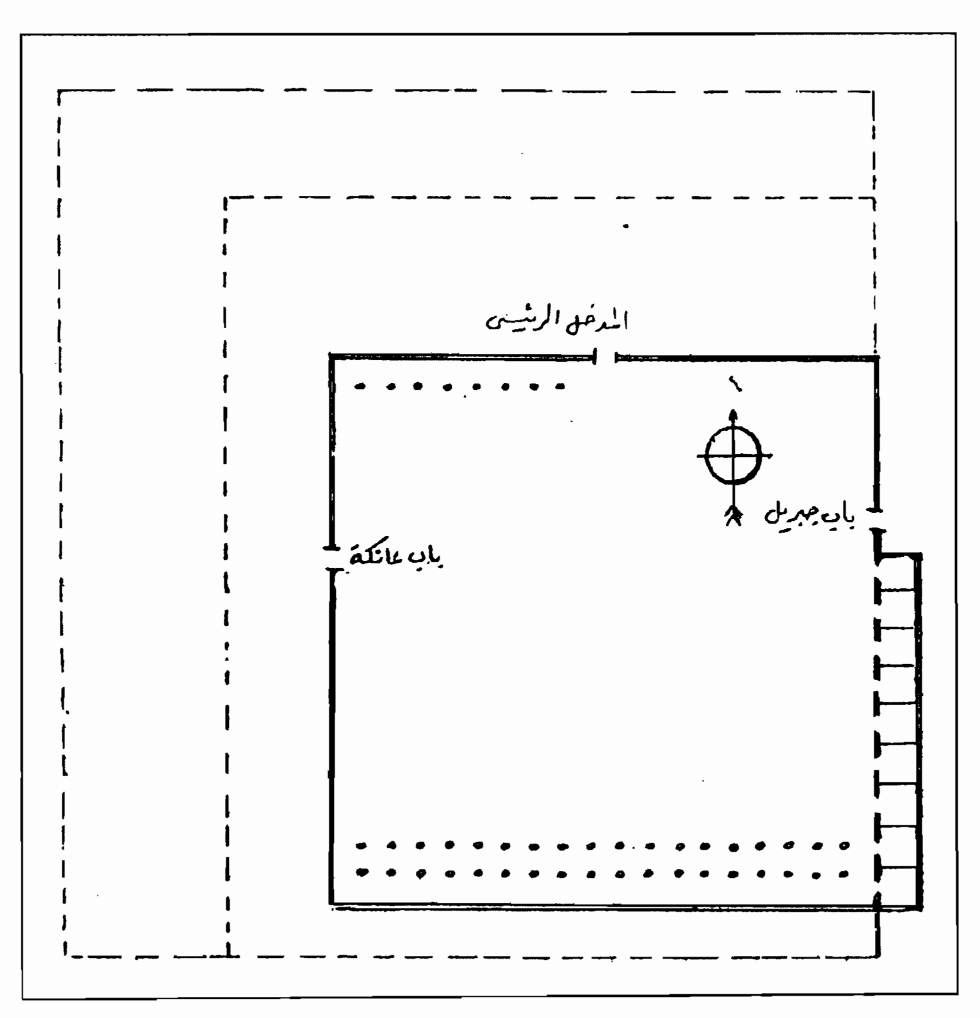
(شكل ١٠) تصور معمارى للمطمار عمل الباحث .



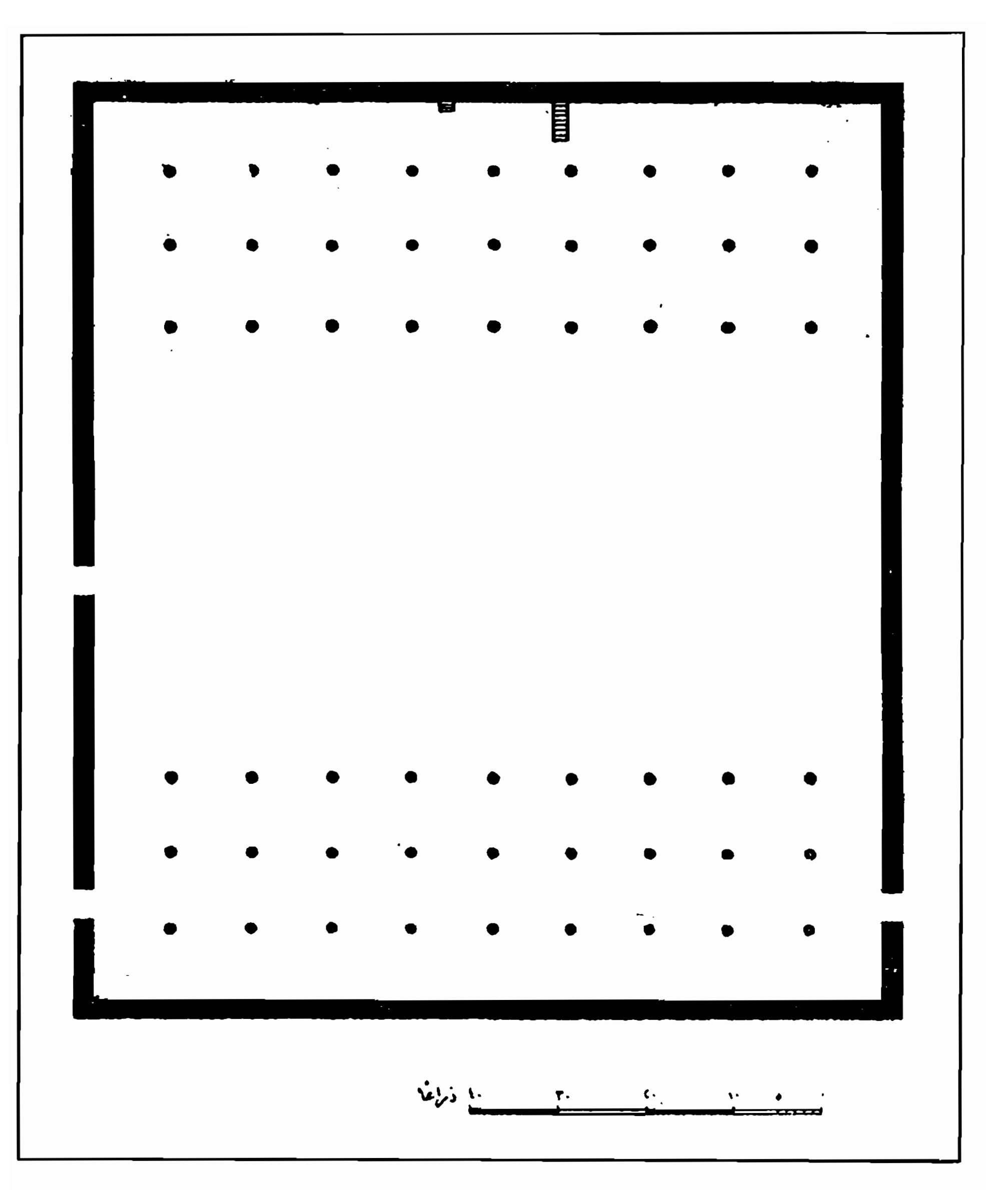
(شكل ١١) مخطط المسجد النبوى قبل السنة السابعة وبعدها عن كريزويل .



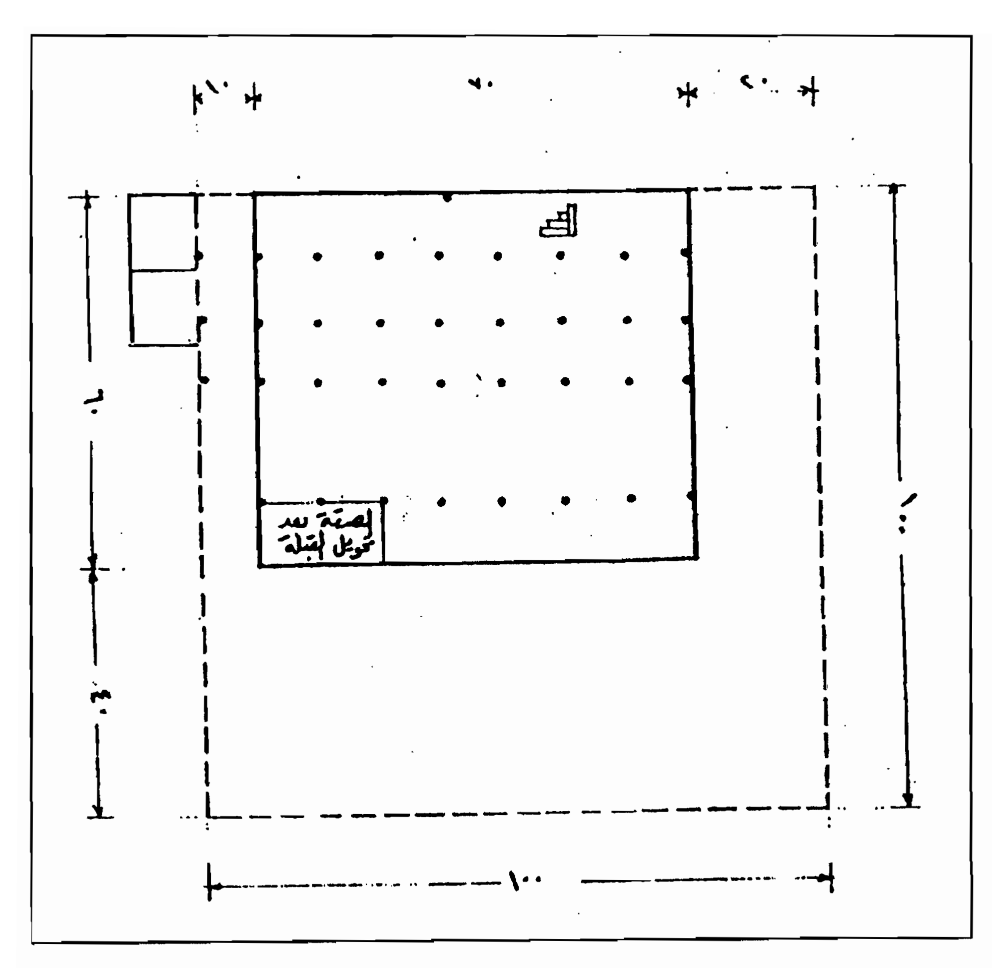
(شكل ١٢) مخطط المسجد النبوى بعد تحويل القبلة عن فريد شافعى



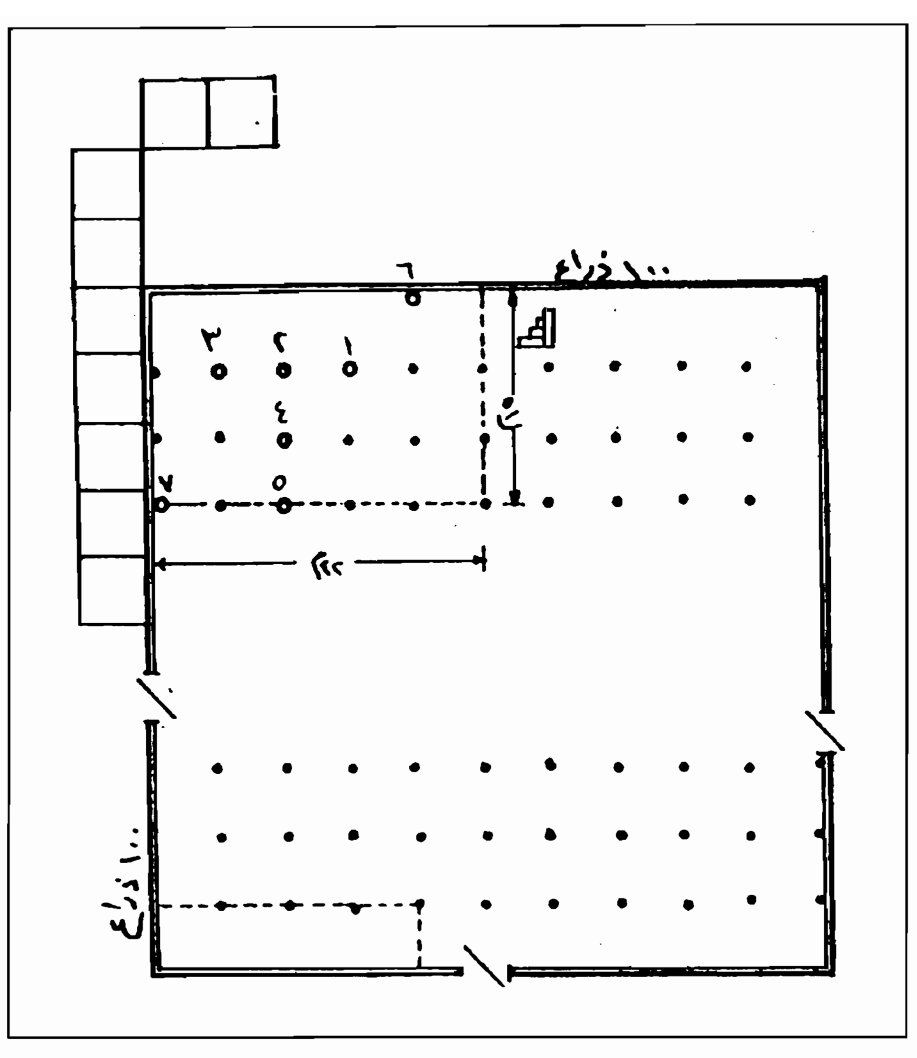
(شكل ١٣) مخطط المسجد النبوى بعد تحويل القبلة عن د. سعاد ماهر



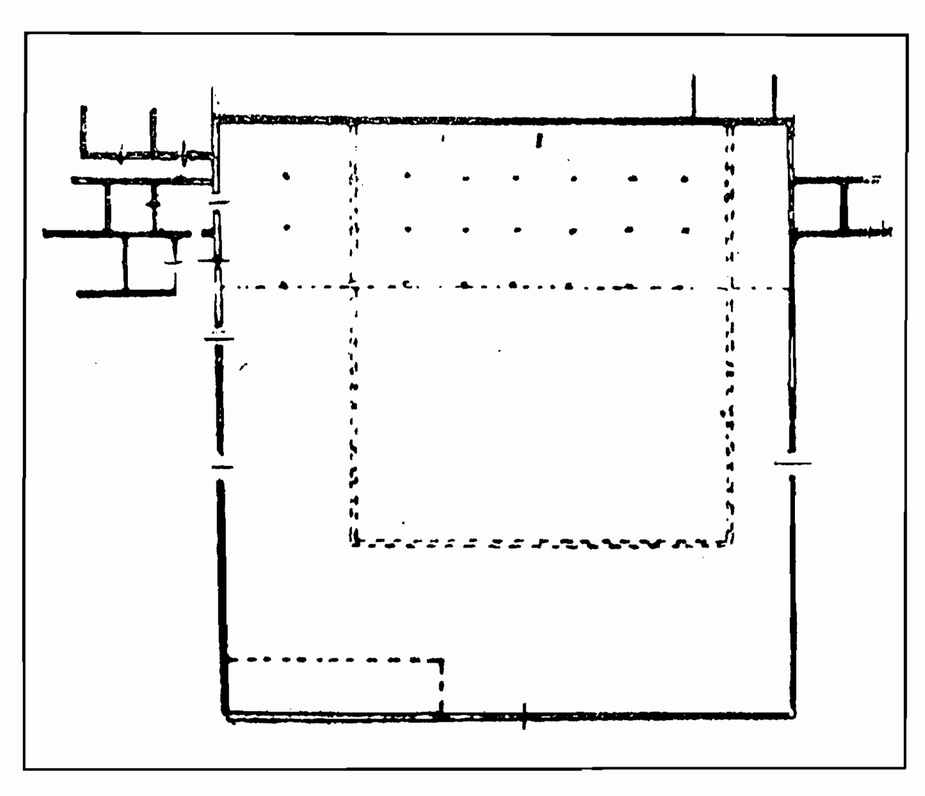
(شكل ١٤) مخطط المسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ عن د. أحمد فكرى



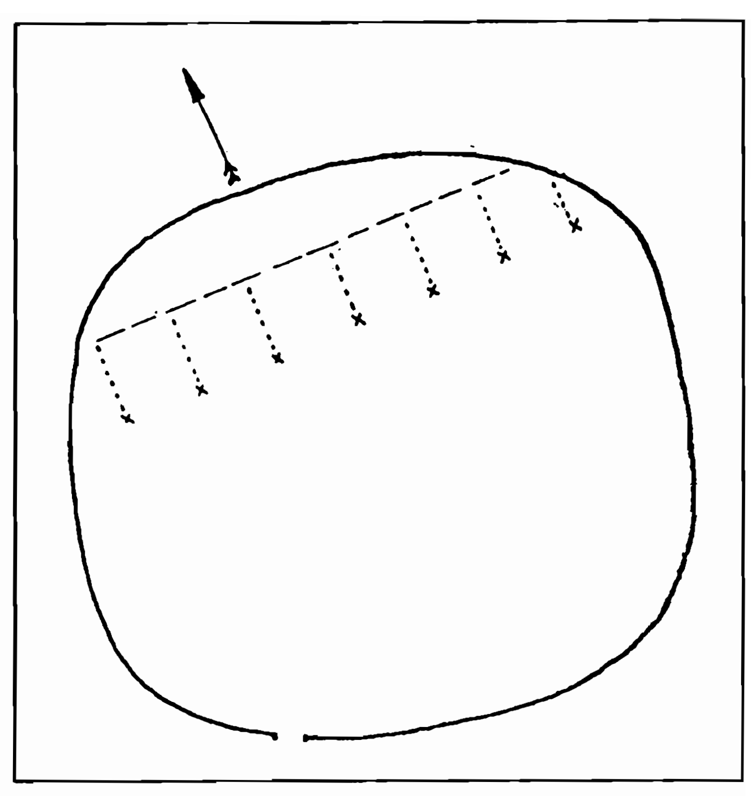
(شكل ١٥) مخطط المسجد النبوى بعد تحويل القبلة عن د. محمد هزاع



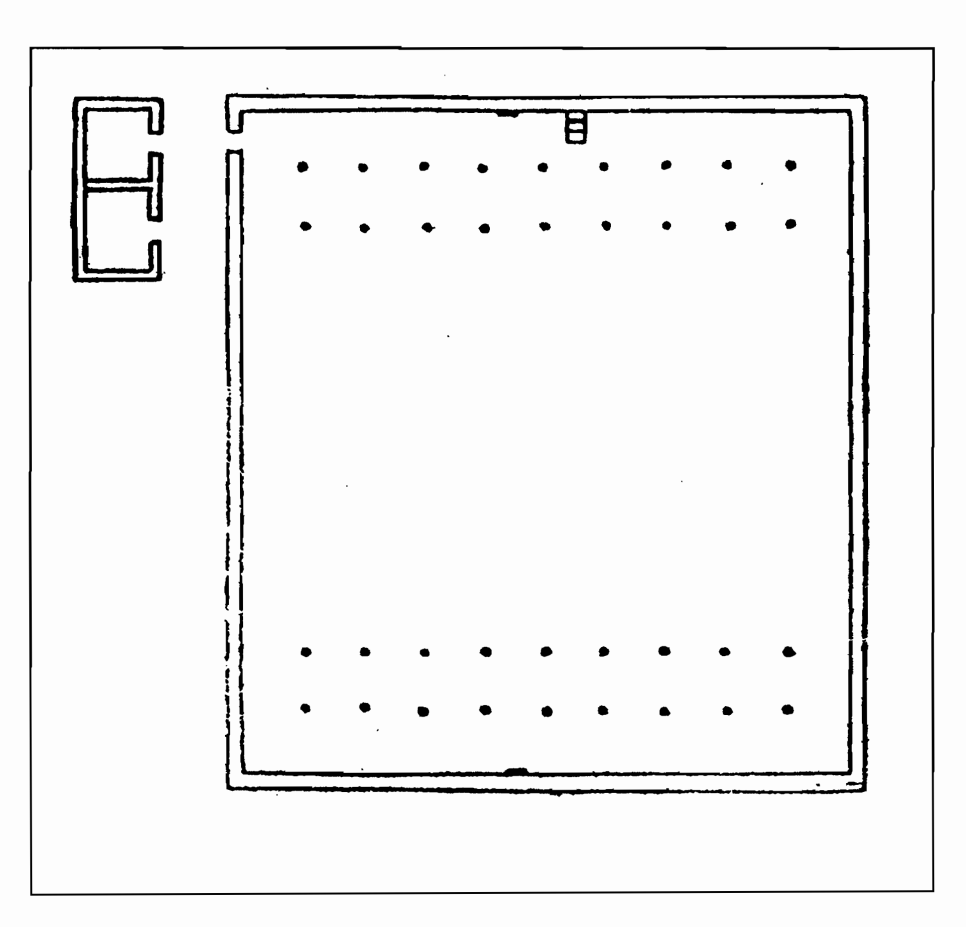
(شكل ١٦) مخطط المسجد النبوى فى حياة الرسول ﷺ عن د. محمد هزاع



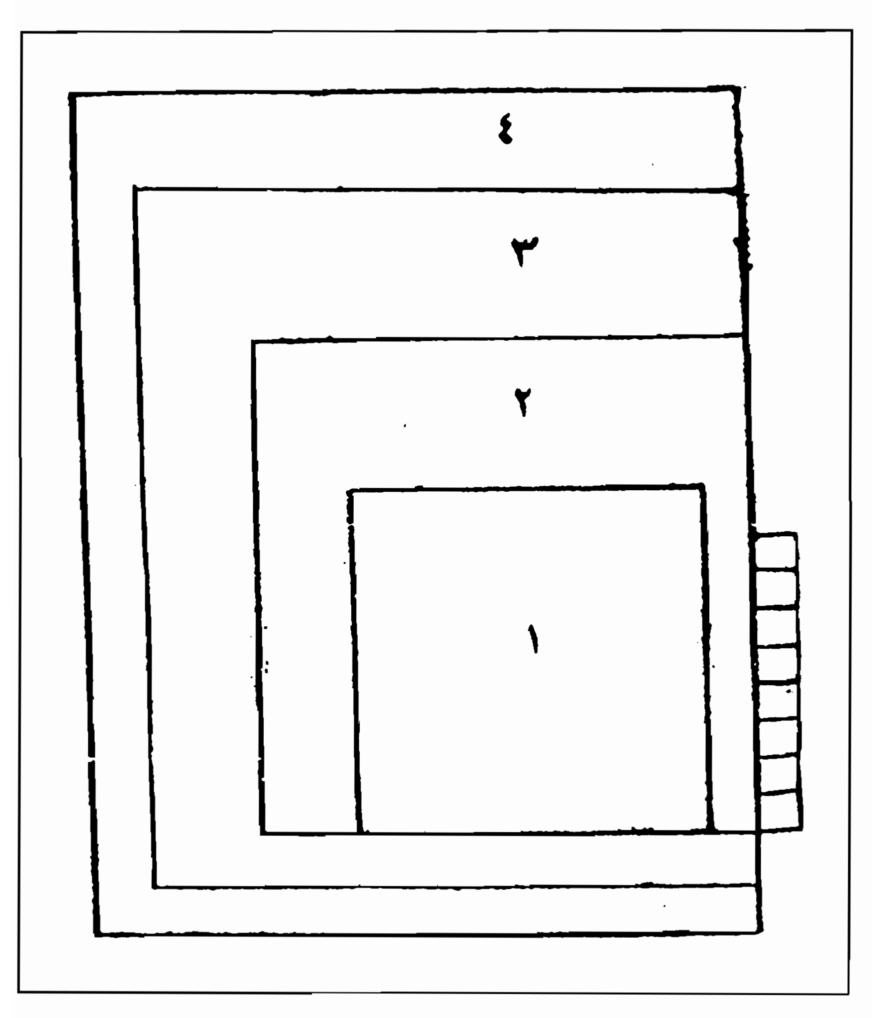
(شكل ١٧) مخطط المسجد النبوى عن محمود عكوش



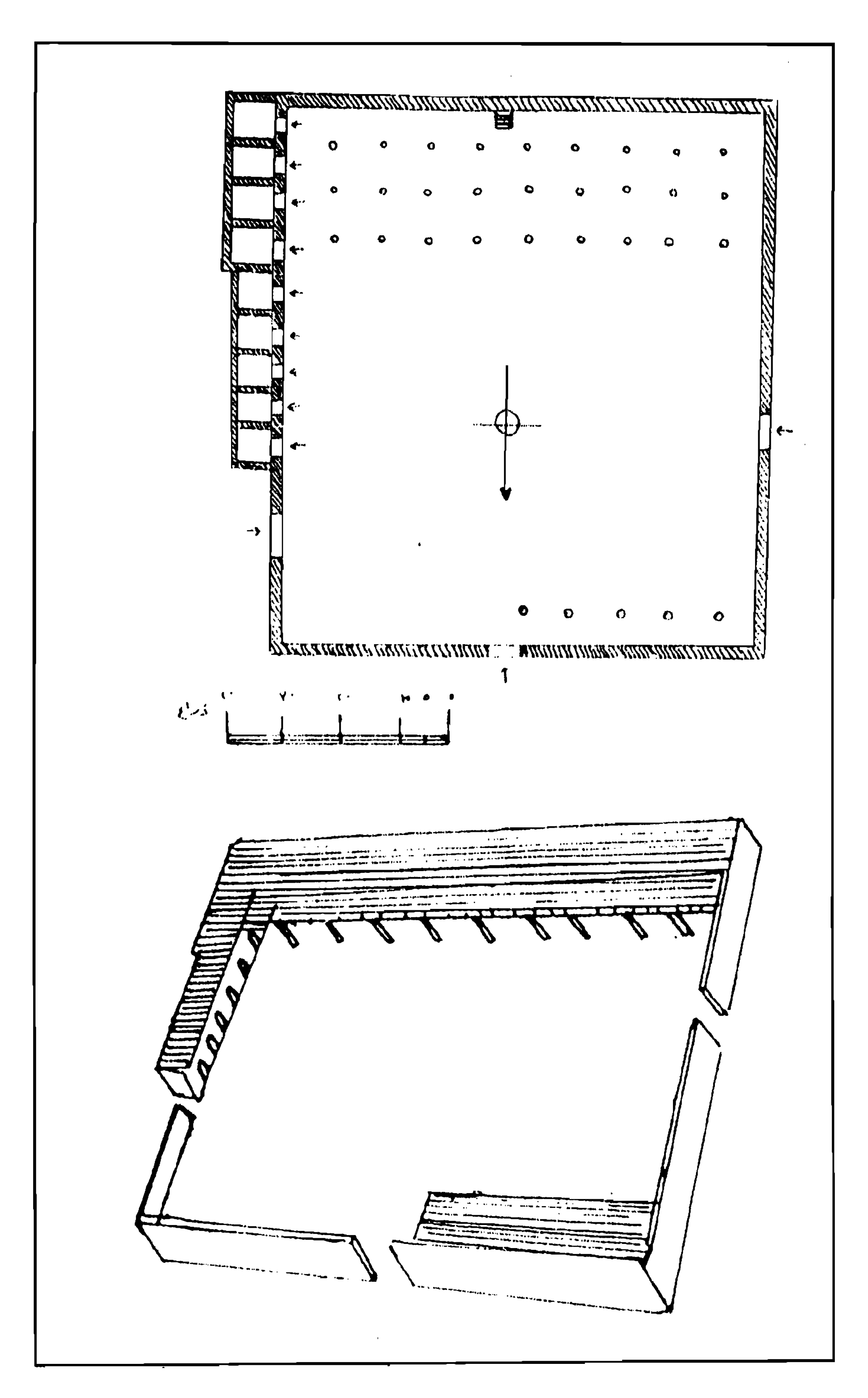
(شكل ١٨) مخطط المسجد النبوى عن بوتى



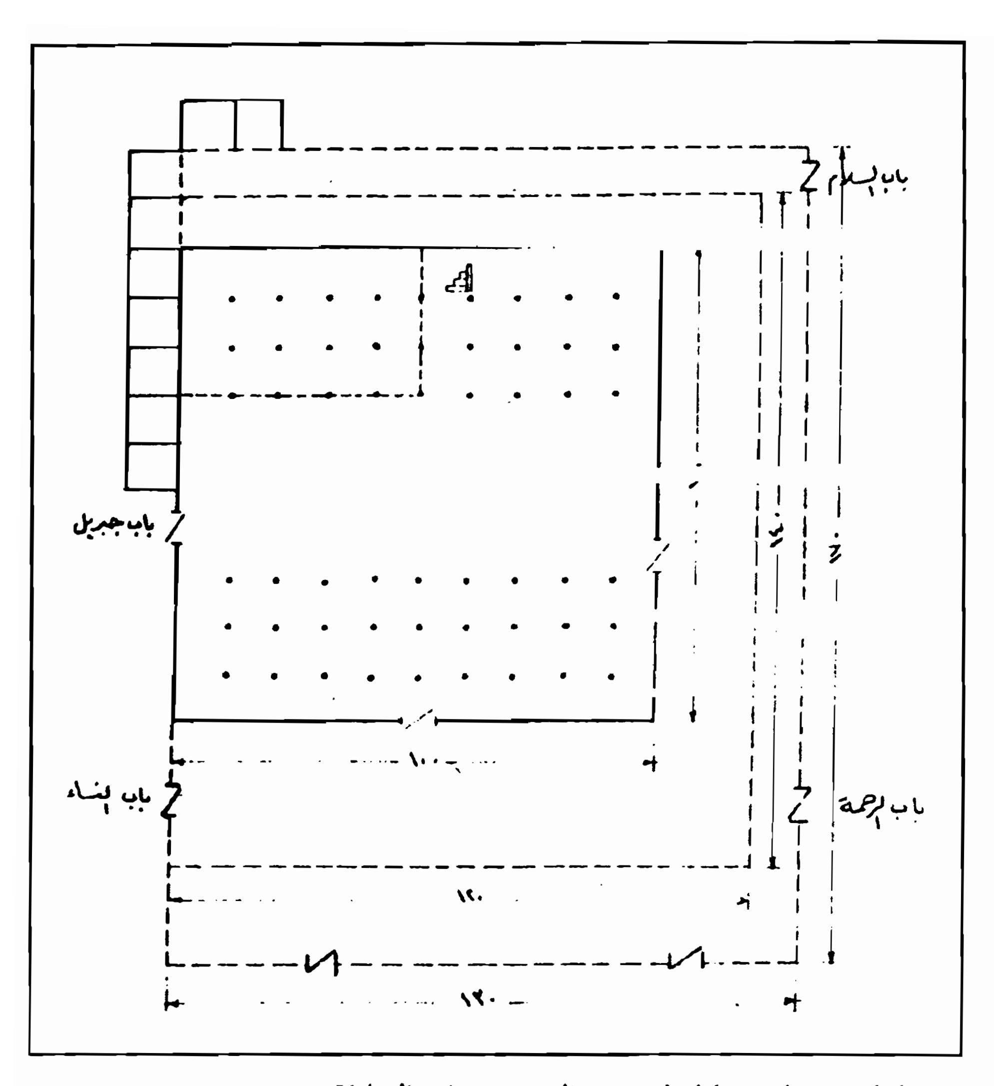
(شكل ١٩) مخطط المسجد النبوى عن د. حسن الباشا



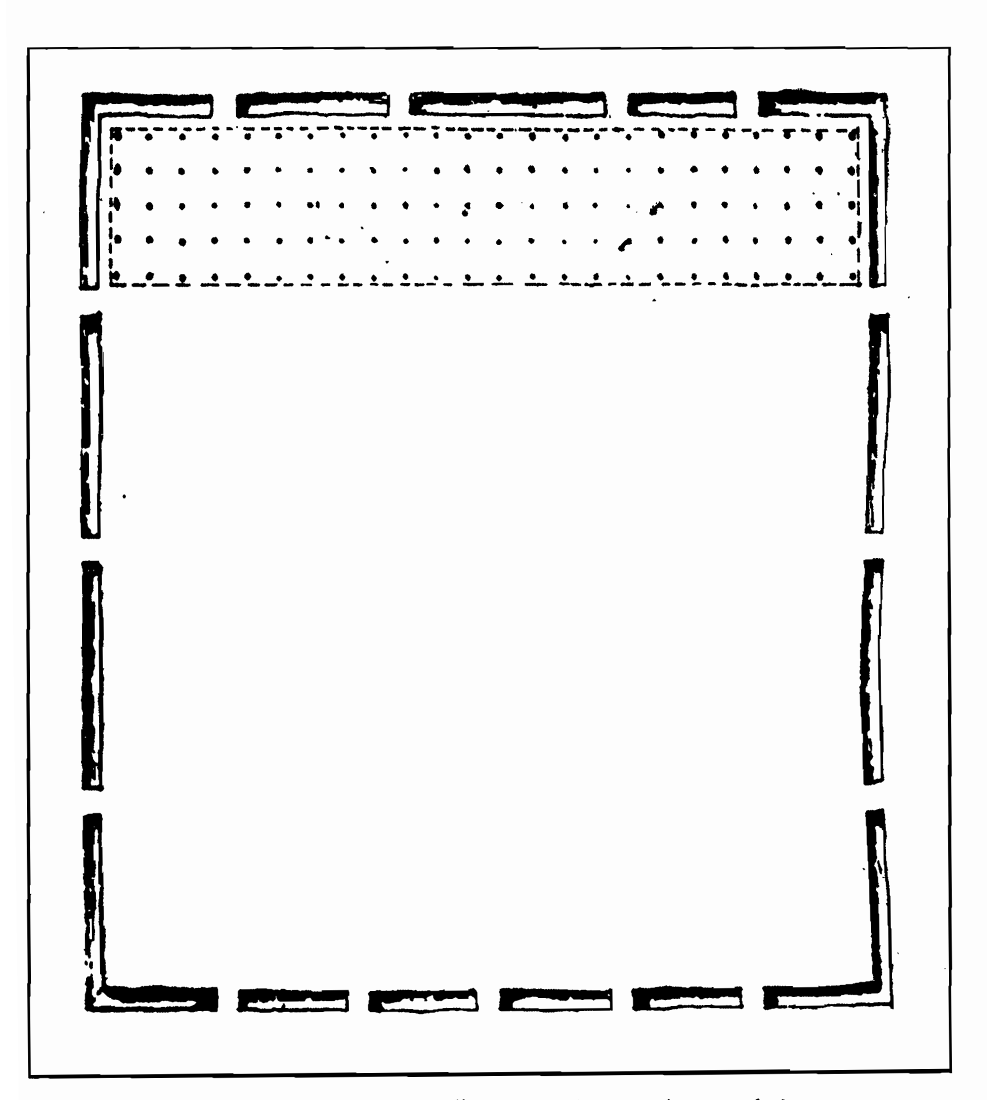
(شكل ٢٠) مخطط المسجد النبوى عن د. حسن الباشا



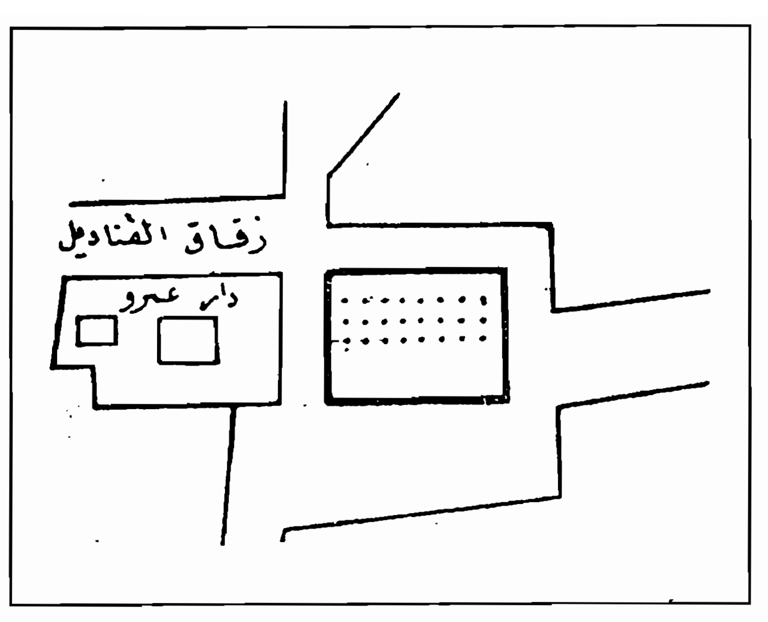
(شكل ٢١) مخطط المسجد النبوى عن د. أحمد رجب



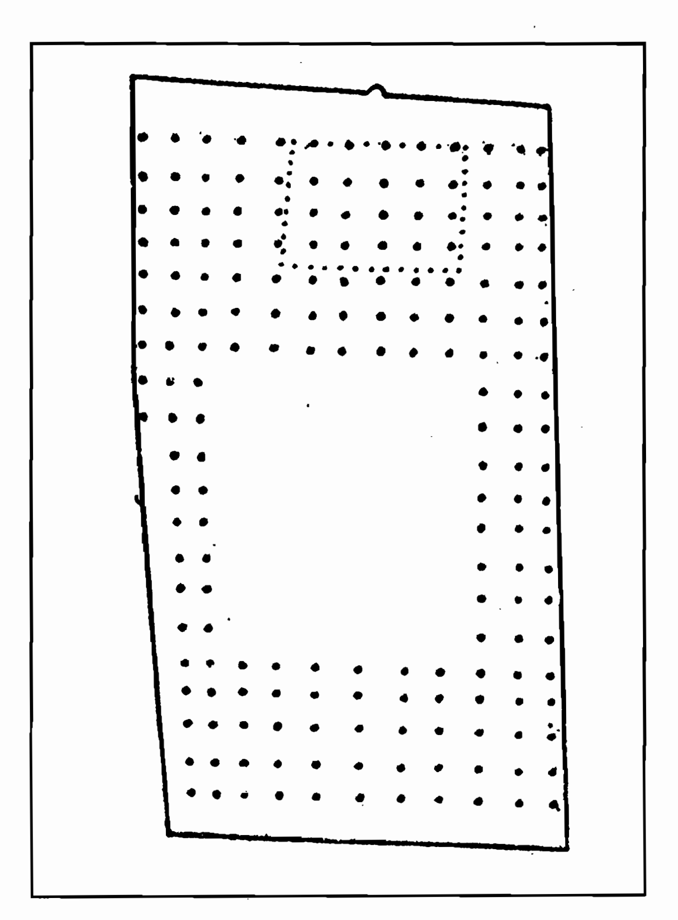
(شكل ٢٧) مخطط المسجد النبوى وزيادة الخليفة عمر عن د. محمد هزاع



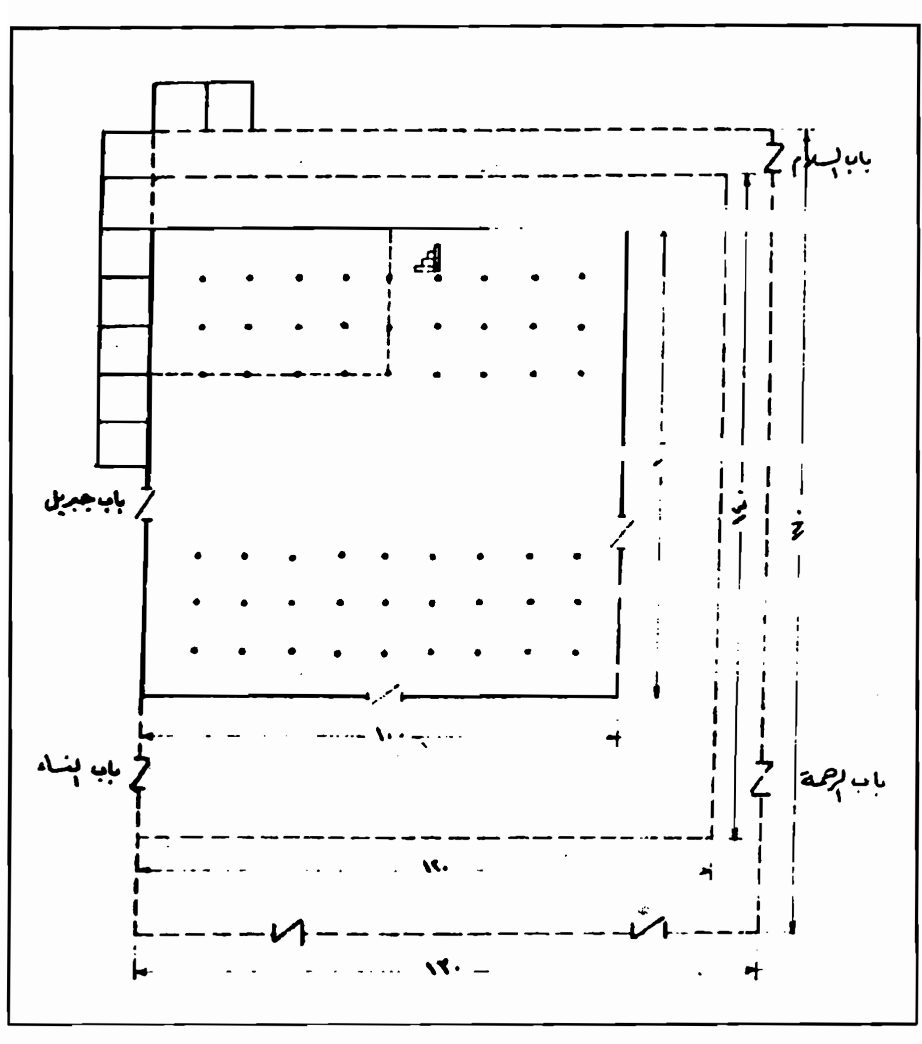
(شكل ٢٩) مخطط مسجد الكوفة عن د. فريد شافعى



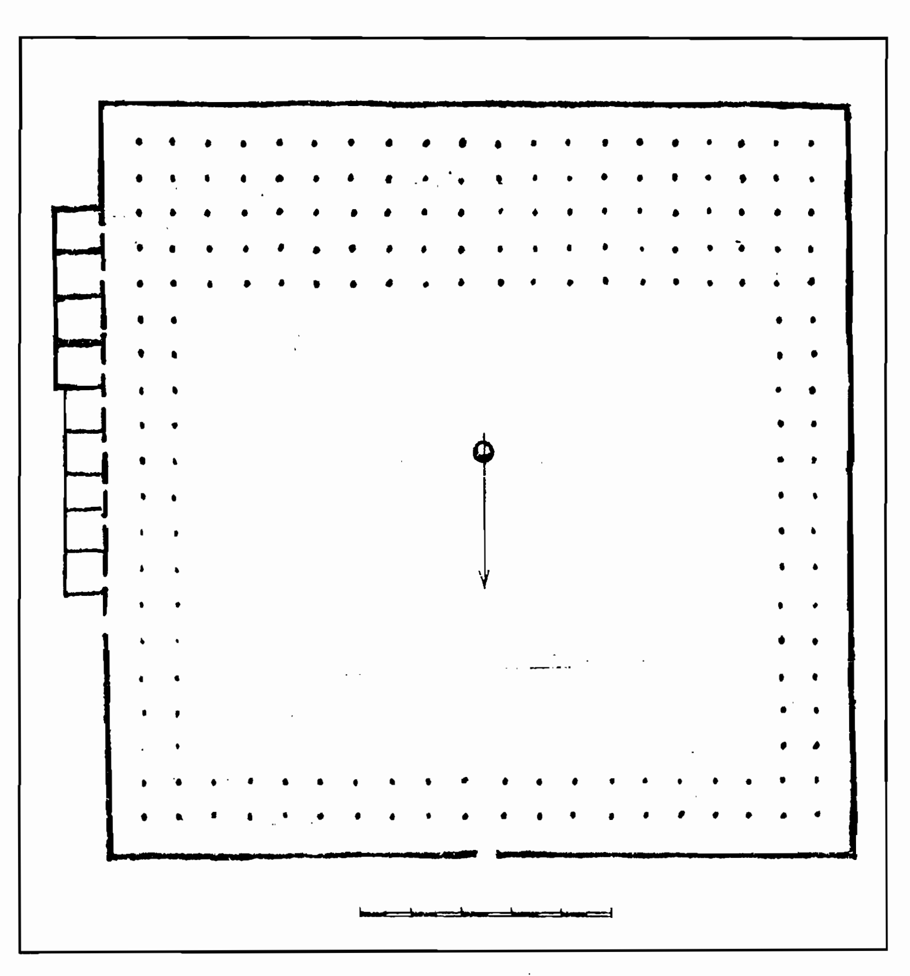
(شكل ٣١) مخطط مسجد عمرو بن العاص عن أحمد فكرى



(شكل ٣٢) مخطط مسجد عمرو بن العاص عن أحمد فكرى

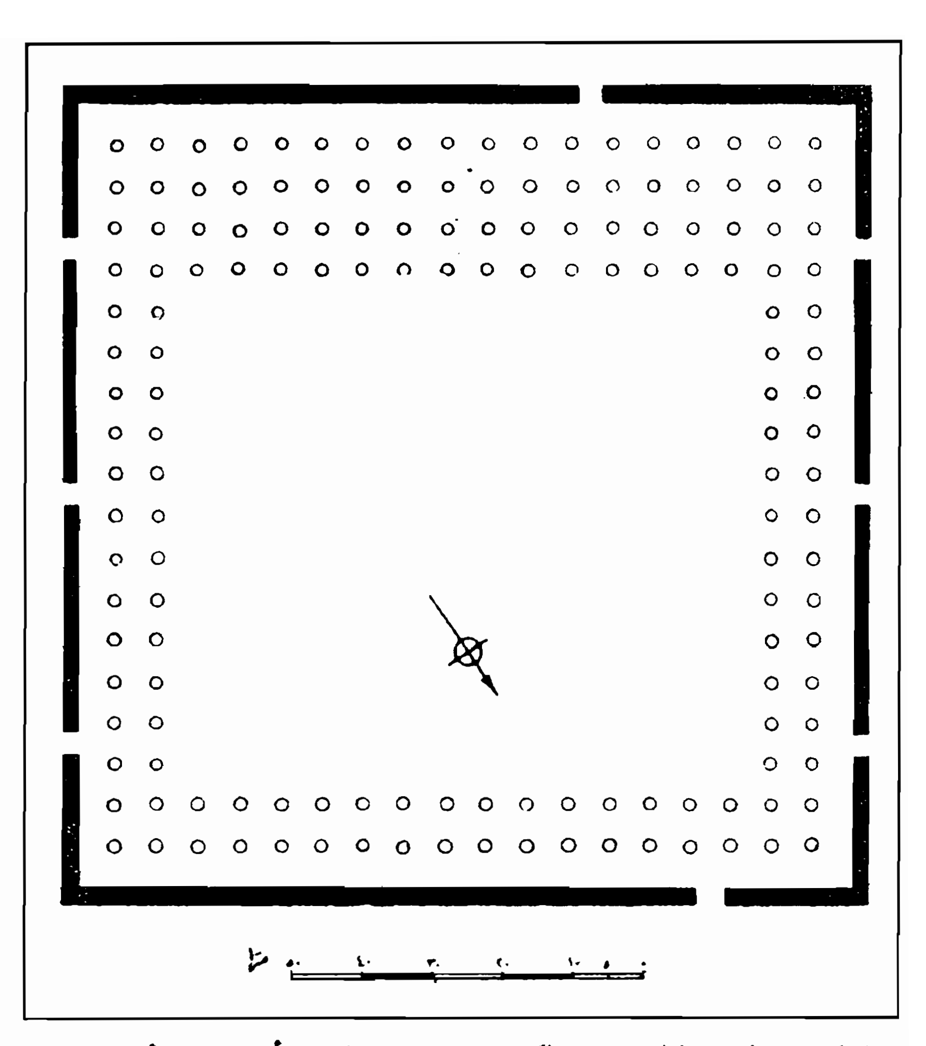


(شكل ٣٣) مخطط المسجد النبوى فى عهد عثمان رضى الله عنه
عن محمد هزاع

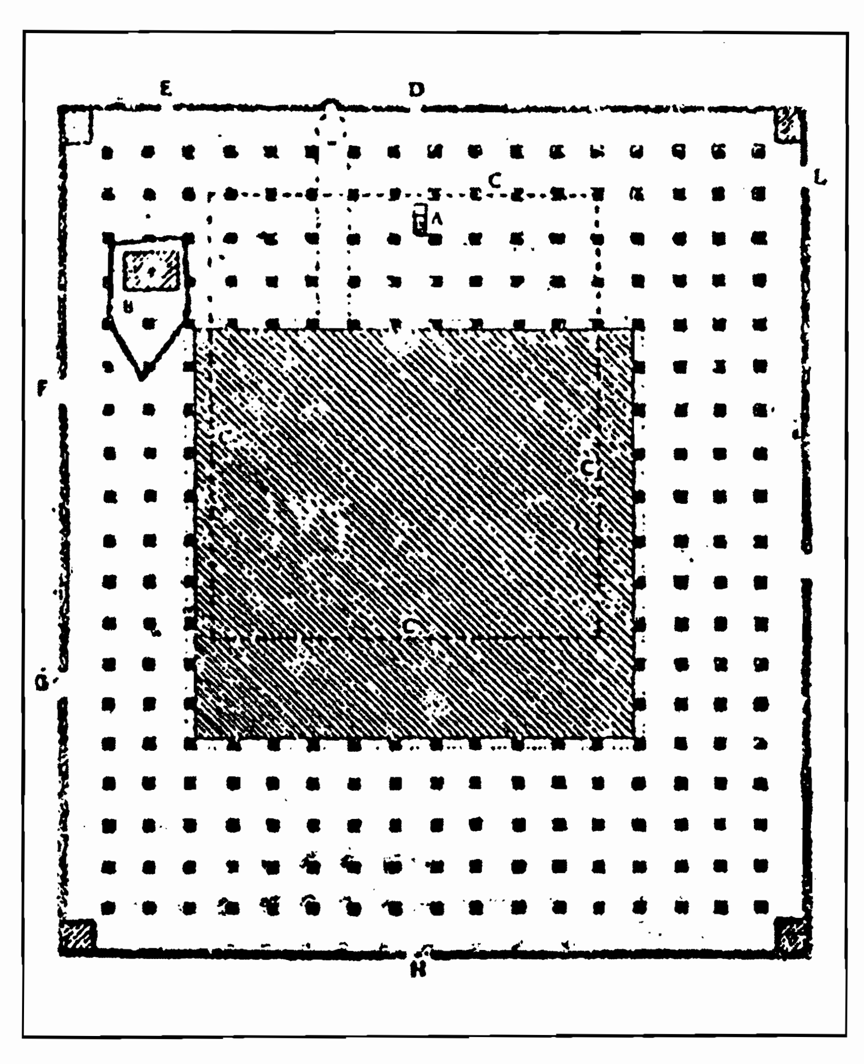


(شكل ٣٤) تصور لتخطيط المسجد النبوى فى عهد الخليفة عثمان

عن د. فريد شافعى

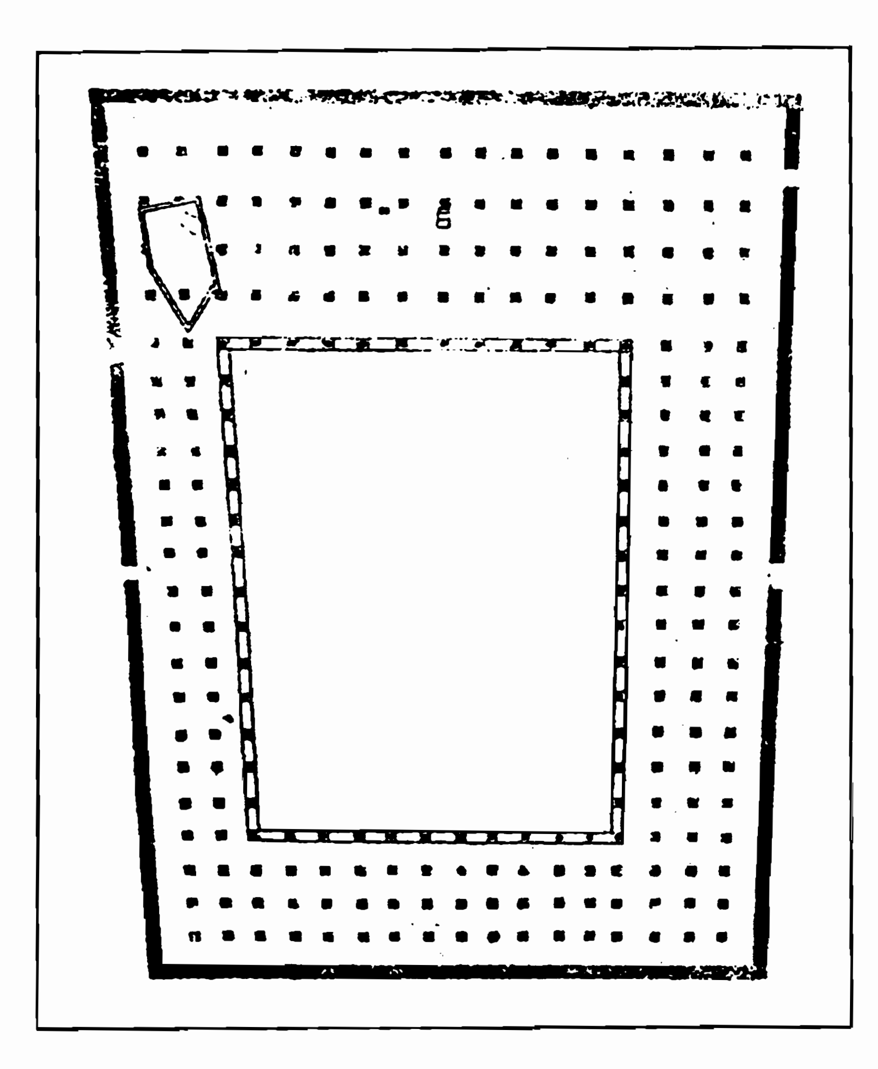


(شكل ٣٥) مخطط مسجد الكوفة فى عهد زياد بن أبيه عن د. أحمد فكرى



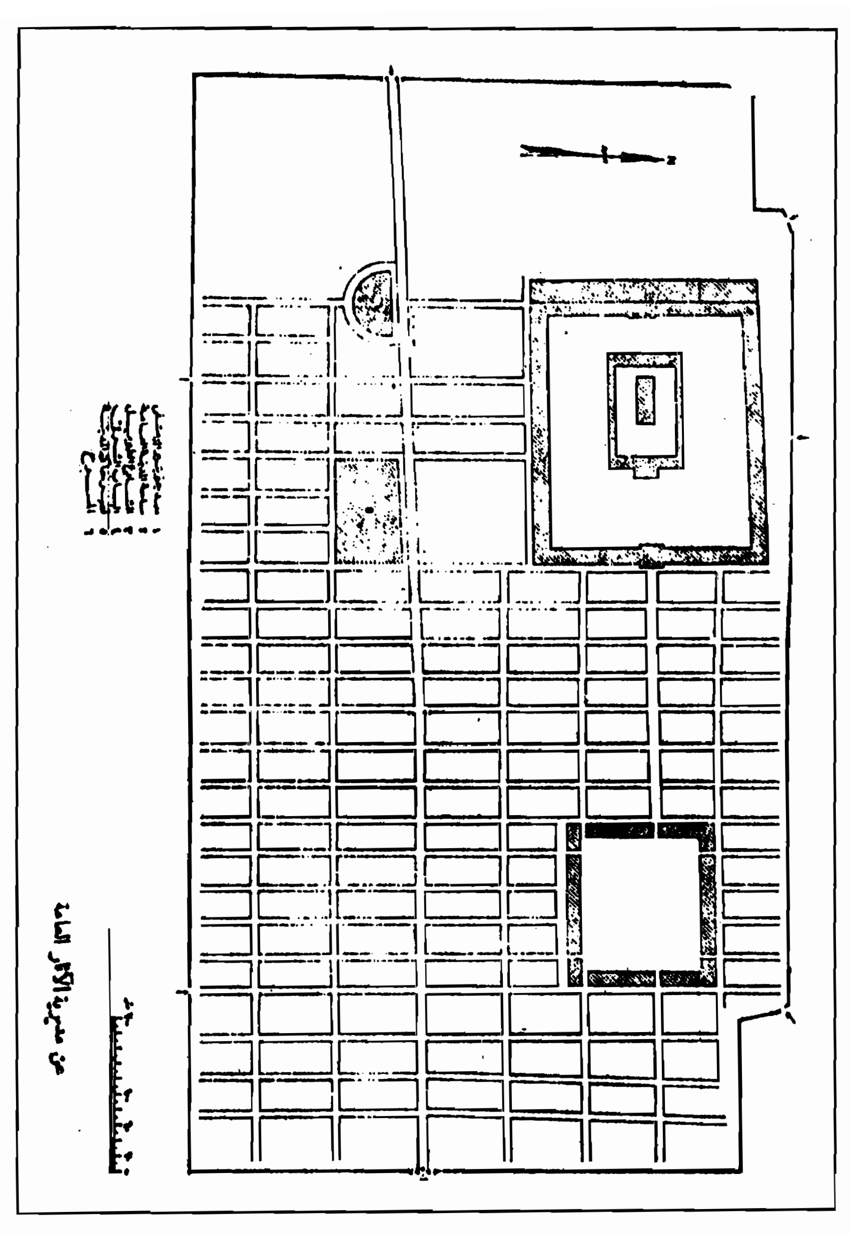
(شكل ٣٦) مخطط المسجد النبوى فى عهد الوليد بن عبد الملك

عن سوفاجيه

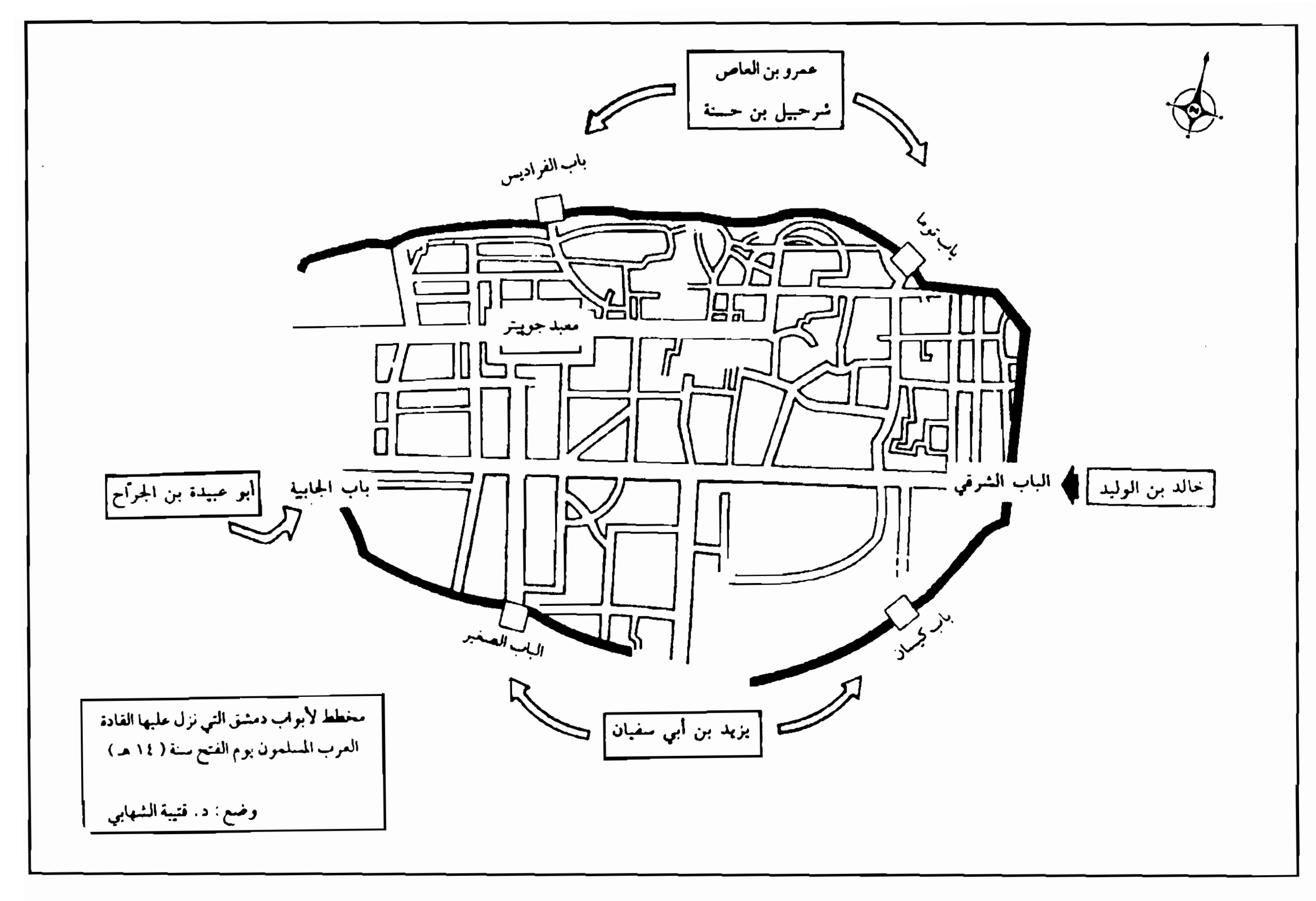


(شكل ٣٧) مخطط المسجد النبوى فى عهد الوليد بن عبد الملك

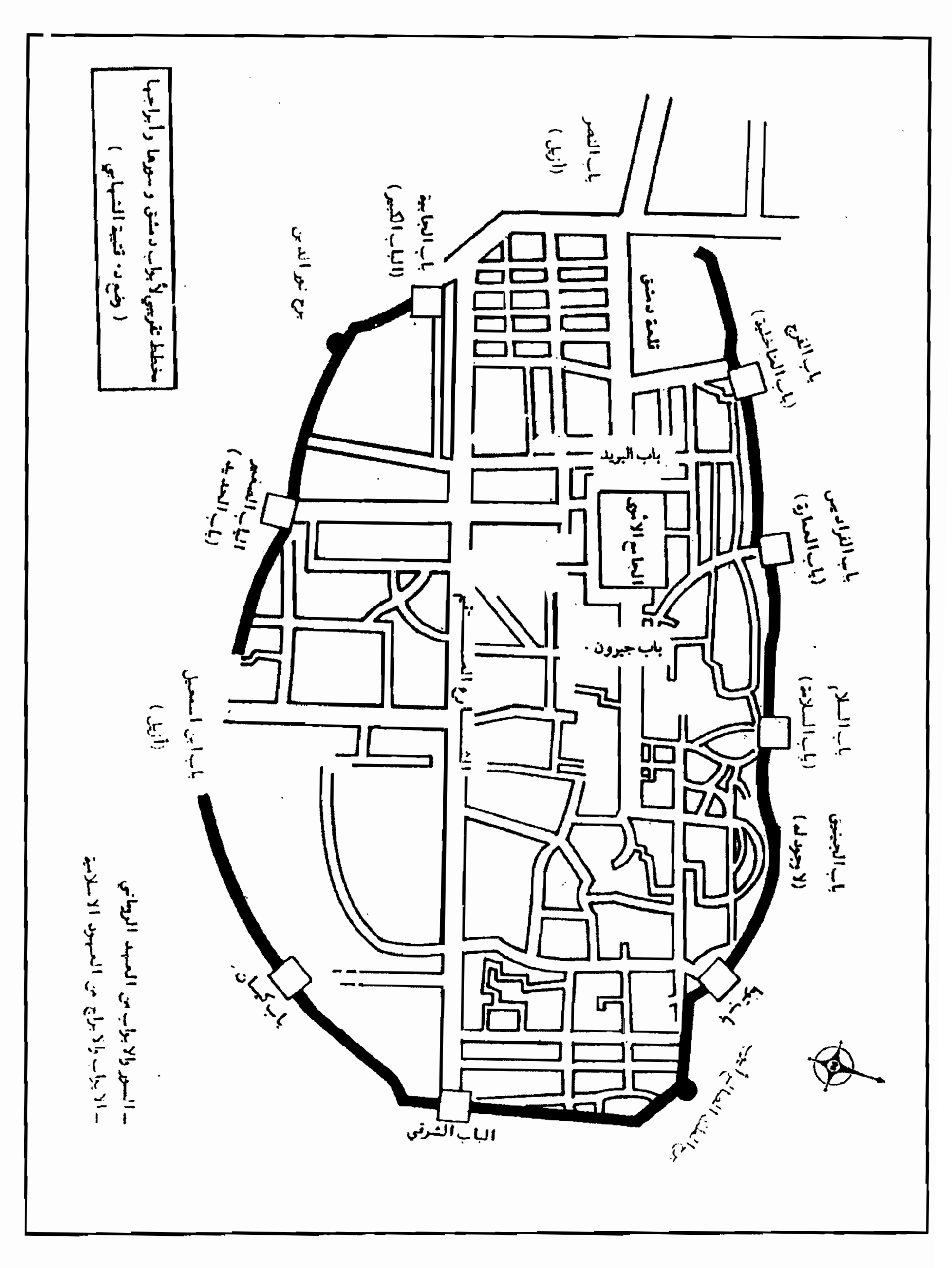
عن د. أحمد فكرى



(شكل ٤٤) مخطط مدينة دمشق فى العصر الرومانى عن سارة منيمنة .

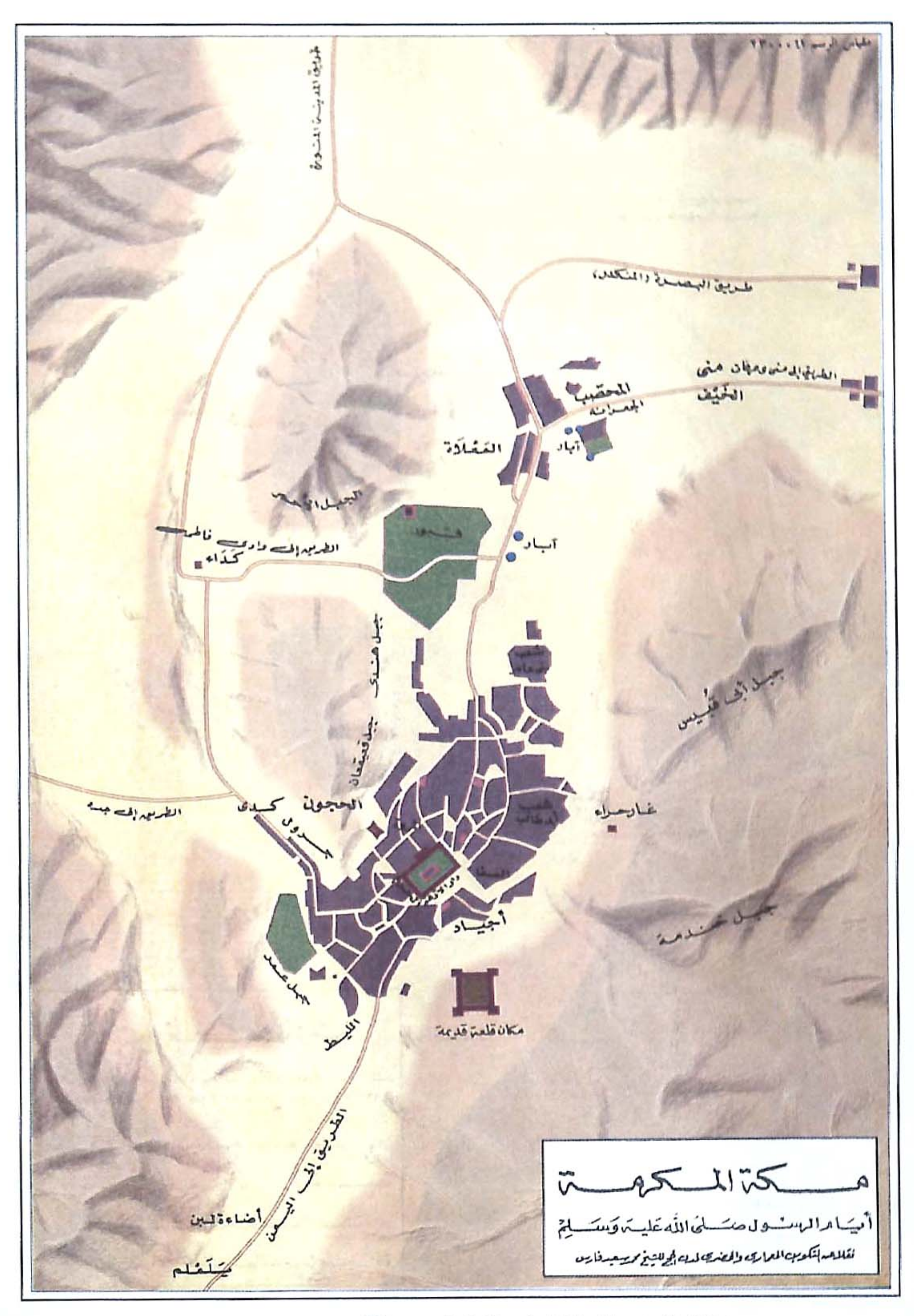


(شكل ٤٥) مخطط مدينة دمشق عند الفتح الإسلامى عن قتيبة الشهابى .

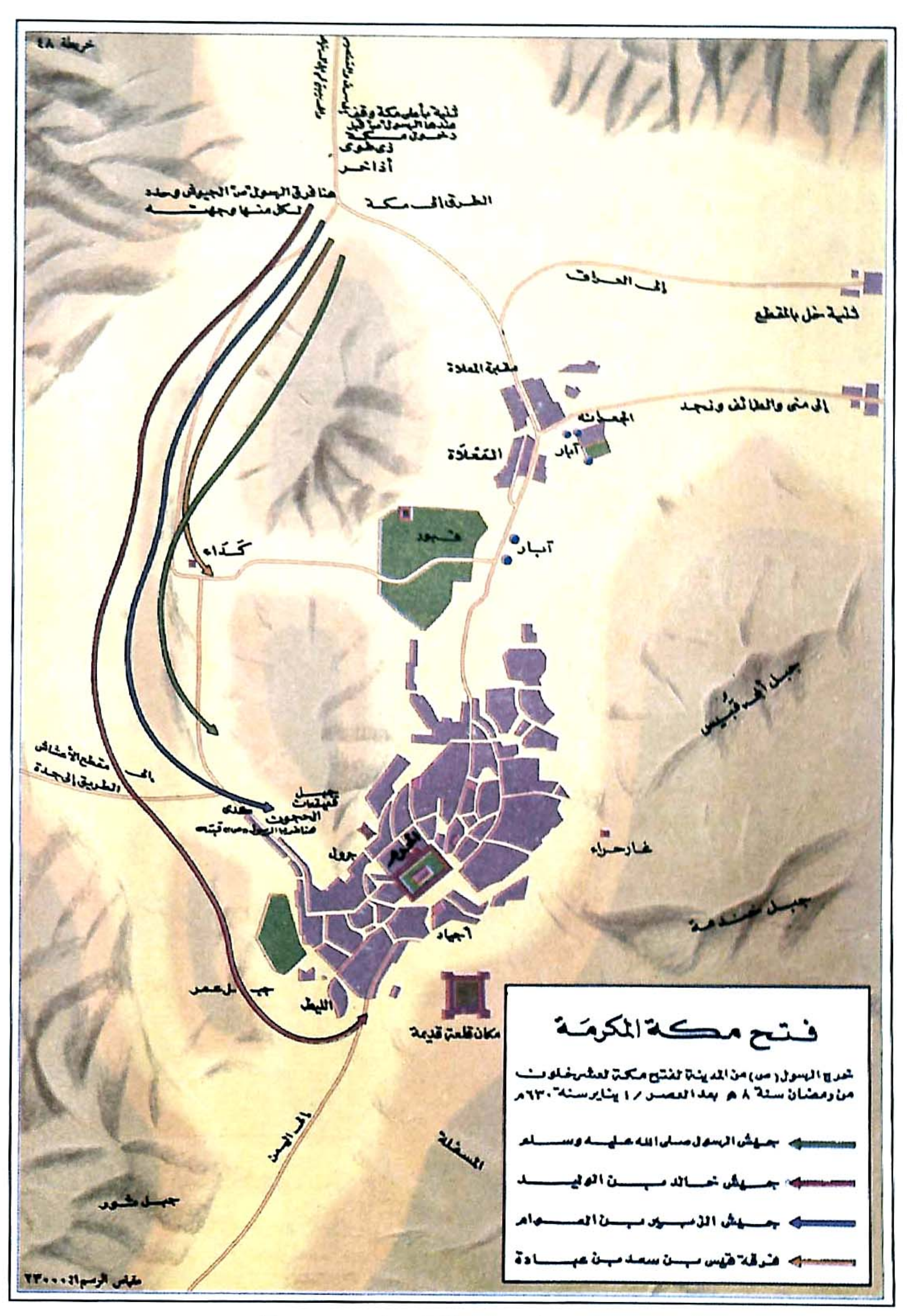


(شكل ٤٦) مخطط تقريبى لأبواب دمشق وأبراجها فى العصرين الرومانى والإسلامى عن قتيبة الشهابى

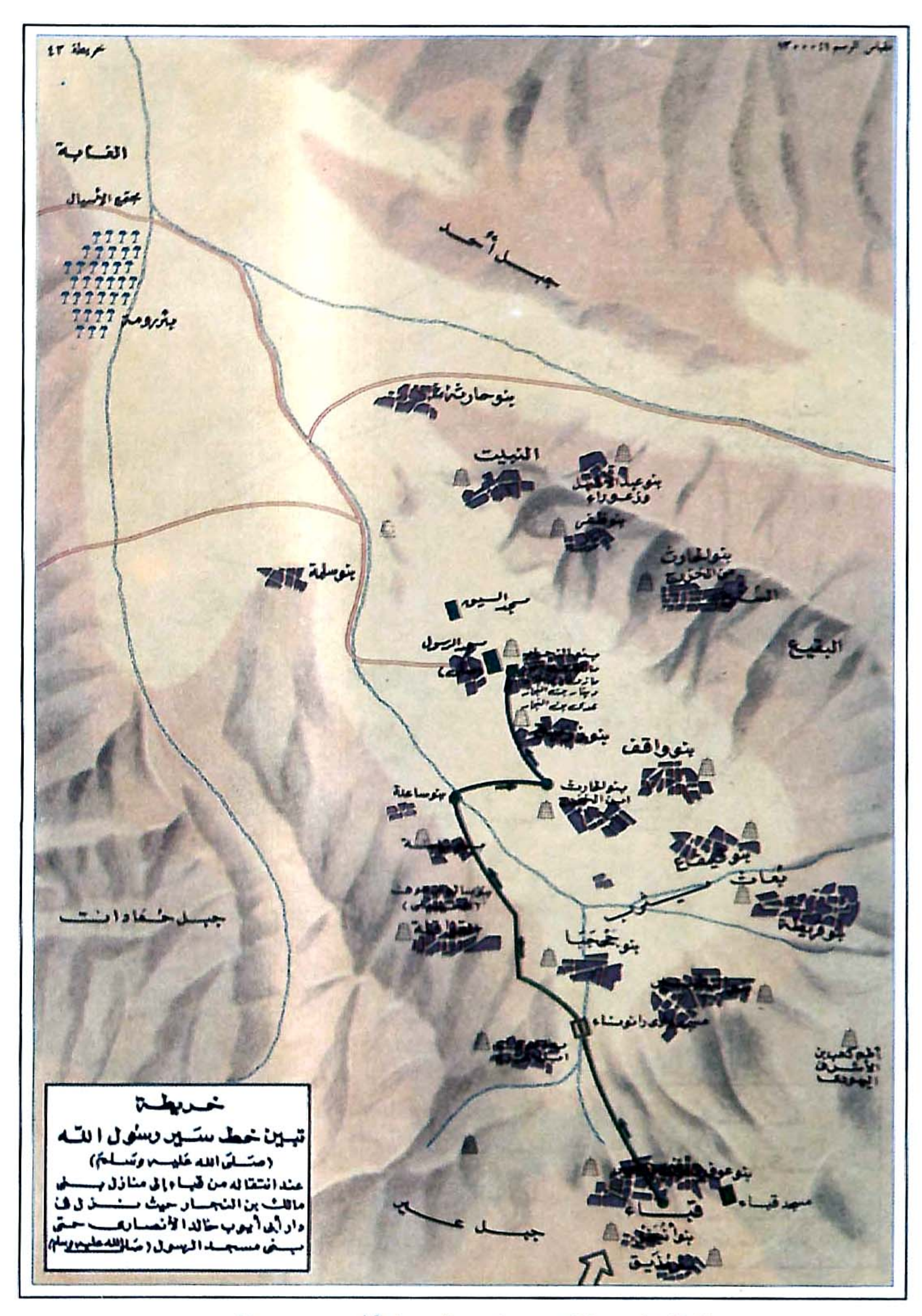
ثانيًا : الخرائط



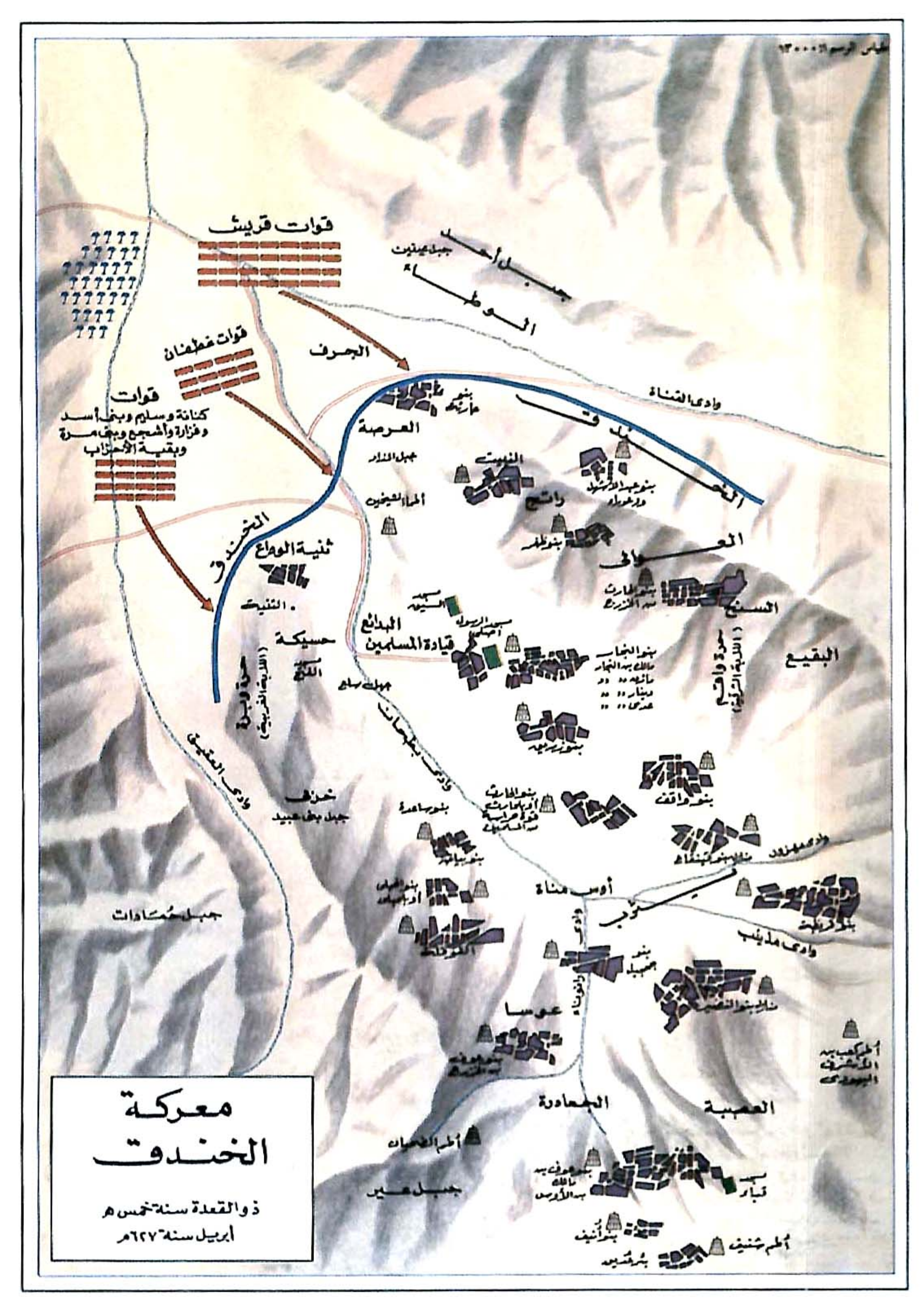
(شكل ٣) خريطة مكة المكرمة ايام الرسول ﷺ عن حسين مؤنس



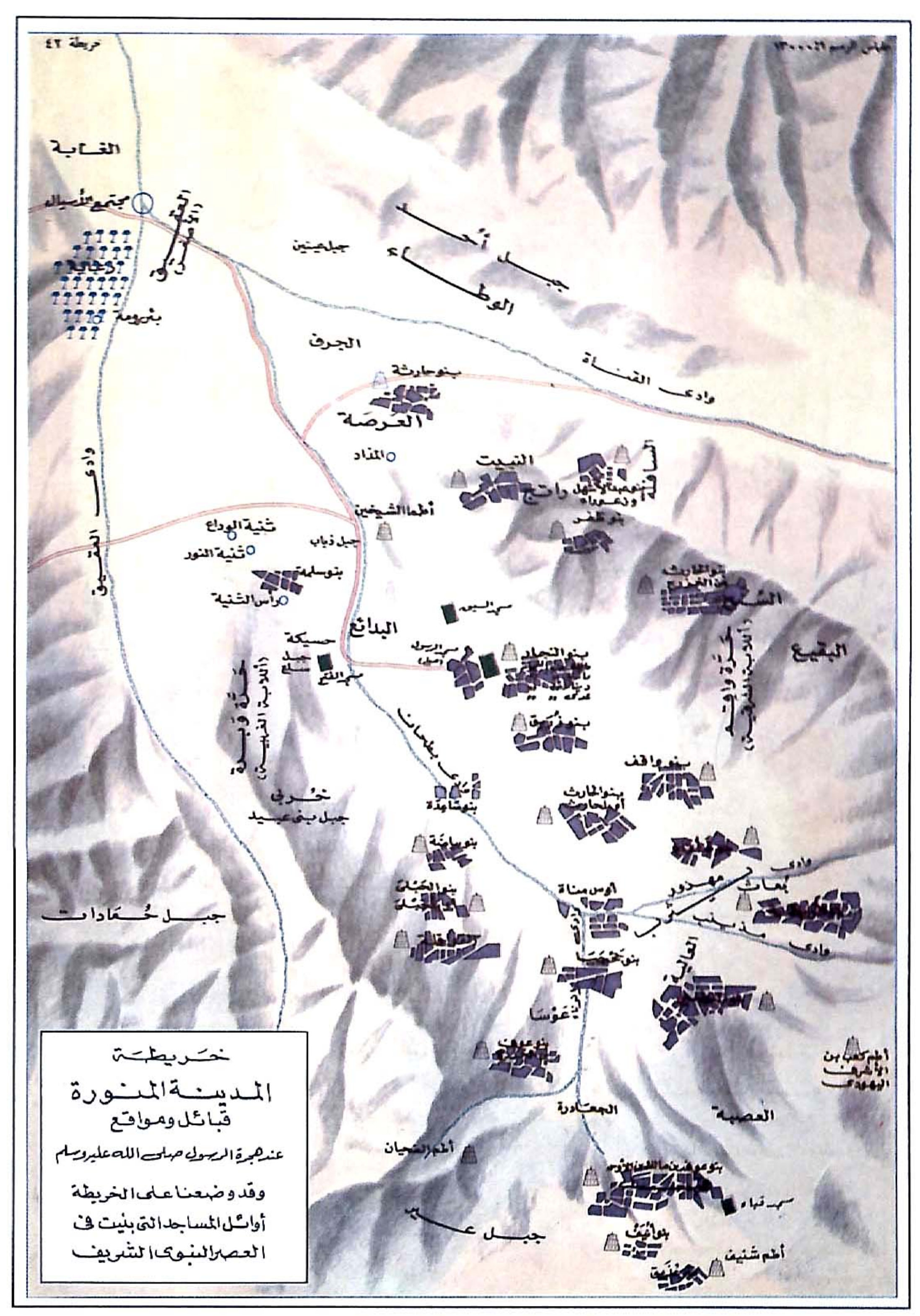
(شكل ٤) خريطة فتح مكة المكرمة عن حسين مؤنس



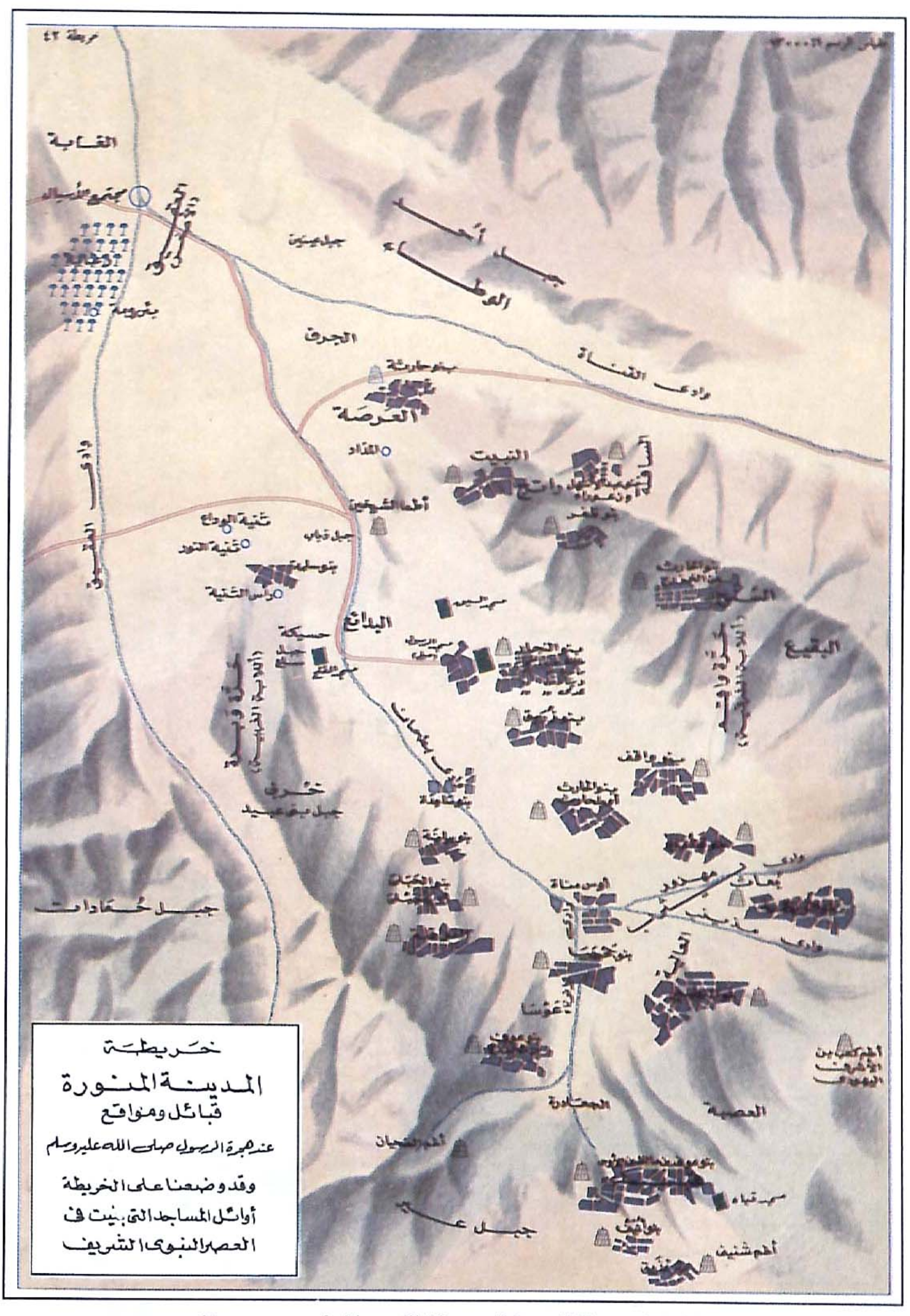
(شكل ٥) خريطة تبين خط سير الرسول ﷺ عن حسين مؤنس



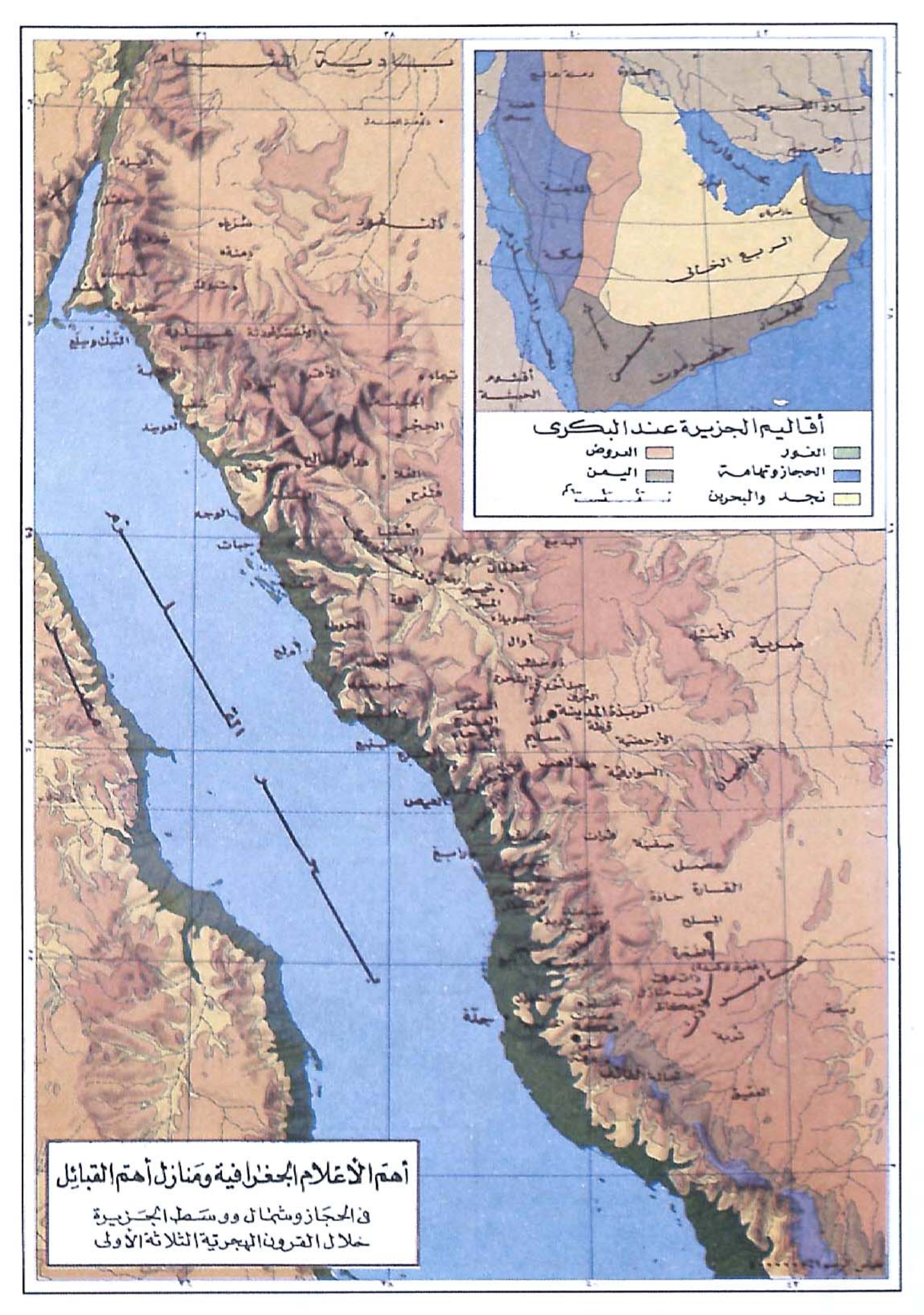
(شكل ٢٢) خريطة توضح الخندق بالمدينة المنورة عن حسين مؤنس



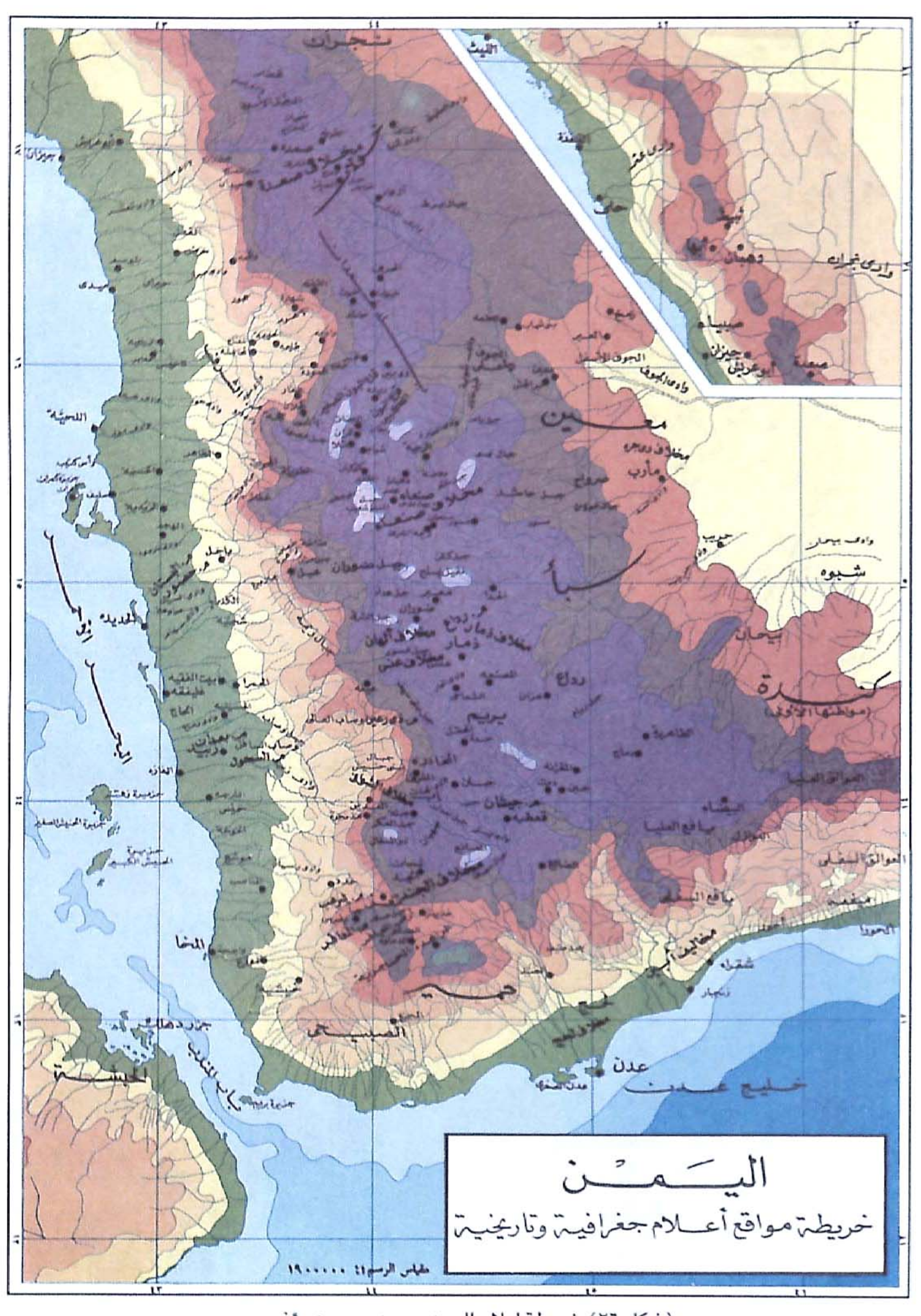
(شكل ٢٣) خريطة المدينة المنورة (قبائل ومواقع) عن حسين مؤنس



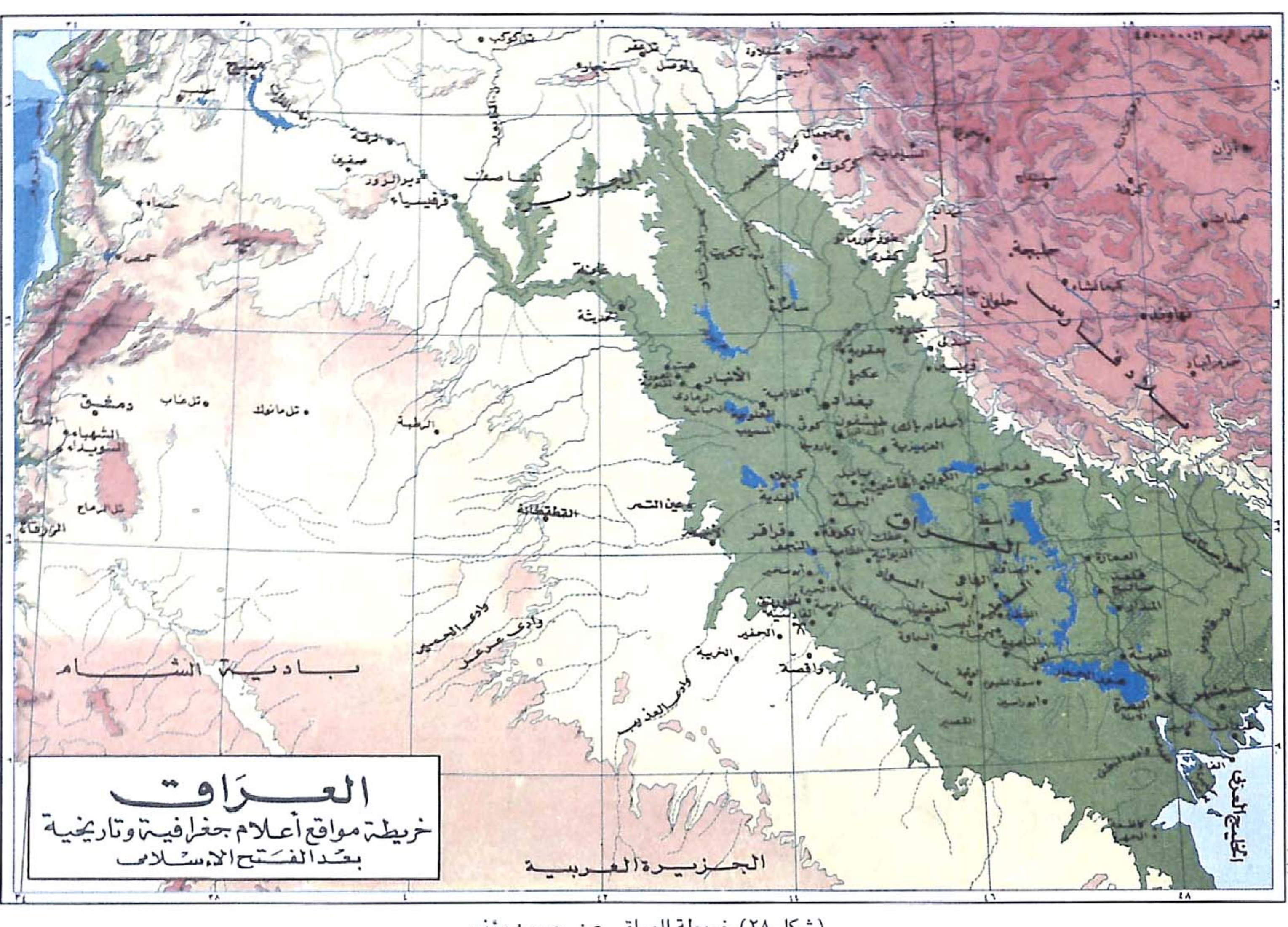
(شكل ٢٤) خريطة المدينة المنورة (قبائل ومواقع) عن حسين مؤنس



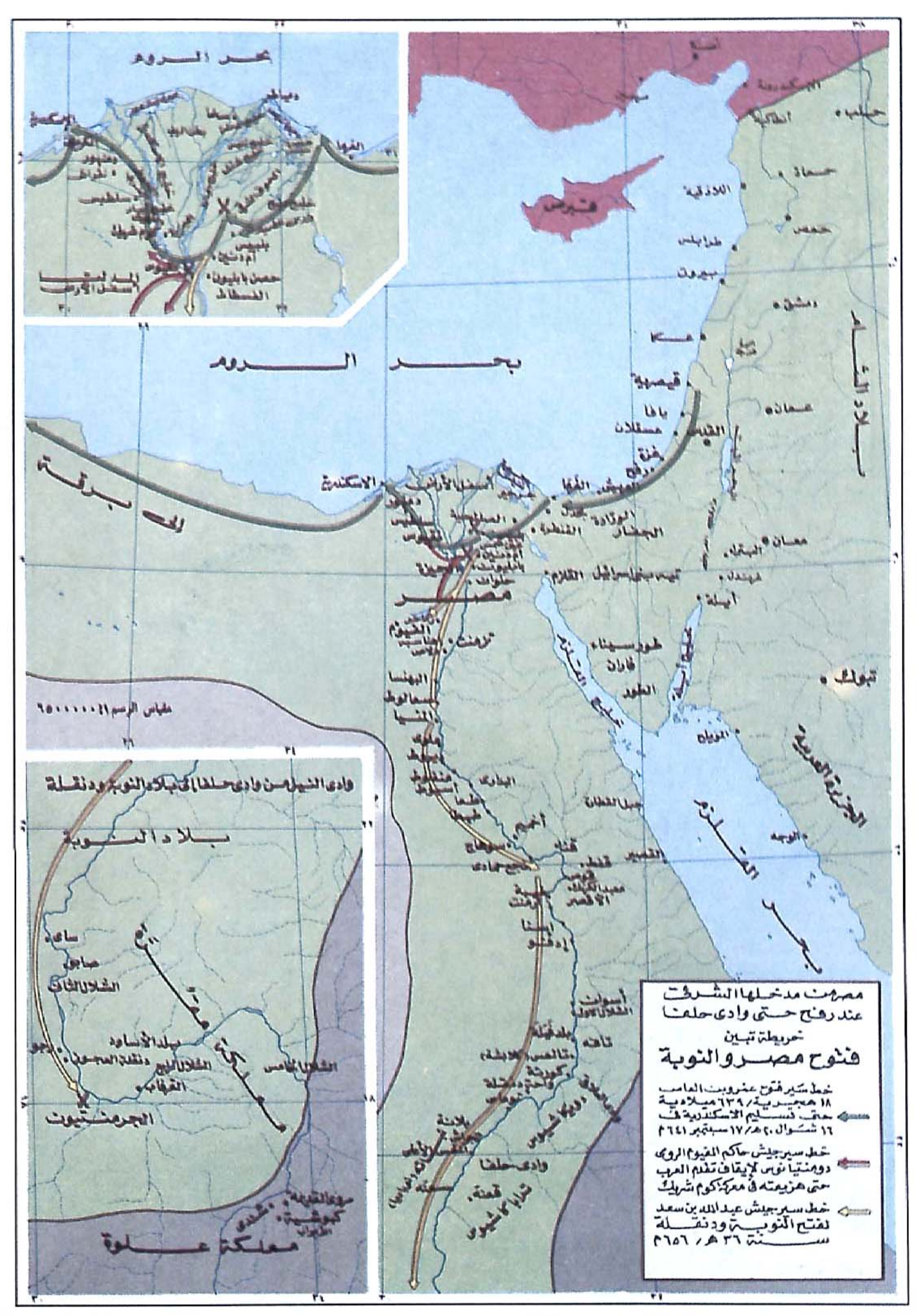
(شكل ٢٥) خريطة المدينة المنورة (قبائل ومواقع) عن حسين مؤنس



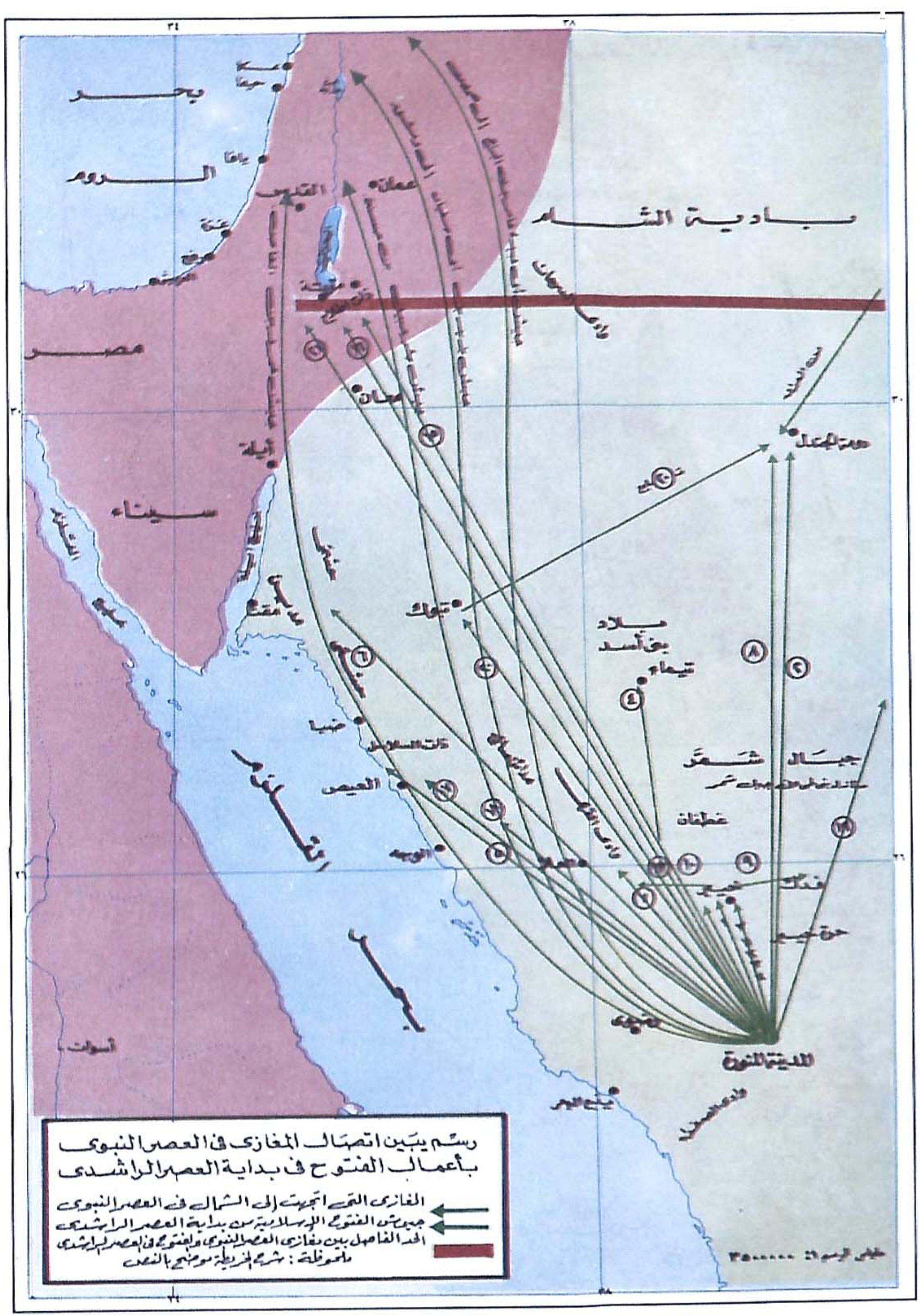
(شكل ٢٦) خريطة لبلاد اليمن عن حسين مؤنس



(شكل ٢٨) خريطة العراق عن حسين مؤنس



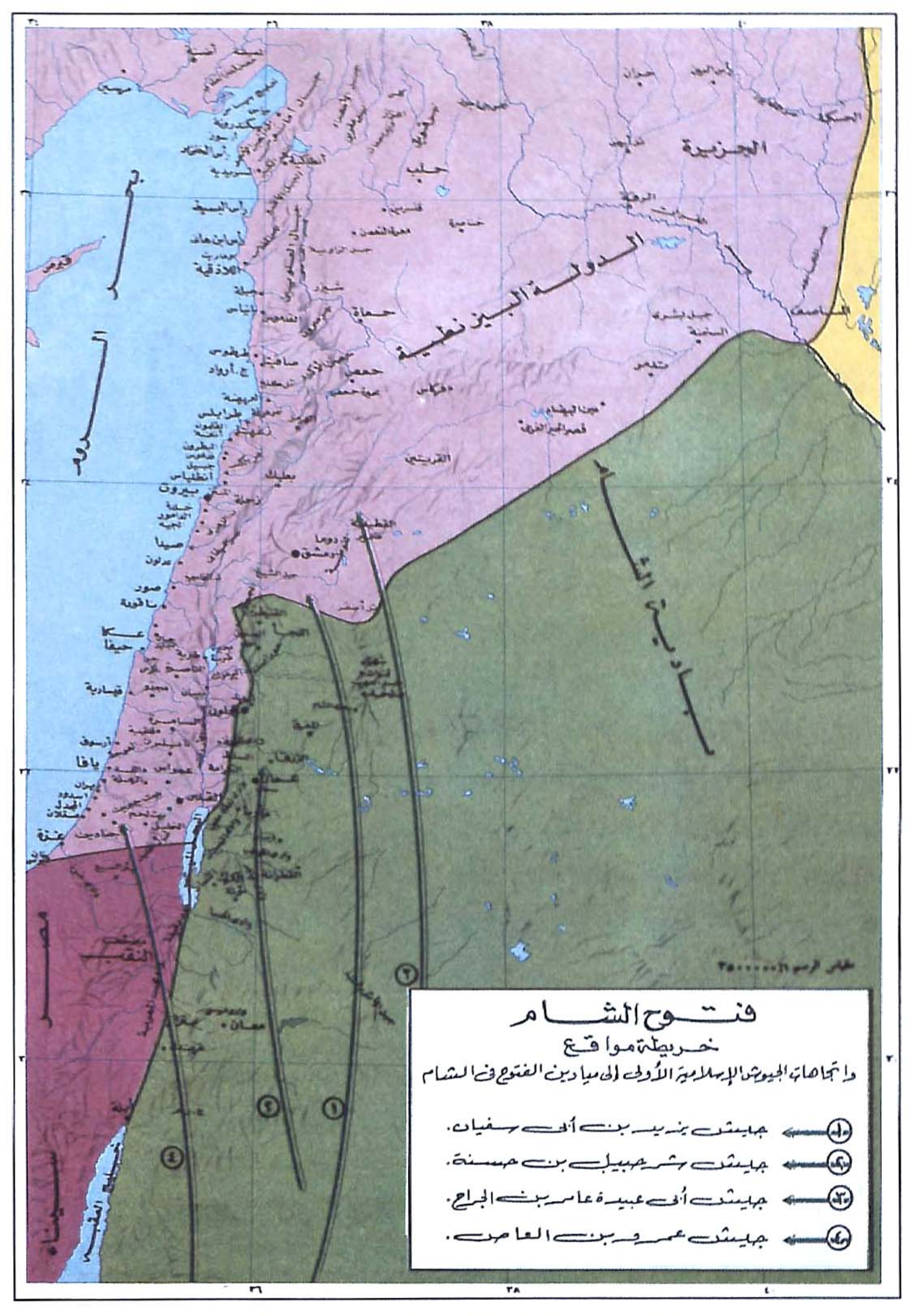
(شكل ٣٠) خريطة تبين فتوح مصر والنوبة   حسين مؤنس



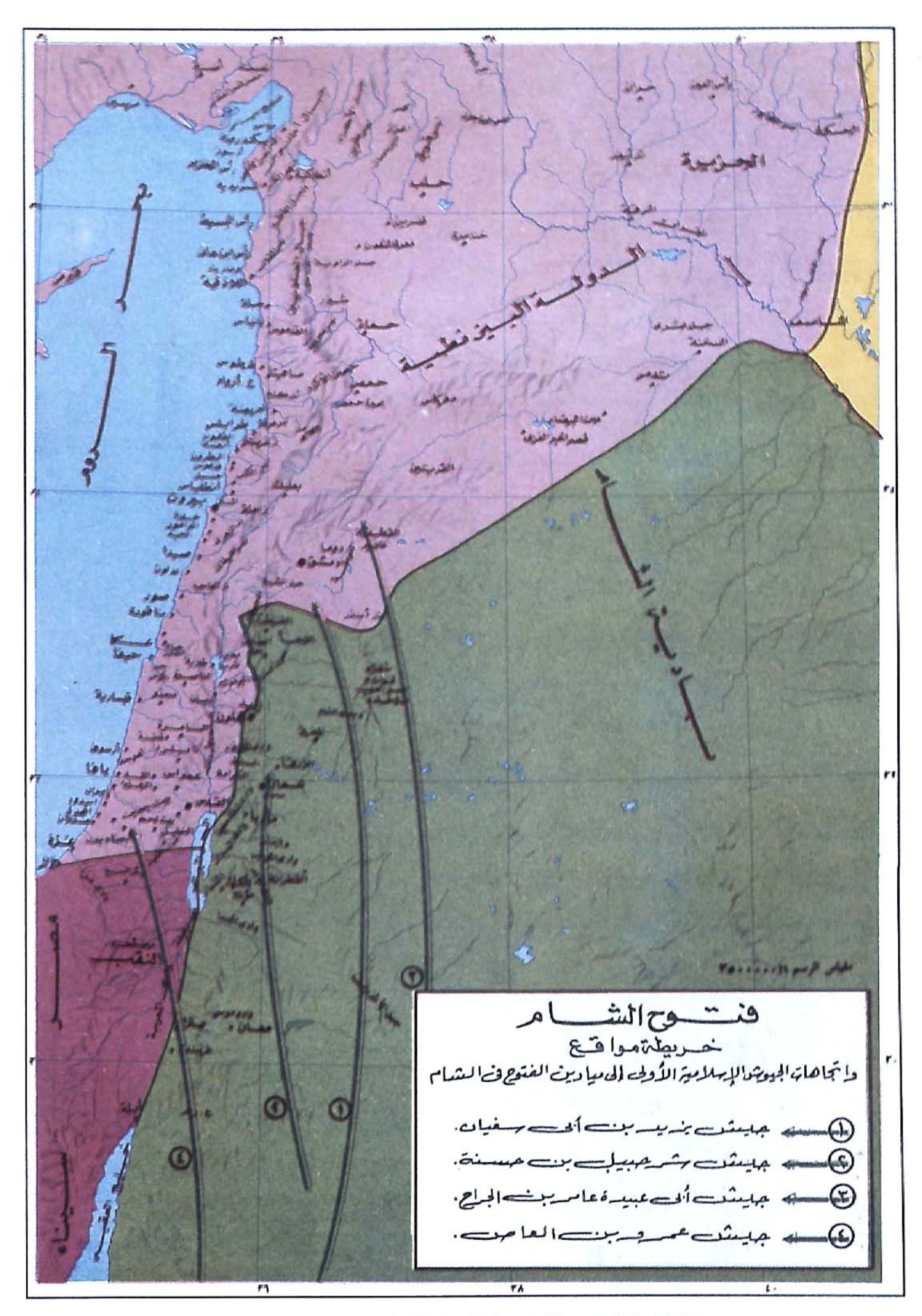
(شكل ٣٨) خريطة المغازى والفتوح عن حسين مؤنس



(شكل ٣٩) خريطة بلاد الشام والجزيرة عن حسين مؤنس



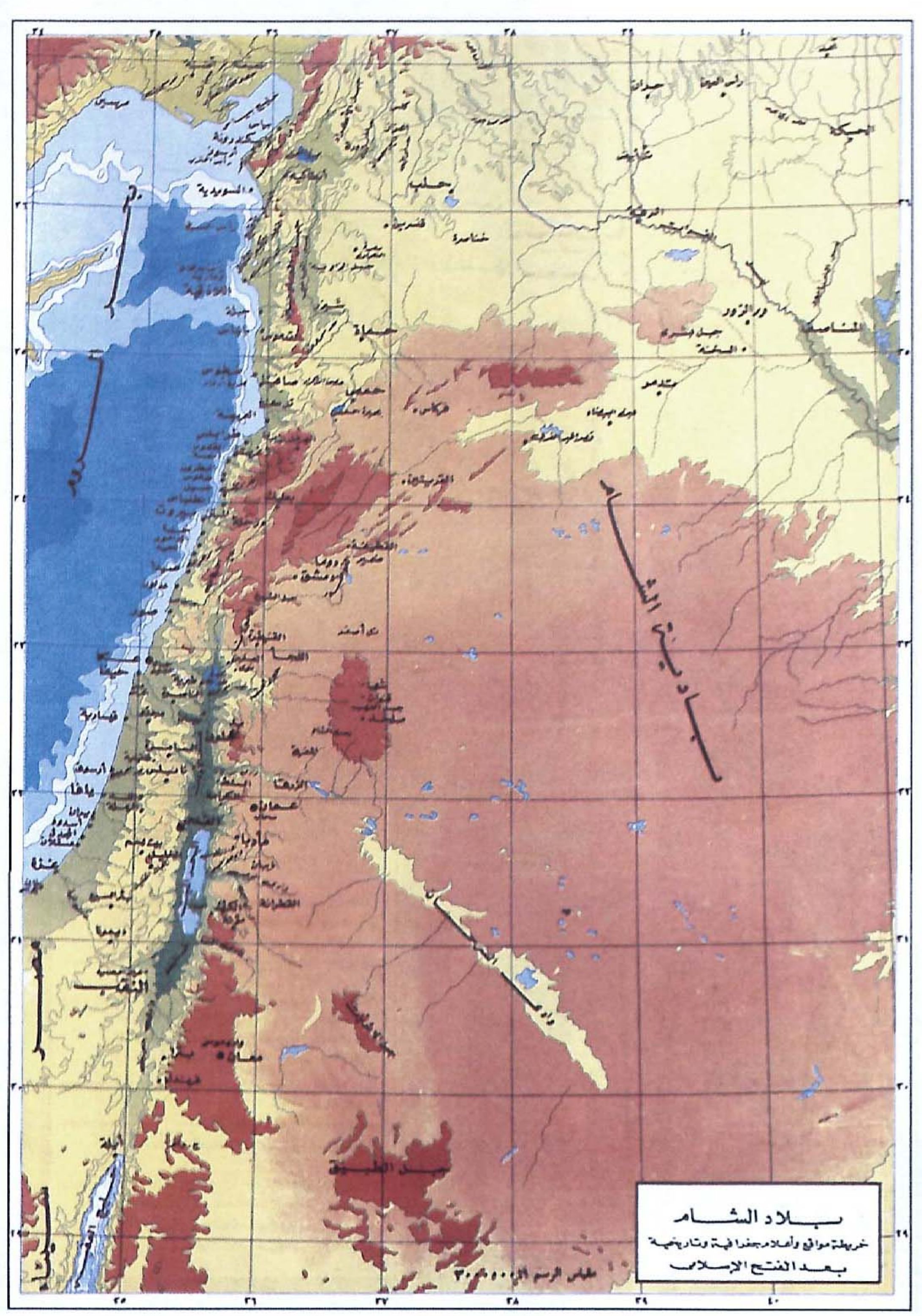
(شكل ٤٠) خريطة فتوح الشام (مواقع) عن حسين مؤنس



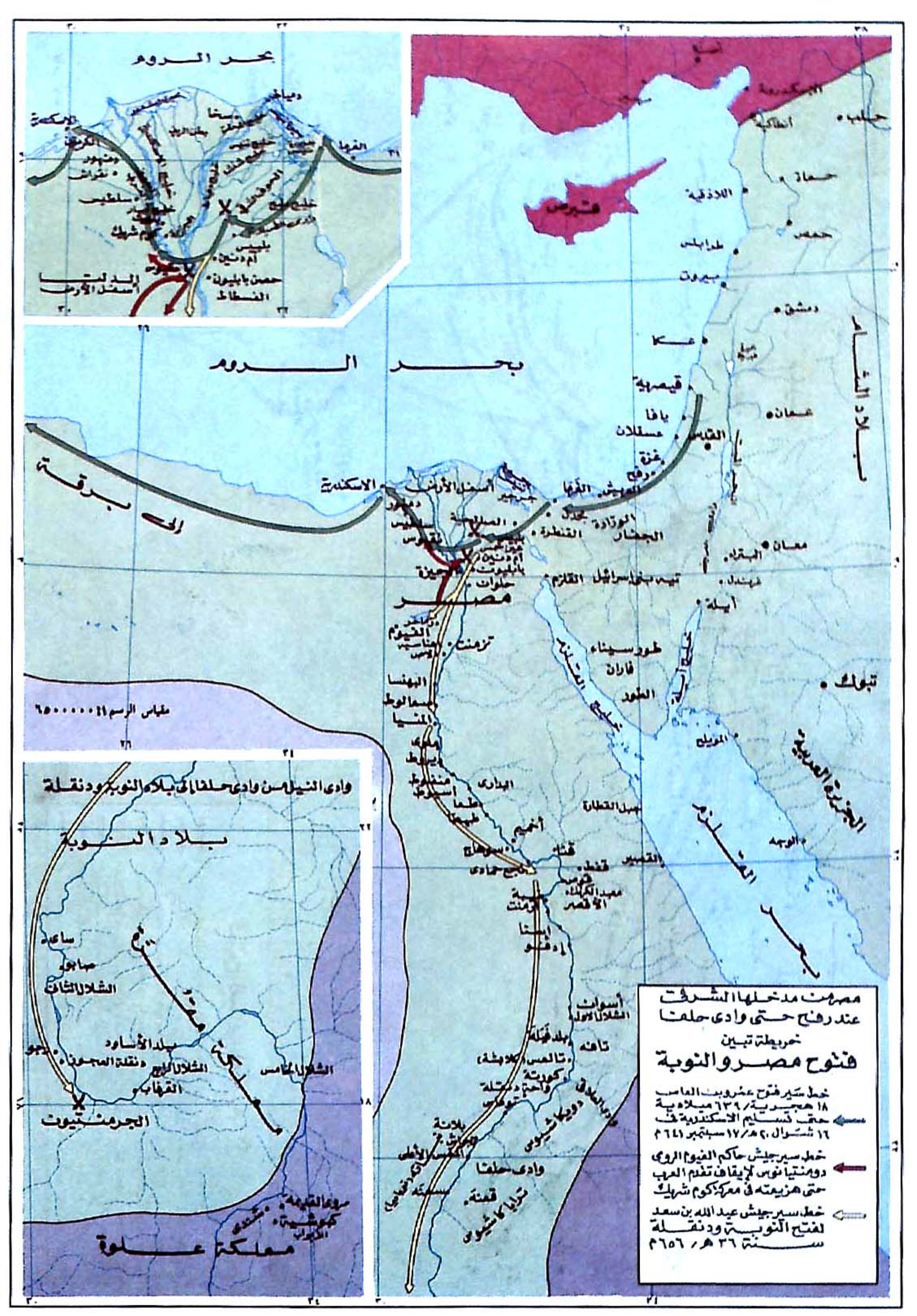
(شكل ٤١) خريطة فتوح الشام (مواقع) عن حسين مؤنس



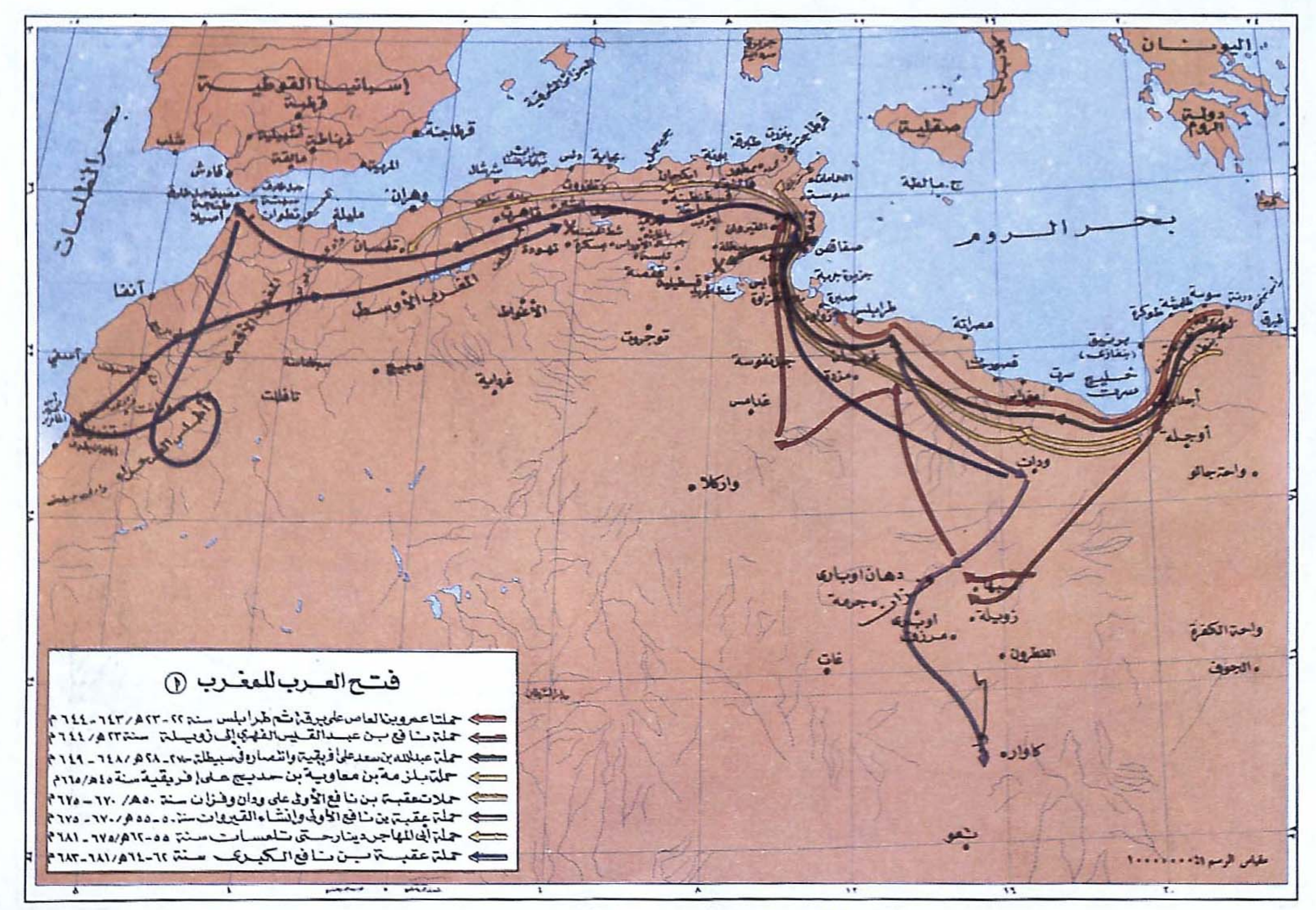
(شكل ٤٢) خريطة فتح الشام عن حسين مؤنس



(شكل ٤٢) خريطة بلاد الشام بعد الفتح   عن حسين مؤنس



(شكل ٤٧) خريطة تبين فتوح مصر والنوبة   حسين مؤنس



(شكل ٤٨) خريطة فتح العرب للمغرب (أ) عن حسين مؤنس



(شكل ٤٩) خريطة فتح العرب للمغرب (ب) عن حسين مؤنس